The Evangelical Studies (1) | دِرَاسات إنجيلية (١)

الدفاع عن المسيحيّة

* في الإنجيل بحسب متّى

The Apology of the Christianity

* In the Evangel according to Matthew

الأرشمِندريْت يُوسف درّة الحدّاد

Archimandrite Youssef Durrah al-Haddad

www.muhammadanism.org

November 7, 2011

١

الدفاع عن المسيحيّة

*** في الإنجيل بحسب متّى**

طبعة ثانية منقحة

جونيه ١٩٨٨

مَنشورَات المَكتَبة البُولسِيّة

١

الدفاع عن المسيحيّة

* في الإنجيل بحسب متّى

*

الأرشمِندريْت يُوسف درّة الحدّاد

*

مَنشورَات المَكتَبة البُولسِيّة

فهرس

تقديم **١٧**

تمهيد عام : ما هو الإنجيل ؟ **٢١**

توطئة : الإنجيل كشف عن غيب الله، وحياته في ذاته **٢٣**

بحث أول : الإنجيل، لغة واصطلاحاً **٢٩**
في الترجمة السبعينية **٢٩**
في الإنجيل **٣١**
في سفر الأعمال **٣٢**
عند بولس الرسول **٣٣**
تعبير « الإنجيل » واحد، في العهد الجديد كله **٣٥**

بحث ثان : الإنجيل الشفوي والإنجيل المكتوب **٣٦**

١ ـ الإنجيل الشفوي **٣٦**
٢ ـ الإنجيل الشفوي هو مصدر الإنجيل المكتوب **٤٠**
٣ ـ مصادر الإنجيل المكتوب الأخرى **٤١**
٤ ـ الإنجيل المكتوب بأحرفه أو نصوصه الأربعة **٤٣**
٥ ـ بعد عهد الرسل، اقتصر الإنجيل الشفوي على الإنجيل المكتوب **٤٤**

بحث ثالث : الإنجيل واحد أم أربعة ؟ ٤٦

١ ـ النظرة التاريخية ٤٦
٢ ـ النظرة الأدبية الفنية ٤٩
٣ ـ النظرة الموضوعية والأسلوبية ٥٣

بحث رابع : الإنجيل عقيدة وشريعة صوفية ٦٠

أولاً : الإنجيل عقيدة إلهية ٦٠
ثانياً : الإنجيل شريعة دستورية ٦٤
ثالثاً : الإنجيل صوفية حياتية ٦٧

بحث خامس : الوحي الإنجيلي، بحسب بيئاته وأساليبه ٧١

أولاً : الدفاع عن المسيحية ٧٤

١ ـ في البيئة الإسرائيلية : الإنجيل بحسب متى ٧٥
٢ ـ في البيئة الهلنستية الرومانية : الإنجيل بحسب مرقس ٧٥

ثانياً : تاريخ المسيحية ٧٦

١ ــ في البيئة الإسرائيلية؛ نشأة المسيحية : الإنجيل بحسب لوقا ٧٦
٢ ــ في البيئة الهلنستية؛ انتشار المسيحية : سفر أعمال الرسل ٧٧

ثالثاً : فلسفة المسيحية ٧٧

١ ـ فلسفة المسيحية في البيئة والثقافة الهلنستّيتين : رسائل بولس الرسول ٧٨
الجزء الأول : الرسائل الكلامية (قبل أسره) ٧٨
الجزء الثاني : الرسائل الصوفية (في أسره الأول في رومة) : سر المسيح ٧٩

الجزء الثالث : الرسائل الراعوية (بعد أسره الأول في رومة) : في تنظيم الكنيسة الجامعة **٧٩**
٢ ـ فلسفة المسيحية في البيئة والثقافة الإسرائيلية : « الرسائل الكاثوليكية » ، والرسالة إلى العبرانيين. **٧٩**

رابعاً **: صوفية المسيحية** **٨٠**

١ ـ تقديم : رسالة يوحنا العامة **٨٠**
٢ ـ سر المسيح : الإنجيل بحسب يوحنا **٨١**
٣ ـ سر المسيحية : سفر الرؤيا **٨١**
٤ ـ ملحق : رسالتا يوحنا الثانية والثالثة **٨٢**

بحث سادس : هل من تحريف في الإنجيل ؟ **٨٢**

أولاً : هل يقول القرآن بتحريف أو تصحيف في الإنجيل ؟ **٨٣**
ثانياً : هل يقول العلم والنقد بتحريف وتصحيف في الإنجيل ؟ **٩٠**
الدليل الأول العام : الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ **٩٠**
الدليل الثاني العام : الإنجيل كتاب أمة قبل أن يصير كتاب أفراد **٩١**
الدليل الثالث العام : من وجود « الأناجيل المنحولة » تجاه الأناجيل الصحيحة **٩٣**
الدليل الرابع العام : من القرائن التاريخية على صحة البيئة الإنجيلية **٩٣**
دليل أول خاص : من مقارنة الأناجيل بسائر أسفار العهد الجديد **٩٣**
دليل ثان خاص : من لغة الأناجيل اليونانية **٩٤**
دليل ثالث خاص : من تعدّد نصوص الإنجيل إلى أربعة **٩٥**

دليل رابع خاص : من شخصية يسوع وكلماته في الأناجيل الأربعة ٩٦

ثالثاً : تاريخية الإنجيل في نصوصه الأربعة ٩٧

شبهة أولى : الأناجيل تنقل دعوة الرسل للمسيح، لا إنجيل المسيح ٩٧

شبهة ثانية : هدف الأناجيل دفاعي لا تاريخي ٩٩

شبهة ثالثة : الأناجيل شهادة لمسيح القيامة لا ليسوع التاريخ ١٠٠

شبهة رابعة : هل كانت أميّة الرسل عائقاً لفهم المسيح والإنجيل ؟ ١٠٢

شبهة خامسة : ما بين تنزيل الإنجيل وتدوينه، ألم يفعل الوهم فعله ؟ ١٠٤

شبهة سادسة : بتأخر التدوين، ألم يشوّه الزمن الواقع التاريخي ١٠٥

شبهة سابعة : أليس في ترجمة الإنجيل إلى اليونانية مجال للشبهة ؟ ١٠٧

شبهة ثامنة : كتبة الإنجيل ليسوا كلهم من الرسل : أليس في ذلك شبهة ؟ ١٠٨

شبهة تاسعة : مخطوطات قمران والإنجيل ١١٠

شبهة عاشرة : هل الاختلاف الظاهر بين الأناجيل شبهة عليها ؟ ١١٤

ختام : المشكل الأكبر على صحة الإنجيل وتاريخيته هو شخصية المسيح فيه ١١٦

بحث سابع : إعجاز الإنجيل ١١٧

١ ـ الإنجيل إعجاز في التنزيل ١١٧
٢ ـ الإنجيل إعجاز في البلاغ ١١٩
٣ ـ الإنجيل إعجاز في التبليغ ١٢٢
٤ ـ الإنجيل إعجاز في البيان والتبيين ١٢٥
١) في مواقفه ١٢٥
٢) في فنونه الأدبية ١٢٧
ختام : إعجاز في الرسالة والرسول ـ شهادة العقاد ١٣٠

القسم الأول

الدفاع عن المسيحية ١٣٥

توطئة وإيضاح : معنى الدفاع عن « المسيحية » في الإنجيل ١٣٧

الكتاب الأول : الإنجيل بحسب متى ١٣٩

مقدمة : أولية الإنجيل بحسب متى ١٤١

الفصل الأول : تمهيد للإنجيل بحسب متى ١٤٣

بحث أول : من هو كاتبه ؟ ١٤٥

١ ـ كاتبه لاوي بن حلفى الملقب : متى الرسول ١٤٥
٢ ـ ماذا نعرف عن متى وسيرته وشخصيته ؟ ١٤٨

بحث ثانٍ : زمن تدوين الإنجيل بحسب متى ١٥١

النص الأرامي قبل السنة الخمسين ١٥١
النص اليوناني قبل استشهاد بطرس عام ٦٤ ١٥٢

بحث ثالث : الإنجيل بحسب متى في لغته الأصلية ومصيره ١٥٤

لغته ١٥٤
مصيره ١٥٥

بحث رابع : بيئة الإنجيل بحسب متى ١٥٧

١ ـ إنه الإنجيل الفلسطيني في تعبيره ١٥٨
٢ ـ إنه الإنجيل الفلسطيني في تفكيره ١٥٩

الفصل الثاني : تحليل الإنجيل بحسب متى ١٦٣

توطئة : المبادئ التي يقوم عليها هذا التحليل ١٦٥
تحليل الإنجيل بحسب متى ١٦٨

الفصل الثالث : أسلوب الإنجيل بحسب متى ١٨٩

بحث أول : براعة التخطيط ـ الإدماج الفني ١٩١

١ ـ التخطيط البياني ١٩٢
٢ ـ التخطيط التاريخي ١٩٢
٣ ـ التخطيط التعليمي ١٩٣
٤ ـ التخطيط القصصي الدراماتيكي ١٩٤

بحث ثان : بلاغة التأليف ـ الاقتدار الفني ١٩٦

١ ـ الأسلوب البياني ١٩٦
٢ ـ الأسلوب التاريخي ١٩٧
٣ ـ الأسلوب التعليمي ١٩٩
٤ ـ الأسلوب القصصي الدراماتيكي ١٩٩

بحث ثالث : فصاحة الإنشاء ـ الانسجام الفني ٢٠٢

١ ـ لغته ٢٠٢
٢ ـ التعبير والتفكير ٢٠٣
٣ ـ الإنشاء العام ٢٠٤
٤ ـ إنشاؤه التاريخي ٢٠٤
٥ ـ إنشاؤه التعليمي ٢٠٥
٦ ـ إنشاؤه الجدلي ٢٠٥
٧ ـ إنشاؤه البياني ٢٠٦

بحث رابع : روعة البيان ـ الافتنان في البيان ٢٠٨

١ ـ فن «الوجوه والنظائر» ٢٠٨
٢ ـ فن التصدير والتسهيم ٢١٠
٣ ـ فن الاستطراد ٢١٢
٤ ـ فن التضمين ٢١٣
٥ ـ فن التقسيم والتبويب ٢١٤
٦ ـ فن التكرير أو الترديد ٢١٦
٧ ـ أسلوب الأعداد الرمزية المقدسة ٢٢٠
٨ ـ فن الإيجاز والأطناب ٢٢١
٩ ـ فنون أخرى ٢٢٢
١٠ ـ نظم الإنجيل : رباعيات أرامية أو ثنائيات عربية ٢٢٤

الفصل الرابع : شهادة الإنجيل بحسب متى ٢٢٧

توطئة : شهادته ثلاث في واحدة ٢٢٩

بحث أول : دعوة المسيح وإعجازها ٢٣٢
١ ـ الكشف الأول في الإنجيل : أبوة الله ٢٣٣

٢ ـ الكشف الثاني في الإنجيل : نبوة الإنسان لله ، في المسيح ٢٣٩
٣ ـ الكشف الثالث في الإنجيل : « الأخوة الإنسانية » ٢٤١

بحث ثان : الإنجيل ما بين العهد القديم والعهد الجديد ٢٤٥

١ ـ في التوحيد ٢٤٥
٢ ـ في الشريعة ٢٤٦
٣ ـ في البرّ أو أركان الدين ٢٤٧
٤ ـ في التشريع الاجتماعي ٢٤٨
٥ ـ في السنّة اليهودية ٢٤٨
٦ ـ في ملكوت الله ٢٥٠
٧ ـ في المسيح الموعود ٢٥٠
هل نسخ الإنجيل التوراة ؟ ٢٥١

بحث ثالث : الإنجيل ما بين القومية والعالمية ٢٥٤

دعوة يسوع في « جليل الأمم » كانت ليسمعها الأميّون ٢٥٥
رحلاته المتواترة إلى أرض المشركين كانت لدعوتهم ٢٥٦
أسباب قيام الدعوة المسيحية بين بني إسرائيل ٢٥٨

بحث رابع : إنجيل « مسيحية » يسوع ٢٦٠

أولاً : مسيحية يسوع من سيرته ودعوته ٢٦٠
ثانياً : مسيحية يسوع من ألقابه النبوية ٢٦٨

١ ـ إنه ابن داود أي المسيح ٢٦٨
٢ ـ فهو « المسيح » الموعود ٢٦٩
٣ ـ لقب « ابن الله » يعني أيضاً مسيحية يسوع السامية ٢٧٠
٤ ـ لقب « ابن البشر » يعني مسيحيته السماوية ٢٧١

٥ ـ لقب ((المسيح الرب)) يعني إلهية مسيحيته ٢٧٢
٦ ـ اسم ((يسوع)) يعني المخلص، وهو رمز لرسالته ٢٧٢

ثالثاً : مسيحية يسوع تظهر من تتميم نبوءات الكتاب فيه ٢٧٣

١ ـ إنه ((النسل المصطفى)) الذي به تتبارك أمم الأرض كلها ٢٧٤
٢ ـ إنه ((النبي الأعظم)) الذي وعد به موسى ٢٧٥
٣ ـ إنه المسيح ((ابن داود)) ٢٧٦
٤ ـ إنه ((عمانوئيل)) المولود في بيت لحم ٢٧٦
٥ ـ إنه رسول ((العهد الجديد)) ٢٧٦
٦ ـ إنه ((عبد الله)) الذي يفدي شعبه بالاستشهاد ٢٧٦
٧ ـ إنه ((إبن البشر)) مؤسس ((ملكوت الله)) ٢٧٧

ظاهرة كبرى : تحفّظ يسوع باتخاذ اسم ((المسيح)) ٢٧٨

بحث خامس : إنجيل ((إلهية)) يسوع المسيح ٢٨٠

أولاً : أحوال يسوع المسيح برهانُ إلهيته ٢٨٠
ثانياً : أعمال يسوع المسيح تُظهر إلهيته ٢٨٤
ثالثاً : أقوال يسوع المسيح تدرُّجٌ لإظهار إلهيته ٢٨٧
رابعاً : ألقابه تدل دليلاً قاطعاً على إلهيته ٢٨٩

١ ـ لقب ابن الله ، عند متى ٢٨٩
٢ ـ لقب ابن البشر، عند متى ٢٩٣

ختام : برهان النبوءات والمعجزات ٢٩٨

بحث سادس : إنجيل الملكوت ٣٠٠
توطئة : ملكوت الله في الكتاب ٣٠٠

أولاً : أوصاف ملكوت الله ٣٠٤

١ ـ ملكوت الله : ملك ومملكة ٣٠٤
٢ ـ ملكوت الله : أتى وآتٍ معاً ٣٠٥
٣ ـ ملكوت الله : أرضي وسماوي معاً ٣٠٧
٤ ـ ملكوت الله : زمني وأبدي معاً ٣٠٨
٥ ـ ملكوت الله : روحي واجتماعي معاً ٣٠٩
٦ ـ ملكوت الله : فردي وجماعي معاً ٣١١
٧ ـ ملكوت الله : قومي وعالمي معاً ٣١١

ثانياً : تحقيق ملكوت الله ٣١٣

١ ـ تأسيس ملكوت الله ٣١٣
٢ ـ ظهور ملكوت الله ٣١٣
٣ ـ مصير ملكوت الله ٣١٤

ثالثاً : ماهية ملكوت الله والمسيح ٣١٥

ما ليس هو ٣١٥
إنه ملكوت روحي ـ إنه الدين الحق ٣١٦
شرعة الملكوت ـ رسالة الملكوت ٣١٧
طبيعة الملكوت ـ أخلاقية الملكوت ٣١٨
مصير الملكوت ٣١٩

بحث سابع : إنجيل « الكنيسة » ٣٢٠

أولاً : كنيسة المسيح هي شعب الله الجديد، أمة المسيح ٣٢١
ثانياً : كنيسة المسيح ميزتها أن فيها سلطة معصومة ٣٢٣
الإعجاز الأول في تأسيس المسيحية أن فيها سلطة المسيح ٣٢٤
الإعجاز الثاني أن السلطة في المسيحية تتمتع بالعصمة ٣٢٥

ثالثاً : ما بين ملكوت الله وكنيسة المسيح ٣٢٦

١ ـ كنيسة المسيح هي ملكوت الله ٣٢٦
٢ ـ لكن ملكوت المسيح أوسع من كنيسته ٣٢٦
٣ ـ فالكنيسة نواة ومحور ملكوت الله والمسيح ٣٢٧

رابعاً : تكوين الكنيسة وظهورها ٣٢٨

تأسيس الكنيسة يتم باستشهاد المسيح ٣٢٩
ظهور الكنيسة يتم بقيامة المسيح وحلول الروح القدس ٣٢٩
مصير الكنيسة يتم بتحويل الملكوت من إسرائيل إلى « الأمم » ٣٢٩

خامساً : كنيسة المسيح هي « العهد الجديد » بين الله والبشر ٣٣٠

سادساً : عهد الكنيسة هو « عهد التجديد » في البشرية ٣٣١

١ ـ إنه تجديد وتكميل الكتاب بالإنجيل ٣٣١
٢ ـ إنه تجديد وتكميل الوحي والتنزيل ٣٣١
٣ ـ إنه تجديد وتكميل العهد ٣٣٢
٤ ـ إنه تجديد وتكميل الوعد ٣٣٢
٥ ـ إنه تجديد وتكميل الإنسان ٣٣٢
٦ ـ إنه تجديد وتكميل الكون ٣٣٣
٧ ـ إنه تجديد وتكميل ملكوت الله في كنيسة المسيح ٣٣٣

القول الفصل : الإنجيل بحسب متى دفاع عن المسيحية بتاريخ السيرة والدعوة ٣٣٤

[Blank Page]

تقـديم

صـدر عن المطبعة البولسية الجـزء الأول مـن « **مصـادر الـوحي الإنجيلـي** » ، بعنـوان « الـدفاع عـن المسـيحية » ، وهـو الحلقـة الأولـى مـن حلقـات موسـوعتين كبيـرتين كمـا يظهـر مـن سلسـلة عناوينهمـا. والحـق الـذي لا مـراء فيـه أن هـذه « الدراسـات الإنجيليـة » **فـتحٌ مبـينٌ فـي المكتبة العربية** التي كانت أفقر ما يكون الافتقار إلى مثلها.

فالموسوعة الأولى « **مصادر الوحي الإنجيلي** » هي دراسة **استقرائية تحليلية**، في أربعة أقسام :

١) « **الدفاع عن المسيحية** » في الإنجيل بحسب متى والإنجيل بحسب مرقس.

٢) « **تاريخ الكنيسة** » في الإنجيل بحسب لوقا وفي سفر أعمال الرسل.

٣) « **فلسـفة المسـيحية** » (أي الكـلام المسـيحي) فـي رسـائل بـولس الرسـول وسـائر الرسل.

٤) « **صوفية المسيحية** » في الإنجيل بحسـب يوحنـا وفـي سفر الرؤيـا مـع تقديم لهـا فـي رسالة يوحنا الأولى.

وقـد أصــاب المؤلـف الأرشمندريت يوسـف درّة الحـداد فـي تسـمية هـذه الموسـوعة « مصادر الوحي الإنجيلي » لأن الوحي الإنجيلي لا ينحصر في الإنجيل بنصوصـه الأربعـة، بـل يمتد على سائر أسفار العهد الجديد التي كتبها الرسل وقد كلفهم الرب تبليغ وحيـه، فـي عصـمة، دعوةً وكتابة، بتأييد الروح القدس لهم : « ومتى جاء روح

الحق فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها » (يو ١٦ : ١٣). وهذه الموسوعة ماثلة بكل أجزائها للطبع.

وأمّا الموسوعة الأخرى وهي قيد التحضير فيعدنا فيها المؤلف بتحليل « **إنجيل المسيح** » ، تمهيداً لتفصيل « **الوحي الإنجيلي : عقيدةً وشريعةً وصوفية ونظام حياة** » ، ما بين « **الإنجيل والكتاب** » ، وبين « **الإنجيل والقرآن** » لبيان « **إعجاز الإنجيل** » ، والكشف عن « **سيرة المسيح وسرّه** » في ستة كتب. فحقق الله آمال المؤلف وما هي، في الوقت نفسه، إلاّ آمال جميع الناطقين باللغة العربية من مسيحيين وغير مسيحيين.

والكتاب الذي بيدنا هو الأول من تلك المجموعة الضخمة التي جنّد لها المؤلف كل طاقاته الفكرية، وجلَده العجيب على التنقيب والإنتاج. وقد صدّره **بتمهيد طويل** في أكثر من مئة صفحة، عالج فيه مختلف مسائل العهد الجديد ومشاكله، بحسب سنن العلم الحديث. ويسمي هذا الكتاب الأول **الدفاع عن المسيحية**، بعرضها على البيئة الإسرائيلية في الإنجيل بحسب متى، وعلى البيئة الهلّنستية الرومانية في الإنجيل بحسب مرقس، وذلك ليس أنهما مقصوران على الدفاع، فهما عرض أيضاً لسيرة المسيح ودعوته، بل لأن صفة الدفاع هي الظاهرة الغالية في لغة الإنجيل في بيئتين مختلفتين.

لقد نظرنا في الكتاب مليّاً، وكنّا من قبلُ قد نشرنا منه بعض أبحاثه في « المسرة » تشويقاً إليه، وطمعاً في فائدتها الجلّى؛ **فهو في الحقيقة فتح عظيم في الأدب العربي**، إذ لم يقم بعد أحدٌ بمثل هذا الإنتاج الضخم في لغتنا. ومن ينكر أن عالمنا العربي، المسيحي وغير المسيحي على السواء، بحاجة ماسّة إلى مثل هذه « الدراسات الإنجيلية » ؛ ولا يستغني عنها حتى الذين يعتمدون مثلها، لثقافتهم الخاصة أو في تدريس الكتاب المقدس، في لغات أجنبية، لأنها تمتاز عليها **بنظرتها الشرقية** إلى المعضلات الكتابية. وهذه النظرة الشرقية العربية في تقديم الإنجيل الكريم إلى العالم العربي بأجمعه هي « **الميزة الأولى** » من ميزات هذه الأبحاث العديدة.

أما « **الميزة الثانية** » فيها فهي التركيز على الناحية **البيانية والأسلوبية** في تقديم أسفار

العهد الجديد، لأنها تساعد على معرفة الكاتب وفهم كتابه، وهي من دلائل الإعجاز في مقاييس عقليتنا الشرقية ـ و « **الميزة الثالثة** » في استنباط **تحليل جديد لتخطيط** كل سفر، يرتكز على الأسس الموضوعية والبيانية والسيكولوجية والتاريخية الكامنة فيه. فهو قد يأتلف في ذلك مع غيره أحياناً، ويختلف أحياناً أخرى؛ وقد تخطّى جميع التخطيطات المعروفة حتى اليوم ـ و « **الميزة الرابعة** » في **استجماع عناصر كل بحث** حتى إذا اقتضاه ذلك بعض التكرار، لكي يكون كل بحث مستوفياً جميع أركانه وأبعاده. فهو يدرس كاتب الوحي وكتاب الوحي من جميع الوجوه والنواحي ـ وهناك « **ميزة خامسة** » قوامها **إبراز شهادة كل سفر** بصفاتها التي تميزها، في أبحاث متنوعة يكوّن مجموعها كتاباً في « اللاهوت الإنجيلي » ، استقراءً وتحليلاً وتفصيلاً.

وهكذا يخرج القارئ من جوّ هذه « الدراسات الإنجيلية » وهو أفضل استعداداً وأشد تشوّقاً لقراءة الإنجيل نفسه، كلام الله، من كلمة الله الذاتية، سراط المشاهدة في « الإنجيل الأبدي » .

وإننا، باسم أهل الإنجيل جميعاً في العالم العربي، نشكر للمؤلف، الأرشمندريت يوسف درّة الحداد، هذه « الدراسات الإنجيلية » ، التي تولي المسيحي فهماً وتقديراً لإعجاز الإنجيل، والحياة منه؛ وتجعل غير المسيحي يدرك ولو شيئاً من كنوز الإنجيل الثرية. ونشكره أيضاً باسم الأدب العربي، لأن هذه « الداراسات الإنجيلية » هي بالحقيقة **فتح جديد** في الأدب العربي.

جونيه، في الأول من شباط ١٩٦٧ الأب **جورج فاخوري البولسي**

تمهيد عـَام :

مَا هُوَ الإنجيل ؟

توطئة : الإنجيل كشف عن غيْب الله وحياته في ذاته

بحث أول : الإنجيل، لغة واصطلاحاً

بحث ثانٍ : الإنجيل الشفوي، والإنجيل المكتوب

بحث ثالث الإنجيل واحد ؟ أم أربعة ؟

بحث رابع : الإنجيل عقيدة وشريعة وصوفية

بحث خامس : الوحي الإنجيلي بحسب بيئاته وأساليبه

بحث سادس : هل من تحريف في الإنجيل ؟

بحث سابع : إِعجاز الإنجيل

[Blank Page]

توطئة

الإنجيل كشف عن غيب الله، وحياته في ذاته

« لمَّا أُلقي يوحنا في السجن، أتى يسوع إلى الجليل يدعو بإنجيل الله. قال : لقد تمَّ الزمان، وأتى ملكوت الله : فتوبوا، وآمنوا بالبشرى » (مرقس ١ : ١٤ ـ ١٥).

هذه هي الكلمة الأولى في دعوة السيد المسيح. **فإِنجيل الله هو « البشرى »** بظهور المسيح، وظهور ملكوت الله معه. وهذه « البشرى » المزدوجة هي بحسب الحرف اليوناني « الإنجيل » ؛ لذلك يقول : « فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مر ١ : ١٥).

وهذه البشرى عظيمة : إِنها « إنجيل الله » (مر ١ : ١٤).

*

وتأتي هذه البشرى الإلهية، الإنجيل، « **لما تم الزمان** » ، في ختام النبوة والكتاب. فمنذ خمسماية سنة وألف، منذ موسى كليم الله (يوحنا ٥ : ٤٦)، بل منذ نحو ألفي سنة، منذ إبراهيم، خليل الله (يوحنا ٨ : ٥٦)، تعاقب أنبياء الكتاب يدعون إلى التوحيد المنزل، ويبشرون بمجيء المسيح، وملكوت الله معه، في « الأيام الأخيرة » . فلما ظهر يسوع كانت كلمته الأولى الإعلان الصارخ : « لقد تم الزمان! وأتى ملكوت الله! » . والدليل تنزيل الإنجيل، إنجيل المسيح، « إنجيل الله » . فهو ختم الوعد والعهد، وختام النبوة والكتاب.

*

ومنزلة المسيح والإنجيل من النبوة والكتاب، أعلنها المسيح في أطوار دعوته كلها. وذروة الإعلان كانت قُبيل استشهاده، في الموقف الحاسم، في الجدال الأكبر مع السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى، بمناسبة الفصح عيدهم الأكبر، في هيكل سليمان، عنوان الدين والدولة، وذلك بمثل (الكرّامين القتلة) :

غرس الله كرما، وسلّمه إلى كرّامين. وفي أوان الثمر أرسل عبيده الأنبياء ليأخذوا الثمار. « غير أن الكرامين قبضوا على **العبيد**، فجلدوا بعضاً منهم وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. فأرسل أيضاً **عبيداً آخرين** أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. وفي الآخر أرسل إليهم **ابنه** وهو يقول : سيهابون ابني. فلما رأى الكرامون الابن قالوا في ما بينهم : هذا هو **الوارث!** هلموا! نقتله ونستولي على ميراثه. فقبضوا عليه وطرحوه خارج الكرم وقتلوه. فإذا جاء رب الكرم، فماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا : انه يميت أولئك الأشرار شرَّ ميتة! ويسلّم الكرم إلى كرامين آخرين، يؤدون إليه الثمار في الأوان! قال لهم حينئذٍ يسوع : أما قرأتم قط في الزبر[١] : « إن الحجر الذي رذله البنّاؤون هو صار رأساً للزاوية! من قِبَل الله كان ذلك، وهو عجيب في نظرنا! من أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويسلّم إلى أمة تؤدي ثماره » (متى ٢١ : ٣٣ ـ ٤٣).

هذا المثل الرائع تاريخ ونبوة. فيه يمثّل السيد المسيح تاريخ النبوة والكتاب، ومصير ملكوت الله في إسرائيل والبشرية. وفي ذينك التاريخ والنبوة يكشف عن منزلته فيهما.

فيسوع يسمّي الأنبياء : « **عبيد الله** » ويصف نفسه : « **ابنه، ابني، الابن** » . فالأنبياء في الرسالة والكتاب : عبيد الله، ويسوع هو « الابن » ، « وريث رب الكرم » . ورسالة الابن غير بعثة العبيد. وحق الوريث في كرم النبوة

---

(١) المزمور ١١٧ : ٤٤.

والكتاب، غير حظ العبيد. وكلام الله بواسطة الابن، غير كلام الله بواسطة عبيده. وبعد رسالة الابن، لا بعثة ولا نبوة ولا كتاب. ففي رسالة الابن ختام النبوة والكتاب.

والمثل أيضاً نبوءة صريحة عن مصير المسيح، وعن مصير ملكوت الله. فهو يعري اليهود الكرامين ويكشف مكرهم بالمسيح «الابن» و «الوريث» . ويعلن لهم أنه يعرف غيب ما يمكرون، ومصيره الذي يبيّتون : القتل خارج الكرم. أي أنهم يكفّرونه ويقتلونه. لكن الله ببعثه ورفعه إليه، يجعله رأس الزاوية في تنزيله، ودين الله وملكوته. فينتزع المسيح، بصفته الابن والوريث، الملكوت من قتلة الأنبياء، ويسلّمه إلى أهل الإنجيل. **إنها نبوءة في أربع** تجعل المسيح سيد ملكوت الله وسيد مصيره إلى يوم الدين.

وفي خطاب ختامي (متى ٢٣) يقضي المسيح، في الهيكل نفسه، بسبع ويلات أو لعنات، على العهد الإسرائيلي. ثم يكشف لتلاميذه في خلوة على جبل الزيتون أنه هو ملك يوم الدين (متى ٢٤ ـ ٢٥).

تلك هي منزلة المسيح والإنجيل، في ملكوت الله وكتابه، في دين الله والتنزيل.

*

كان كلام الله في النبوة والرسالة حتى المسيح **وحياً وتنزيلاً**، في وحدانيته وجبروته، في أسمائه الحسنى وصفاته الجلّى. فصار كلام الله بالمسيح، وفي المسيح، **كشفاً لذاته**، وسرّ حياته، وغيْب الحيّ القيوم.

في العشاء الوداعي، عشية الاستشهاد، صرّح للرسل صحابته : «أنا الصراط والحقيقة والحياة : لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي. إن كنتم عرفتموني، فستعرفون الآب أيضاً! بل من الآن تعرفونه، وقد رأيتموه! قال له فيلبس : **يا رب، أرنا الآب وحسبنا**. يا فيلبس، أنا معكم كل هذا الزمان ولا

تعرفني ؟ **مَن رآني فقد رأى الآب!** فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أفلا تؤمن أني أنا في الآب، وأن الآب فيَّ ؟ الأقوال التي أنطق بها، لا أنطق بها من نفسي، بل الآب المقيم فيَّ هو يعمل أعماله. أجل صدقوني أني أنا في الآب، والآب فيَّ! وإلاَّ فصدقوا من أجل الأعمال » (يوحنا ١٤ : ١ ـ ١١). فجميع الأنبياء دعوا إلى « الصراط المستقيم، صراط الله »، ووقفوا كسائر المخلوقين، عند حدود غيب الله عاجزين. أما يسوع المسيح فقد كشف لنا غيب الله في إنجيله في شخصيته.

*

فإنجيل الله ومسيح الله هما **كلمة الله المنزلة بواسطة « كلمة الله » الذاتية :**

« في البدء كان الكلمة   والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة   فهو منذ البدء في الله ...
والكلمة صار بشراً   وسكن في ما بيننا
وقد شاهدنا مجده   مجد الآب في ابنه الوحيد ...
إن الشريعة نزلت بموسى   وبيسوع المسيح النعمة الحقيقية
ومن امتلائه قد أخذنا   كلنا، نعمةً على نعمة
فالله لم يره أحد قط   إلاَّ الإله، الابن الوحيد
إنه قائم في حضن الآب   وهو نفسه قد أظهره »

(يوحنا ١ : ١ ـ ٢؛ ١٤؛ ١٦ ـ ١٨).

ففضل الإنجيل، على كل تنزيل، إن الوحي فيه **شخص منزل**، أكثر منه كتاباً منزلاً.

*

ففي المسيح والإنجيل تمت معجزة النبوة والكتاب العظمى، **في وحدة الرسالة والرسول**؛ ففي نظر « العهد الجديد » كله، إن الإنجيل خاتمة كلام الله إلى الناس، بواسطة « كلمة الله » المتأنس.

((إِن الله، بعد إِذ كلّم قديماً الآباء، مراراً عديدة وبطرق شتى بالأنبياء، كلّمنا نحن في هذه الأيام، وهي الأخيرة، **بالابن** الذي جعله وريث كل الأمور، كما به قد أنشأ الدهور؛ والذي هو ضياء مجده، وختمُ جوهره، وضابط الكل بكلمة قدرته)) (عبرا ١ : ١ ـ ٣).

ففي المسيح صار ((كلمةُ الله)) كلام الله، وكلامُ الله ((كلمة الله)) .

*

لم يكتب السيد المسيح الإنجيل، بل دعا به دعوة، وسلّمه إلى رسله وتلاميذه مشافهة؛ وأظهره في ذاته قائماً بأحواله وأعماله وأقواله.

ونقله إلينا رسله الحواريون، بذاتهم أو بأتباعهم كترجمان لهم، بتأييد روح القدس، الفارقليط الموعود لهم. فقد ختم المسيح كلامه معهم، عشية استشهاده، بقوله :

((قلت لكم هذه الأمور وأنا مقيم معكم. **والفارقليط**، روح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلمكم كل شيء، ويذكّركم بجميع ما قلت لكم ... ومتى جاء، هو، روح الحق، فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها)) (يوحنا ١٤ : ٢٥ ـ ٢٦ ثم ١٦ : ١٣).

والفارقليط هو ((روح القدس)) أي روح الله؛ و ((روح الحق)) أي روح المسيح (يو ١٤ : ٦)؛ قد نزل عليهم بعد رفع المسيح بعشرة أيام، وأرشدهم إلى حقيقة المسيح والإنجيل كلها، **وعصمهم دعوةً وكتابةً** (أعمال الرسل ٢).

*

لذلك تطفح دعوتهم وكتابتهم للإنجيل بالبشرى العظيمة : ((إن الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي لمسناه بأيدينا، كلمة الحياة ـ إذ أن الحياة قد ظهر، وقد رأيناه، ونشهد له، ونبشركم بهذا الحياة

القيّوم الذي كان في الآب، وظهر لنا ـ أجل، به نبشركم لتكون لكم أيضاً شركة معنا، وشركتنا إنما هي مع الله، في ابن يسوع المسيح » (رسالة يوحنا ١ : ١ ـ ٤).

هذا هو الإنجيل الذي نبحث معالمه في هذا التمهيد العام.

و « مصادر الوحي الإنجيلي » هي ما يسمونه أسفار « العهد الجديد » كلها.

فيها نرى أن الإنجيل كشف عن غيْب الله تعالى، وحياته في ذاته.

بحث أول

الإنجيل، لغةً واصطلاحاً

كلمة « إنجيل » يونانية : « إِڤنجليُونْ » ، نقلت بحرفها إلى العربية لشيوعها.

ومعناها (البُشْرى) في اللغات العبرية والأرامية والعربية[1] .

وفي اصطلاح العالم الأغريقي الروماني كان « الإنجيل » بُشرى قومية، أو بشرى بطولية حربية أو بشرى سلطانية، كونَ الإمبراطور من عالم الآلهة. فـ « إنجيل » من قيصر يعني بشرى خلاص ونصر. وقد وردت الكلمة عنواناً لمولد اغسطوس قيصر، في أثر بمدينة (برينه) : « إن مولد الإله (اغسطوس) كان للمسكونة بدء الأناجيل التي ستأتي على يده[2] ».

وقد دخل هذا الاصطلاح الكتاب في الترجمة السبعينية، بتعبير الفعل « أَنْجَلَ » أَكثر منه بالاسم والصفة. وتعني الكلمة في الكتاب : **البشرى الإِلهية بالخلاص.**

(١) في القرآن وردت كلمة « الإنجيل » بحرفها، وبمعناها أيضاً : « بُشْرى للمؤمنين » (النحل ٨٩)، « بشرى للمحسنين » (الأحقاف ١٢)، « بشرى للمسلمين » (النحل ٨٩).

(٢) Dittenbeeger, *Orientis Graeci inscriptiones selectae*, p. 458.

وأكثر استعمال (الإنجيل ومشتقاته) كانت في أشعيا والمزامير، وهما السفران اللذان يتنبئان أكثر من أسفار الكتاب كلها عن خلاص الله بالمسيح الموعود.

قال أشعيا في بشرى الخلاص من عبودية بابل : « ما أَجمل على الجبال أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخير، المنادين بالخلاص ... لقد بسط الله ذراعه القدوس على عيون جميع الأمم، فرأت أقاصي الأرض خلاص إلهنا » (٥٢ : ٧ ـ ١٠).

وفي المزامير، البشرى الكبرى بالخلاص، الإنجيل الأعظم، هو مجيء المسيح الموعود : « ذبيحة وقرباناً لم تشأ ... حينئذٍ قلتُ : ها أنا ذا آتٍ؛ فقد كُتب عني في درج الكتاب أن أَعمل بمشيئتك ... لقد بشرت ببرّك في الجماعة العظيمة، ولم أكتم برّك في أعماق قلبي. بل حدثت بأمانتك وخلاصك، ولم أخفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة » (مز ٩ : ٧ ـ ١١)؛ قابل (عبرا ١٠ : ٥).

بهذا المعنى الكتابي، بحسب اصطلاح لغة الترجمة السبعينية، سمّى رسل المسيح البشرى الإلهية في الخلاص بالمسيح «الإنجيل» .

هل استعمل المسيح نفسه، في بني إسرائيل، كلمة « البشرى » الأرامية، أم كلمة « الإنجيل » من أصل يوناني ؟ ـ أن الجواب لا طائل تحته؛ وقد يكون استعمل الكلمتين، أو بالأحرى كلمة لغته وأمته : « البشرى » .

تنبأ أشعيا بالنبي الذي « يبشر » المساكين. ولما بدأ يسوع دعوته، « أتى الناصرة حيث نشأ؛ ودخل على عادته المجمع يوم السبت، فقام ليقرأ. فدُفع إليه سفر أشعيا النبي، فلما نشر السفر وقع على الموضع المكتوب فيه : « روح الربّ عليَّ فقد مسحني لأبشّر (أدعو بالإنجيل) المساكين، وأرسلني لأنادي

بالحرية للمأسورين، وبالبصر للمعميّين، وأطلق أحراراً المرهقين، وأعلنها سنةَ نعمة للرب » . وقال لهم : اليوم تمت هذه الكتابة التي تسمعون! » (لوقا ٤ : ١٦ ـ ٢٢ قابل أشعيا ٦١ : ١). فهو المبشر الموعود الذي يدعو بالإنجيل.

ولمَّا أرسل إليه المعمدان، من سجنه، تلاميذه يستوضحون هل هو النبي الآتي الموعود. « فأجاب يسوع وقال لهم : انطلقوا وأعلموا يوحنا بما تسمعون وترون : العمي يبصرون! والعرج يمشون! والبرص يطْهرون! والصم يسمعون! والموتى يقومون! والمساكين يبشرون! وطوبى لمن لا يشك فيَّ » (متى ١١ : ٢ ـ ٦). فالمسيح بالقول والعمل هو النبي الموعود الذي « يبشر » أي « يدعو بالإنجيل » ، بحسب الحرف اليوناني.

*

ترد لفظة « الإنجيل » ثماني مرات عند مرقس[١] ، وأربع مرات عند متى ... ومراراً عديدة في رسائل بولس. وفي كل هذه المواضع يعني التعبير دعوة المسيح لا الكتاب الذي يحويها، لأن المسيح لم يكتب دعوته.

لكن عند تدوين الإنجيل، ما أيسر الانتقال من الدعوة إلى الكتاب الذي يحويها. هكذا في مطلع الإنجيل بحسب مرقس نقرأ : « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » ؛ فقد يعني التعبير الدعوة، وسيرتها، والكتاب الذي يقصها.

فدعوة المسيح اسمها الإنجيل. وبعد تدوين الدعوة انتقل الاسم إلى الكتاب الذي يحويها. في منتصف القرن الثاني يشهد الشهيد الفيلسوف يستينوس، في الدفاع الأول (ف ٦٦) بالاسم المتداول : « مذكرات الرسل، **التي يسمونها الأناجيل** » .

فالسيد المسيح هو الذي سمى دعوته : « البشرى » أي الإنجيل. فكانت

---

(١) ١، ١ و١٤ و١٥؛ ٨ : ٣٤؛ ١٠ : ٢٩؛ ١٣ : ١٠؛ ١٤ : ٩.

كلمته الأولى : « لقد تم الزمان! وأتى ملكوت الله! فتوبوا وآمنوا بالبشرى » - وفي الحرف اليوناني : بالإنجيل (مرقس ١ : ١٥). وهذه البشرى هي « **إنجيل الملكوت** » (متى ٤ : ٤٣). وستشمل دعوته العالم كله : « اذهبوا في العالم أجمع وبشروا بالإنجيل الخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥). فإنه « لا بدَّ أن يُدعى بالإنجيل في جميع الأمم » (مر ١٣ : ١٠). وقد تقتضي الدعوة بالإنجيل التضحية بالنفس : « من أجلي ومن أجل الإنجيل » (مر ٨ : ٣٥) وتفضيل المسيح والإنجيل على الأهل والولد، والأموال والأملاك، جزاؤه الخلاص والحياة الأبدية (مر ١٠ : ٢٩). ونلاحظ أن المسيح **يوحّد بين شخصه وبين الإنجيل** : « من أجلي ومن أجل الإنجيل » (مر ٨ : ٣٥؛ ١٠ : ٢٩).

والرسل، نقلاً عن معلمهم الإلهي، سموا الدعوة المسيحية؛ الإنجيل. قال بطرس، في مجمع الرسل بأورشليم : « أيها الرجال الإخوة، تعلمون أن الله قد اختارني منذ الأيام الأولى، من بينكم، لتسمع الأمم من فمي **كلمة الإنجيل** » (اع ١٥ : ٧).

وفي (سفر الأعمال) يرادفون بين الإنجيل و « الكلمة » ؛ **والإنجيل هو « كلمة الله » و « كلمة الرب**[١] **»** .

والإنجيل في نظر رسل المسيح **هو « الصراط**[٢] **» « الصراط المستقيم »** (٢ بط ٢ : ١٥)، « **صراط الحق** » (٢ بط ٢ : ٢)، الذي يقود إلى « **الخلاص**[٣] »، ويعطي « **الحياة** [٤] ». فالإنجيل هو الكلمة، والصراط، والخلاص، والحياة.

---

(١) الكلمة ٤ : ٤ و٣١؛ ٦ : ٢ و٧؛ ٨ : ٤ و١٤ و٢٥؛ ١١ : ١ و١٩؛ ١٢ : ٢٤؛ ١٣ : ٥ و٤٦؛ ١٥ : ٣٤.
(٢) الصراط : ٩ : ٢؛ ١٨ : ٢٥ و٢٦؛ ١٩ : ٩ و٢٣؛ ٢٢ : ٤؛ ٢٤ : ١٤ و٢٢.
(٣) الخلاص ٤ : ١٢؛ ١١ : ١٤؛ ١٣ : ٢٦ و٤٧؛ ١٥ : ١١؛ ١٦ : ١٧ و٣٠ و٣١.
(٤) الحياة ٣ : ١٥ ؛ ٥ : ٢٠؛ ١١ : ١٨؛ ١٣ : ٤٦ و٤٨.

وموضوعه أن يسوع قد ظهر بقيامته على حقيقته : « ربّاً ومسيحاً » (اع ٢ : ٣٦). « فلا مخلص للناس سواه تحت السماء » (٢ : ٢٢ و٣٦؛ ١٠ : ٣٨). فهو « الحياة » القيوم لهم في الدنيا (٣ : ١٥)؛ وهو « ملك يوم الدين » (١٠ : ٤٢).

*

وبولس الرسول أَيضاً يسمي الدعوة المسيحية التي يقوم بها : الإنجيل. ويفصِّل مفاعيل الإنجيل؛ وصفات الجهاد في سبيله.

فدعوته هي الإنجيل وحده، « الإنجيل الذي بشرتكم به، **به تخلصون** » (١ كو ١٥ : ١). ويقول للمسيحيين : « قد ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل » (١ كو ٤ : ١٥)، « وإن تبشيرنا لكم بالإنجيل لم يصر إليكم بالكلام فقط، بل بالقوة أيضاً، وبالروح القدس، وبكمال اليقين » (أفس ١ : ٥). فأساليب الدعوة الإنجيلية وبراهينها : الكلمة والمعجزة، وتأييد الروح القدس ومواهبه الظاهرة على المؤمنين، حتى كمال اليقين.

وقد رتّب الرب « إن الذين يبشرون بالإنجيل يعيشون من الإنجيل » (١ كو ٩ : ١٤). **وفضل بولس** في الرسالة « هو أني إذا بشرت، أُبشر بالإنجيل مجاناً، غير مستوف حقي من الإنجيل » (١ كو ٩ : ١٨). فقد « صار كلاًّ للكل » ، « وأنا أصنع كل هذا لأجل الإنجيل، ليكون لي فيه نصيب » (١ كو ٩ : ٢٣)، وقد أذلّ نفسه ليرتفع المسيحيون، « إذ بشرتكم بإنجيل الله مجاناً » (٢ كو ١١ : ٧).

وبولس يتفانى في الجهاد في سبيل الإنجيل، **لأنه أمانة في عنقه** : فهو « إنجيل مجد الله السعيد، الذي اؤتمنت أنا عليه » (١ تيم ١ : ١١). ومن اختصاصه « أني قد أؤتُمنت على الإنجيل لأهل القلف » (غلا ٢ : ٧) أي للمشركين الأميين.

وقد اندمج بولس في دعوته للإنجيل والمسيح، **حتى صار** « **المسيح حياتي** » والإنجيل « إنجيلي » (رو ٢ : ١٦؛ ٢ كو ٤ : ٣). وقد آلت « أحوالي كلها إلى نجاح الإنجيل » (فيل ١ : ١٢) حتى القيود كانت « للدفاع عن الإنجيل وتأييده » (فيل ١ : ٧).

وبولس يمدح الذين يبشرون بالإنجيل عن محبة، « عالمين أني قد نصبتُ للدفاع عن الإنجيل » (فيل ١ : ١٦)؛ ويشكرهم على « مساهمتهم في الإنجيل » (فيل ١ : ٥). ويدعو المسيحيين دائماً « أن يسيروا على ما يليق بإنجيل المسيح، حتى يتّضح لي ... إنكم ثابتون في روح واحد، وإنكم تجاهدون بنفس واحدة، لأجل الإيمان بالإنجيل » (فيل ١ : ٢٧) ويحثهم على الجهاد في سبيل الإنجيل، وعلى « الاشتراك في مشاق الإنجيل، بقوة الله » (٢ تيم ١ : ٨)، حتى يتمّموا دائماً « عمل الإنجيل » (٢ كو ٨ : ١٨). وهو يذكرهم دائماً في صلاته : « والله الذي أَخدمه بروحي، بالدعوة لإنجيل ابنه، يشهد لي بأني أذكركم بلا انقطاع » (رو ١: ٩). ويعلن لهم أن الأعوان « الذين جاهدوا معي في سبيل الإنجيل ... **أسماؤهم في سفر الحياة** » (فيل ٤ : ٣).

وقد لقي بولس في جهاده في سبيل الإنجيل **استشهاداً متواصلاً** يصفه لنا في لوحة رائعة ترتسم عليها علامات البطولات كلها (٢ كو ١١ : ٢٢ ـ ٣٠)؛ ولقي مقاومة عنيفة من اليهود « الذين لم يذعنوا كلهم للإنجيل » (رو ١٠ : ١٦)، بل « من حيث الإنجيل هم أعداء » (رو ١١ : ٢٨)؛ وخصوصاً من بعض اليهود النصارى الذين كانوا يطالبون بإقامة التوراة والإنجيل معاً، ويسميهم « الأخوة الكذبة » .

مع ذلك ظل بولس مثابراً في الجهاد والاستشهاد في سبيل الدعوة المسيحية والإنجيل، « **لأنها كلمة الحق، إنجيل الخلاص** » (افس ١ : ١٣). هذا الإنجيل هو « **إنجيل السلام ... خوذة الخلاص، سيف الروح، كلمة الله** » (افس ٦ : ١٥ ـ ١٧). « فقد ظهرت نعمة الله المخلصة جميع الناس، يتجلّى مخلصنا يسوع

المسيح، **الذي أباد الموت، وأبان الحياة والخلود**، بواسطة الإنجيل » (٢ تيم ١ : ١٠).

وفي الإنجيل **سرّ المسيح**؛ ومن « سر المسيح ... ان الأمم هم من أهل الميراث، وأعضاء في الجسد، وشركاء في الموعد، في المسيح يسوع، بالإنجيل » (أفس ٣ : ٤ ـ ٦).

والإنجيل عند بولس وعند سائر الرسائل واحد، « وليس من إنجيل آخر » (٢ كو ١١ : ٤). والمتطرفون من اليهود النصارى الذين يدعون لإقامة التوراة والإنجيل معاً، هم « أخوة كذبة » يدعون « إلى إنجيل آخر ـ لا أنه يوجد إنجيل آخر، إنما هناك أناس يبلبلونكم ويريدون أن **يقلبوا إنجيل المسيح**. ولكن إن بشركم أحد، نحن أنفسنا أو ملاك من السماء، بإنجيل آخر غير الذي بشرناكم به فليكن مبسلاً » (غلا ١ : ٦ ـ ٩). وذلك « لأن الإنجيل الذي دُعي به، بواسطتي » (غلا ١ : ١١) قد عرضته على الرسل، « وكان صعودي عن وحي، فعرضت عليهم الإنجيل الذي أدعو به بين الأمم ... وإذ عرفوا النعمة التي أوتيتُها مدَّ يعقوب وكيفا ويوحنا، هم المعدودون أعمدة، يمناهم إليَّ وإلى برنابا عربون **الاتفاق الكامل** » (غلا ٢ : ١ ـ ١٠). « **فسواءٌ كنت أنا أم أولئك، فهكذا ندعو، وهكذا آمنتم** » (١ كو ١٥ : ١١).

هذا هو الإنجيل بحسب بولس، « **إنجيل الله** » (٢ كو ١١ : ٧)[1] ، « **وإنجيل المسيح صورة الله** » (١ كو ٤ : ٣)[2] .

هذا هو الإنجيل، لغةً واصطلاحاً، في مبناه وفي معناه، في بيانه وتبيانه، على لسان السيد المسيح، وعلى لسان رسله الأكرمين.

❀❀❀

---

(١) قابل رو ١ : ١٦؛ ١٥ : ١٩؛ ١ كو ٩ : ١٢؛ ٢ كو ٢ : ١٢؛ ٤ : ٤؛ ٩ : ١٣؛ ١٠ : ١٤؛ ١ : ٧؛ فيل ١ : ٧؛ ١ تس ٣ : ٢ ؛ ٢ تس ١ : ٨؛ ٢ : ١٤.
(٢) قابل رو ١ : ١؛ ١٥ : ١٦؛ ٢ كو ١١ : ٧؛ أفس ٢ : ٢ و٨.

بحث ثان

الإنجيل الشفوي والإنجيل المكتوب

الإنجيل كشف عن سر المسيح، كلمة الله، للكشف به وفيه عن سرّ الله في ذاته وحياته، بأحواله وأعماله، أكثر منه بأقواله، بالتلميح فالتصريح شيئاً فشيئاً، عن أبوّة الله، وبنوة الكلمة الابن، وعمل حياة روح القدس في الله، وإحيائه في النفس. وهذا الكشف الذاتي ظهور أكثر منه تنزيلاً، مشاهدة وشهادة، لذلك لم ير السيد المسيح أن يكتب إنجيله كتابة، بل دعا به دعوة.

ولتأمين الدعوة وصحتها من بعده، اختار من تلاميذه وأتباعه وأصحابه اثني عشر رجلاً « سماهم رسلاً » ، « ليكونوا معه » ويشاهدوا شخصه وسر شخصيته، ويشهدوا بما عاينوا وشهدوا.

ولصحة الشهادة عمل ما لم يعمله نبي أو رسول : أعطى شهود العيان سلطة معصومة منفردين ومجتمعين، ولخلفائهم من بعدهم في إجماعهم، سلطة من سلطانه، وعصمة من عصمته، بتأييد الروح القدس لهم « يقيم معهم ويكون فيهم » حتى « يقودهم إلى الحقيقة كلها » (يوحنا ١٤ : ١٧؛ ١٦ : ١٣).

*

١ـ الإنجيل الشفوي

هذه الشهادة الحية، هي الإنجيل الحي القائم، **الإنجيل الشفوي** الذي سبق ورافق، ويرافق **الإنجيل المكتوب** إلى نهاية الدهر، حتى يأتي اليقين في رؤية « **الإنجيل الأبدي** » (الرؤيا ١٤ : ٦).

والرسل في دعوتهم الشفوية يحرصون على إبراز **سلطتهم وعصمتهم في شهادتهم**

المبنية على المشاهدة العيان، وتأييد الروح القدس الدائم لهم، في تأديتها من قبلهم وقبولها من المؤمنين.

يسمّي الرسل أنفسهم « شهود العيان » (اع ١ : ٨ و١٢؛ ٢ : ٣٢، ٣ : ١٥، ٤ : ٢٠؛ ٦ : ٢٣؛ ١٠ : ٣٩ الخ)، وأتباعهم مثل لوقا « شهود العيان ودعاة الكلمة » (لو ١ : ١) كلمة الله (اع ٤ : ٣١، ٨ : ٤٠) وكلمة الخلاص (اع ١٢ : ٢٦). وهم يبشرون « بما سمعناه، وما رأيناه بأعيننا، وما تأملناه، وما لمسناه بأيدينا، كلمة الحياة » (١ يو ١ : ١)؛ ويعلّمون بتدقيق كل ما يخص يسوع (اع ١٨ : ٢٥، ٢٨ : ٣١) وذلك عملاً بوصية المسيح الأخيرة في تحديد مهمتهم : « إنكم ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم، **فتكونون لي شهوداً** في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض. ولمَّا قال هذا ارتفع على مرأى منهم » (اع ١ : ٨).

وللحال استعدوا للشهادة. وأول عمل قاموا به انتخاب خلف ليهوذا ليتم عدد الرسل الذي حدده يسوع، « لكي يُستخلف في الخدمة والرسالة، فيصير شاهداً معنا بقيامة يسوع » (اع ١ : ٢٢ و٢٥).

وبعد حلول الروح القدس عليهم يوم العنصرة بادروا حالاً إلى الشهادة العلنية الصارخة : « فليعلم اذن يقيناً جميع آل إسرائيل أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً » (اع ٢ : ٣٦). يصبّون بالإجماع شهادتهم على قيامة المسيح معجزة المعجزات التي بها ظهر « ربّاً ومسيحاً » .

هذا هو **موضوع الشهادة والدعوة.**

وكانت شهادتهم ودعوتهم شفوية مثل دعوة المسيح، ولم يكن من خطر في الانحراف بها عن أصلها، أو تحريف : ففي تلك الجماعة الشاهدة، وتلك البيئة المؤمنة التي عمت فيها أعمل المسيح وأقواله، ـ وقد ظهر بعد قيامته على جبل في الجليل لأكثر من خمسماية رجل منهم ـ من كان يجرؤ على الدسّ أو التحريف في الدعوة أو الشهادة، دون تكذيب من الجميع؟! وبولس نفسه، بنزعته

الاستقلالية في فهم نشر الإنجيل يعرض نفسه (غلا ١ : ١٢) و « إنجيله » الذي يبشر به بين « الأميّين » على مؤتمر عام للرسل (غلا ٢ : ٢) فيحظى بالموافقة التامة.

فشهادة الرسل كانت **شهادة جماعية** يقوم بها معاً جميع شهود العيان، ويؤيدها ويراقبها جميع معاصري دعوة المسيح من أتباع وخصوم على السواء. ونرى في ملاحقة رجال الدين اليهودي لهم أن هؤلاء لم يكذبوا شهادة الرسل للمسيح، ولكن يحاولون منعهم عنها فيعجزون، لأن الدعوة كانت بتأييد الروح القدس والمعجزات الباهرة، والحياة المسيحية الفريدة القائمة على أعمال الروح القدس الظاهرة فيهم.

ونرى المسيحيين الجدد « مواظبين على تعليم الرسل» (اع ٢ : ٤٢)، مستبسلين في المواظبة عليه، مع اضطهاد السلطات لهم. ولكي يتحرر الرسل من الخدمة المادية في حكم الجماعة المسيحية، انتخبوا شمامسة سبعة لمعاونتهم في حاجات الشعب ليظلوا عاكفين على « الصلاة والدعوة » (اع ٦ : ٤). ثم أشركوا في سلطتهم من صار كفوءاً للدعوة، بوضع الأيدي عليهم (٦ : ٧) وأرسلوهم للدعوة والشهادة (٨ : ٥).

هذه الدعوة الشفوية هي التي نسميها « **الإنجيل الشفوي** » . والشهادة بالصوت الحي أفضل من الشهادة بالحرف الميت، وأفعل في النفوس، خصوصاً متى قامت على تأييد الروح القدس، الظاهر في المعجزات والحياة : « فالإيمان من البشارة، والبشارة بأمر المسيح » (رو ١٠ : ١٧).

ومنذ اليوم الأول حدّد الزعيم بطرس **خطوط الدعوة في الإنجيل الشفوي.** أوجز هذه الخطوط في انتخاب متيّا لإكمال عدد الرسل، « بواحد من الرجال الذين اجتمعوا معنا في كل الزمان الذي عاش فيه الرب يسوع بيننا : منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنّا، فيصير شاهداً معنا بقيامته » (اع ١ : ٢١ ـ ٢٢). ثم فصّلها بعض الشيء في قبول أول وثني آمن، في

الكنيسة، كرنيليوس، قائد الحامية الرومانية في قيصرية فلسطين : « لقد أرسل الله الكلمة إلى بني إسرائيل مبشراً بالسلام بيسوع المسيح الذي **هو رب الجميع**. وأنتم تعلمون بما قد جرى في كل اليهودية، ابتداء من الجليل، بعد المعمورية التي دعا بها يوحنا : كيف مسح الله بالروح القدس والقدرة يسوع الناصري؛ فاجتاز وهو يحسن إلى الناس، ويبرئ جميع الذين أرهقهم الشيطان، لأن الله كان معه. ونحن شهود بكل ما صنع في أرض اليهود وفي أورشليم. هو الذي قتلوه معلقين إياه على خشبة. وهو نفسه قد أقامه الله في اليوم الثالث، وآتاه أن يظهر، لا للشعب كله، بل لشهود قد اصطفاهم الله من قبل، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات. وقد أوصانا أن ندعو الشعب ونشهد بأنه هو الذي أقامه الله ديَّاناً للأحياء والأموات. وله يشهد جميع الأنبياء، بأن كل من يؤمن ينال باسمه مغفرة الخطايا » (اع ١٠ : ٣٤ ـ ٤٤).

هذا هو الإنجيل الشفوي بعقيدته وطريقة عرضه. وقد خطط هذا الإنجيل الشفوي الخطوط العريضة للدعوة المسيحية التي نادى بها الرسل في كل مكان. وهو موجز الإنجيل المكتوب، وتخطيطه كما حفظته له الأناجيل المؤتلفة. لم يخرج على هذا التخطيط سوى شاهد عيان، زعيم كبطرس، هو يوحنا الرسول الحبيب في إنجيله، وذلك لتسجيل ما فات التخطيط العام، وتكميل الشهادة، بعد ما زالت الأسباب القاهرة لاقتصار الدعوة على الجليل.

واتفاق الرسل على تلك الخطوط العامة في الدعوة المسيحية أعطى الإنجيل الشفوي **صيغاً محدودة، وأساليب موحّدة في التفكير والتعبير**، نجدها في الإنجيل المكتوب، بحروفه الثلاثة أي « الأناجيل المؤتلفة » بحسب متى ومرقس ولوقا.

فهناك **تجميد** في التخطيط، وتجميد على صيغ وأساليب في الشهادة والدعوة؛ أخيراً تجميد في النقل إلى اليونانية لغة الحضارة والسلطة القائمة في « المسكونة » . فقد دعا الرسل بالإنجيل في لغة المسيح، لغتهم القومية أي الأرامية السورية

أولاً؛ ثم باللغة اليونانية الشعبية التي كانت شائعة بين ظهرانيهم، وخصوصاً في « المسكونة » التي انطلقوا لفتحها للمسيح. وفي نقل الإنجيل الشفوي إلى اليونانية تجمدت الصيغ والأساليب في التفكير والتعبير أكثر فأكثر، حفاظاً على صحة النقل، وتسهيلاً للدعاة أنفسهم، كما يظهر من مقارنة « الأناجيل المؤتلفة » .

هذا هو « **الإنجيل الشفوي** » الذي « قد نطق به الرب أولاً، ثم ثبته لنا أولئك الذين سمعوه، والله يؤيد شهادتهم بالآيات والعجائب وشتى المعجزات، وبتوزيع مواهب الروح القدس على حسب مشيئته » (عبر ٢ : ٤)؛ وهو مصدر الإنجيل المكتوب.

فالإنجيل الشفوي هو إنجيل المسيح الحي، بتعليم السلطة التي أنشأها السيد المسيح وأعطاها مواعيد العصمة والخلود، بحضوره معها أبد الدهر، وبتأييد الروح القدس لها، دعوة وكتابة. والكلمة الحية أفضل من الحرف الميت ولو كان منزلاً : فلا تجمع أمة المسيح على تحريف أو ضلال من الحرف الميت ولو كان منزلاً. فلا تجمع أمة المسيح على تحريف أو ضلال. لكن، كان لا بدَّ من تدوين الإنجيل، قبل انقضاء عهد الرسل، الشهود العيان.

*

٢ـ الإنجيل الشفوي هو مصدر الإنجيل المكتوب

سبق **تدوين** الإنجيل بوحي الروح القدس، **تجميده** على صيغ وأساليب في ثلاث مراحل : في تخطيط الدعوة، وفي إعلانها في البيئة اليهودية باللغة الأرامية، أخيراً في نقلها إلى اليونانية في البيئة الهلنستية.

في مرحلة أولى، لا شك أن بعض الرسل، وبعض تلاميذهم، وبعض المسيحيين الجدد من يهود و « أميّين » قد حاول تدوين بعض أقوال الرب وبعض أعماله الخارقة، أولاً بالأرامية، ثم باليونانية عند انتشار الإنجيل الشفوي بين « الأميين » ، « المتقين الله » من الأمم (اع ١٠ : ٢٢؛ ١٣ : ١٦، و٢٦ و٤٣

و٥٠؛ ١٦ : ١٤). وكان لهم في ذلك مثال من المجموعات التي كان يعملها من التوراة والنبيّين بعض علماء الدين والدعوة من اليهود. ونرى آثار هذه المجموعات من أقوال أو أعمال في « الأناجيل المؤتلفة » ، خصوصاً في الإنجيل بحسب متى.

في مرحلة ثانية، وقد انتشر الإنجيل في البيئة اليهودية والهلنستية، خصوصاً بين المثقفين أمثال ابلوس الفيلسوف الخطيب الاسكندري (اع ١٨ : ٢٤ ـ ٢٦) ولوقا الطبيب الأديب الانطاكي (اع ١٦ : ١٠ ـ ١٢) دعت الحاجة والرغبة إلى تدوين ما أمكن من أقوال الرب وأعماله، بشهادة مؤرخ المسيحية الأول القديس لوقا، في مطلع إنجيله.

أخيراً جاءت المرحلة الثالثة، مرحلة تدوين الإنجيل في أسلوب سيرة منظمة لحياة المسيح ودعوته، قبل زوال الرسل، الشهود العيان لها. فتسابق القوم إلى أخذ هذه السيرة من مواطنها؛ وتدوينها في أسلوب تاريخي تعليمي دفاعي.

ونلمح تطور هذه المراحل الثلاث في مطلع الإنجيل بحسب لوقا :

« أيها العزيز، حبيب الله. لقد أخذ كثيرون في تدوين الأحداث التي جرت بين ظهرانينا على حسب ما نقلها إلينا، أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا دعاة لها. فرأيت أنا أَيضاً، وقد تحرّيت بدقة جميع الأمور من أولها، أن أكتبها إليك بحسب ترتيبها، لكي تكون على بيّنة من صحة التعليم الذي اهتديت إليه » .

*

٣ـ مصادر الإنجيل المكتوب الأخرى

إن صح التعبير، لأن الإنجيل كشف من المسيح وتعليم؛ ثم نقل ودعوة بالرسل الشهود العيان أنفسهم ـ هم **هؤلاء الرسل، شهود العيان** الذين ينقلون لنا شهادتهم في أحوال المسيح وأعماله وأقواله. ثم **كتابات متفرقة** مستقلة

سجلت بعضاً من تلك الشهادة المنقولة. أخيراً محاولات بعض الرسل وأتباعهم في ترتيب الشهادات والكتابات في **سيرة منظمة**.

لا شك أن من جملة الذين سبقوا لوقا، ممن ذكرهم في مطلع إنجيله وكانوا له أيضاً مصدراً ومثالاً، الإنجيل بحسب متى في الأرامية، والإنجيل بحسب مرقس باليونانية، كما توضحه القرائن اللفظية والمعنوية والأسلوبية والموضوعية، ولا نذكر الإنجيل بحسب يوحنا لأنه متأخر عنهم بنحو أربعين سنة.

ومن تلك المحاولات العديدة لوضع سيرة السيد المسيح، لم يحفظ المسيحيون سوى **الأناجيل الأربعة الشرعية. وشرعيتها تقوم على رسوليتها** أي مصدرها الرسولي، فهي تتمتع بالعصمة الرسولية التي وعد بها المسيح رسله **دعوة وكتابة**. فمتى ويوحنا رسولان تبعا المسيح منذ اللحظة الأولى؛ ومرقس كان ترجمان بطرس الزعيم، كما كان لوقا ترجمان بولس الرسول، وقد استفاد من توقيف بولس في قيصرية فلسطين مدة سنتين ليجمع معلوماته من شهود العيان للدعوة، ومن آل بيت المسيح للسيرة، خصوصاً من السيدة العذراء أم المسيح، ومن رفيقاتها اللواتي رافقن المسيح في الدعوة والاستشهاد والقيامة.

وعدّت الكنيسة ما عداها من الأناجيل ـ وقد قاربت الأربعين ـ « **أناجيل منحولة** » قد وُضعت على ألسنة الرسل، والرسل منها براء. والدليل الأكبر أن الكنيسة قبلت كمُنزَلَين الإنجيل بحسب مرقس وبحسب لوقا، مع أن واضعيهما ليسا من الرسل، ورفضت في التلاوة الرسمية بالصلاة ما سمّي : « إنجيل بطرس، إنجيل توما، إنجيل يعقوب، إنجيل الاثني عشر رسولاً » لأنها استنكرت صحتها وأنكرت نسبتها. وتلك الأناجيل المنحولة لا تصح تاريخيتها، مهما كان فيها من واقعية أحياناً، لأنها ليست رسولية، ولم تقبلها الكنيسة كرسولية. فهي موضوعة حيناً عن هوى، لمعرفة ما خفي من سيرة المسيح، أو عن غوى لنشر بدعة على لسان رسول.

وأحدث هذه الأناجيل المنحولة ما يسمّى، (**إنجيل برنابا**)، وضعه راهب طلياني أسلم، اسمه الأخ مارينو بمساعدة مصطفى العرندي الاسباني، في أواخر القرن السادس عشر للدلالة على **أن المسيح ليس عيسى ابن مريم، بل** « **الرسول محمد** » ، كما أشار في تسميته (الإنجيل الصحيح ليسوع **المسمّى** المسيح). ودعوة (إنجيل برنابا) هي ضد الإنجيل والقرآن، والإسلام والمسيحية على السواء، وأن تظاهر مع الإسلام بالقول ببشرية يسوع المسيح، ورفعه إلى السماء بدون قتل ولا صلب، ونزوله من السماء ليظهر لرسله كأنه قائم من القبر : مواقف متدافعة متعارضة.

*

٤ـ الإنجيل المكتوب بأحرفه أو نصوصه الأربعة

فعدد الأناجيل الشرعية أربعة، كما نقلت المسيحية بالتواتر في تعليمها وفي آثارها، منذ الرسل إلى اليوم.

شرعيتها تقوم، كما قلنا، على رسوليتها أي قبول الرسل لها، وقبول المسيحية لها بالتواتر جيلاً بعد جيل كرسولية.

وتاريخيتها تقوم على شهادة الكنيسة المتواترة لها، في تعليمها وآثارها؛ وعلى شهادة الأناجيل لنفسها شهادة لا ترد، وعلى موافقة القرائن التاريخية المعاصرة.

وعددها يقوم على تعليم الكنيسة المتواتر به منذ عهد الرسل إلى اليوم. شاهد واحد من القرن الثاني يجمع في شهادته الشرق لأنه منه، والغرب لأنه أسقف ليون، ويمثل شهادة الكنيسة لأنه ينقل عن معلمه الذي عاصر وعاشر آخر الرسل على قيد الحياة يوحنا الرسول؛ عنيت به **ايريناوس** في كتابه (الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٢) قال : « الأناجيل أربعة لا أكثر ولا أقل. فكما أن العالم يقسم إلى أربعة والأرواح أربعة؛ وبما أن الكنيسة تشمل العالم كله،

وسندها وعمودها الذي يحملها هو الإنجيل، وروح الحياة : فلا بدّ حينئذ أن تكون الكنيسة مؤسسة على تلك الأعمدة الأربعة، والتي ينبثق منها الخلود والحياة للبشرية جمعاء)) .

وقد أجمعت الكنيسة مدى أَجيالها على أن كاتبي الأناجيل الأربعة الشرعية هم متى الرسول ومرقس ترجمان بطرس، ولوقا تلميذ بولس، ويوحنا الرسول. ويذكر الفم الذهبي، وهو شرقي من انطاكية، أنه ليس من عادة الشرقيين أن يضعوا أسماءهم على مؤلفاتهم، لذلك لم يذكر الإنجيليون أسماءهم على الأناجيل التي كتبوها بوحي الروح القدس. ولم يكونوا بحاجة إلى ذلك، فقد فعلته الكنيسة تلاوة في الصلاة لأنها تعرف كاتبيها؛ بتسميتهم حين التلاوة ونقله بالتواتر تلاميذهم الذين تسلموا تلك الآثار المقدسة، كما ختم تلامذة يوحنا الرسول شهادتهم للإنجيل كتوقيع منهم عنه : ((فهذا التلميذ هو الشاهد بهذه الأمور، وهو الذي كتبها؛ ونحن نعلم أن شهادته حق)) (يو ٢١ : ٢٤).

ولنا دلائل، على صحة الأسانيد، والشهادات المتواترة التي تؤيدها، وبراهين لها، من كل جيل، في الآثار والأخبار.

*

٥ـ بعد عهد الرسل، اقتصر الإنجيل الشفوي على الإنجيل المكتوب

فصلة الإنجيل المكتوب بالإنجيل الشفوي صلة كيانية، **صلة مصدرية** في الإنجيل الشفوي، **وصلة تدعيمية** في الإنجيل المكتوب.

ويظل الإنجيل الشفوي، الذي تحمله السلطة المعصومة منذ الرسل، تحفظه وتفصّله لكل جيل، **أوسع** من الإنجيل المكتوب، بشهادة آخر كتبة الوحي يوحنا الرسول : ((وعمل يسوع أمام التلاميذ آيات أخرى كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب)) (٢٠ : ٣٠)، وبشهادة حاشيته وصحابته الذين أئتمنهم على

تعليمه وإنجيله : « وصنع يسوع أيضاً أشياء أخرى كثيرة، فلو أنها كتبت واحداً فواحداً لما خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة » (٢١ : ٢٥).

ويظل الإنجيل الشفوي **أبلغ من** المكتوب لأنه حي في السلطة المعصومة التي تنقله وتفصله. أجل إن الإنجيل المكتوب تظل له صفة الوحي في حرفه ومعناه، ولكن يظل تأويله المعصوم من اختصاص السلطة المعصومة التي أقامها السيد المسيح لحفظ الإنجيل الشفوي والإنجيل المكتوب. فالمسيحية هي دين الصوت الحي المعصوم قبل الحرف المنزل المختوم، لأن هذا الصوت الحي المعصوم ينطق بتأييد الروح القدس المختوم : « يقيم فيكم ويكون معكم » (يو ١٤ : ١٧). **وفي الواقع** اقتصر الإنجيل الشفوي على الإنجيل المكتوب بعد عهد الرسل.

والوحي المسيحي شخص منزل أكثر منه وحياً منزلاً. وذلك لأن خاتمة كلمات الله للبشر كانت تنزيل « كلمة الله » الذاتية، قبل « كلام الله » المنزل معه. ويسوع المسيح، كلمة الله، كشف لنا في ذاته عن الله وعنَّا، أبلغ وأعجز مما كشف في الوحي الإنجيلي لنا. لذلك فإن المسيحية قبل أن تكون دين كتاب وتنزيل إنجيل، **هي تنزيل ذات « كلمة الله »** ، ودين الله في شخص من قال « أنا الصراط والحقيقة والحياة! لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي! من رآني فقد رأى الآب! » (يو ١٤ : ٦ ـ ٩).

بحث ثالث

الإنجيل واحد أم أربعة ؟

رأينا في البحث الأول أن الإنجيل الذي دعا به السيد المسيح واحد، والإنجيل الشفوي الذي دعا به الرسل واحد. وها نحن **أمام واقع** أناجيل أربعة. فهل الإنجيل واحد أم أربعة ؟ وبما أنه في الأصل واحد، أليس في هذا التعدد شبهة على سلامة حفظ الإنجيل، وعلى صحة الإنجيل في أربعة ؟

١ـ النظرة التاريخية :

أجل، إن إنجيل المسيح واحد، والإنجيل الشفوي الذي دعا به الرسل واحد. ولكن جرى للإنجيل الواحد **أربع عرْضات في أربع بيئات مختلفة.**

في نشر الدعوة المسيحية الواحدة، بالإنجيل الشفوي الواحد، جابه الرسل في عرض الإنجيل الواحد **أربعة عوالم مختلفة،** تأتلف بالحضارة الهلنستية المسيطرة على « المسكونة » بفضل إمبراطورية قيصر.

كان هناك عالم ضيق صغير هو **عالم يهود فلسطين،** بيئة الكتاب والنبيين والمسيح ورسله؛ عالم مغلق على نفسه في قلب الإمبراطورية المسكونية. وكان هناك أيضاً **عامل الحضارة الهلنستية،** أي الحكمة اليونانية المطعّمة بالغنوصية الشرقية، التابعة سياسياً لرومة والمتفوقة عليها بحضارتها وثقافتها، ذاك العالم الهلنستي المغلوب سياسةً والغالب ثقافة. وكان هناك أخيراً **العالم الروماني**

الطاغي على المسكونة بعسكريته وحقوقيته، المتفاعل معها بحضارته، المنفعل بها بثقافتها، يطبع المسكونة بطابعه ضمن الوثنية الحاكمة المتحكمة. وعلى هامش تلك العوالم الثلاثة، المتميزة قوميةً وثقافة، والمنصهرة في بوتقة واحدة سياسة وحضارة، بدأ ينشأُ مع السيد المسيح ورسله **عالم جديد** بعقيدته وشريعته وصوفيته، يأتلف مع العالم الكبير المحيط به حضارة، ويختلف عنه بثقافته الجديدة الخاصة.

فاضطر رسل المسيح أن يكيفوا، بتأييد القدس، الدعوة المسيحية والوحي الإنجيلي في عرضه، بحسب تلك البيئات الأربع المختلفة. فكان لدينا **الإنجيل الواحد بأربعة أحرف أو نصوص.**

*

بدأ الرسل الدعوة بالوحي الإنجيلي في محيطهم اليهودي. فأظهروا لبني قومهم أن يسوع هو النبيُّ الأعظم الذي تذكره التوراة، والمسيح ابن داود الذي يتنبأ عنه الأنبياء، وسيد ملكوت السماوات الذي تنشده مزامير الزبور، والحكمة المنزلة التي تنتظرها أسفار الحكمة. فجاءت هذه **العرضة الأولى** في الإنجيل بحسب متى : « إنجيل يسوع، المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » (متى ١ : ١).

وانتقلت الدعوة المسيحية من عاصمة الدين والتوحيد، إلى عاصمة الدولة في روما قلب « المسكونة » والعالم الروماني، بزعامة زعيم الرسل مار بطرس، ومعاونة ترجمانه مرقس. فكان لا بد من أن تتفاعل الدعوة بالوحي الإنجيلي مع العقلية الرومانية وشغفها بالخوارق والبطولات. فكان الإنجيل بحسب مرقس، رواية بطرس، **العرضة الثانية** « لإنجيل يسوع، المسيح، ابن الله » (مرقس ١ : ١).

وما بين أورشليم وروما كانت الدعوة المسيحية بالوحي الإنجيلي تنتشر في

العواصم الهلنستية من انطاكية إلى افسس إلى آثينا، بزعامة الرسول بولس، ومرافقه الطبيب الأديب لوقا الانطاكي. هنا قوميات متفرقة، مع عقلية مختلفة، وثقافة متنوعة. فكان لا بد للوحي الإنجيلي من أن يتكيف في عرضه، لا في موضوعه، مع هذا العالم الهلنستي. فكانت **العرضة الثالثة** في الإنجيل بحسب لوقا.

ثم جاء اضطهاد الدولة الوثنية للمسيحية في عهد نيرون، فسُحقت المقاومة اليهودية وأنهار العالم اليهودي في حرب السبعين. وعاش المسيحيون في المسكونة منكفئين على أنفسهم يتأملون في مصيرهم ومصير الدولة، «التنين» الذي يكاد يبلعهم. مع ذلك تسحر دعوتهم وحياتهم العالم الهلنستي الذي تفرقوا فيه، فيُقبل عليهم غير عابئ بدولته الوثنية. وفي أواخر القرن الأول الميلادي كان هذا العالم المسيحي الصغير، المنتشر في العالم الروماني الكبير، قد اتخذ شكل حياته المميزة في عقيدته الخاصة وشريعته الخاصة، وصوفيته الخاصة، وعبادته الخاصة. ولم يبقَ من الرسل على قيد الحياة سوى نسرهم، الرسول الصوفي، يوحنا الحبيب. وكان هذا الرسول بسبب نزعته الفطرية، وبيئته الغنوصية، في آسيا الصغرى، ما بين سوريا واليونان، ما بين الشرق والغرب، ينحو في دعوته المسيحية منحى الصوفية، وينشر من الوحي الإنجيلي خصوصاً ما كان يحتفظ به الرسل في دعوتهم للخاصة من أَتباعهم، ما لم يكن العالم الروماني، ولا العالم اليهودي ليستسيغه من الوحي الإنجيلي. وكان المسيحيون يتشوقون إلى تدوين سر المسيح والإنجيل قبل موت الرسول الصوفي الحبيب. فحمل روح الله رسول المسيح على كتابة سر المسيح من الوحي الإنجيلي. **فكانت العرضة الرابعة والأخيرة** في الإنجيل بحسب يوحنا.

وهكذا دُوِّن الإنجيل في أربع عرْضات على أَربع بيئات مختلفة. **فإنجيل المسيح واحد بأربعة أحرف أو نصوص**، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

هناك حديث شريف صحيح يقول: «نزل القرآن على سبعة أحرف»

وفسّره إمام المفسرين الطبري : ((سبعة نصوص باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني)) . ثم روى كيف أتلف الصحابة نصوصاً ستة ليسلم واحد منها، الحرف العثماني، خشية الفرقة والاختلاف في الأمة. بينما صحابة المسيح، والمسيحيون من بعدهم، **ابقوا على الأحرف الأربعة للإنجيل الواحد؛** ولم يأبهوا للأناجيل المنحولة العديدة. وفي هذا الأمانة لوحي الله، والمعجزة في حفظ إنجيل المسيح.

وبعد، ففي عرف الشرع العام لكل الأديان والأقوام، **إن شهادات أربع لسيرة واحدة،** باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، دليل الصدق والصحة أكثر من شهادة واحدة. فليس في تعدد نصوص الوحي الإنجيلي من شبهة على صحتها ولا من شبهة على شهادتها : إنها مع فوارق ظاهرية عرضية، شهادة جوهرية واحدة تؤيد صحة الإنجيل الواحد في أحرفه الأربعة.

*

٢ـ النظرة الأدبية الفنية

يسمى الإنجيل بحسب متى ومرقس ولوقا، في نصوصه الثلاثة، ((**الأناجيل المؤتلفة**)) لأنها تأتلف في التخطيط، والموضوع، والتفكير والتعبير، إلى حد مدهش يجعلها من ((**المختلف المؤتلف**)) . وقد حيّر سر ائتلافها العام واختلافها الخاص علم العلماء.

بعد مشكل التعدُّد في أحرف الإنجيل، يأتي مشكل الائتلاف والاختلاف فيما بينها : فما هو سر المؤتلف المختلف، أو المختلف المؤتلف، فيها ؟

نظرة أدبية فنية قد تدلنا إلى فهم السر في تكوينها.

١) الواقع الإنجيلي فيها يُظهر لنا أن **الائتلاف العام** فيها قائم في الموضوع الواحد، وترتيب الحوادث الواحد، والتعبير الواحد أحياناً.

من حيث الموضوع : إن عدد آيات متى (١٠٧٠)؛ ومرقس (٦٧٧)،

ولوقا (١١٥١). يستقل فيها متى بنحو (٣٣٠)، ومرقس بنحو (٦٨) آية، ولوقا بنحو (٥٤١) آية. هذه الآيات المستقلة ينفرد فيها كل من كتبتها بمصدره. ويشترك متى ومرقس بنحو (١٧٠ ـ ١٨٠) آية؛ ويشترك متى ولوقا بنحو (٢٣٠ ـ ٢٤٠) آية؛ ويشترك مرقس ولوقا بنحو (٥٠ ـ ٦٠) آية؛ وتشترك الأناجيل الثلاثة بنحو (٣٣٠ ـ ٣٧٠) آية. هذه الآيات المشتركة يشتركون فيها مصدراً وتأليفاً.

ومن حيث تنسيق المواضيع وترتيب الحوادث، فالتخطيط العام واحد في الثلاثة : دعوة المعمدان، ثم رسالة المسيح في الجليل، ثم رسالة المسيح (مرة واحدة بحسب الظاهر) في أورشليم، واستشهاده فيها وقيامته وارتفاعه إلى السماء. والتخطيط الخاص متقارب : نجد الحوادث نفسها تقريباً، والمعجزات ذاتها تقريباً، والأقوال والأمثال ذاتها تقريباً.

ومن حيث التعبير كثيراً ما نجد التعابير المتشابهة فيما بينها.

٢) والواقع الإنجيلي أيضاً يظهر لنا فيها، مع الائتلاف العام، بعض **الفوارق الخاصة** في الموضوع والتنسيق والتعبير.

ففي الموضوع نجد بعض الخلاف بين نسب يسوع في متى (١ : ١ ـ ١٧) وفي لوقا (٣ : ٢٣ ـ ٣٨)؛ وبين ترتيب أحداث تجربة يسوع بعد عماده في متى (٤ : ١ ـ ١١) وفي لوقا (٤ : ١ ـ ١٣)؛ وفي شفاء أعمى أريحا : أين صارت المعجزة ؟ وهل كان أعمى واحد أم أعميان ؟ وفي العشاء السري : متى كان التقديس ؟ وما هي صيغته الأصلية ؟ وفي قصة نكران بطرس لمعلمه؛ وفي موقف اللصّين على الصليب؛ وفي صيغة حكم الإعدام.

ـ أجل إنه خلاف ظاهري توضحه القرائن والأهداف، ولكنه خلاف قائم على كل حال.

وفي تنسيق أحداث السيرة نجد أن متى يجمع تعاليم المسيح في خمس مجموعات مستقلة، بينما يوزعها لوقا على الأحداث المتعاقبة. وينفرد لوقا بقسم في وسط الأحداث (٩ : ٥١ ـ ١٨ : ١٤). والمجموعات الخطابية في متى تقطع أحداث السيرة إلى مجموعات مماثلة، بينما هي في لوقا تسير في اطراد تاريخي.

وفي التعبير أيضاً هناك اختلاف مثلاً في صيغة التقديس، أو صورة الحكم بالإعدام، أو نسب يسوع.

تلك لمحة عن المؤتلف المختلفة في واقع الأناجيل الثلاثة المتوازية. أجمع العلماء على تفسير هذه الظاهرة الفريدة أن المؤتلف فيها يرجع إلى وحدة المصدر واستعانة الواحد بالآخر في الكتابة؛ وأن المختلف فيها يرجع إلى استقلال في المصدر أو في الكاتب.

*

٣) عناصر الحل عندنا ثلاثة في ثلاثة :

ثلاث تجميدات متواترة في الإنجيل الشفوي : تجميد في التخطيط الذي حدده بطرس الزعيم للدعوة المسيحية؛ وتجميد في الرواية الأرامية الشفوية على صيغ وأساليب؛ وتجميد في النقل الأولي من الأرامية إلى اليونانية.

وثلاث مراحل في التدوين : تدوين متفرقات من أقوال وأعمال الرب يقوم بها المؤمنون من تلقاء أنفسهم؛ ثم تدوين مجموعات من الأقوال ومن المعجزات والأحداث لمساعدة الدعاة والمبشرين؛ أخيراً محاولات فردية لصيغة هذا التراث المتفرق في سيرة موحدة. وفي ختام هذه المرحلة الأخيرة، وقد تجمعت التجميدات والتدوينات، يصير تدوين الإنجيل بطريق شبه رسمية.

*

٤) ثلاثة مبادئ في جمع الإنجيل :

أولاً : لا تصح إلاَّ رواية رسول شهاد عيان : فكانت رواية متى الأرامية ورواية بطرس مرقس، ورواية يوحنا المستقلة.

ثانياً : بما أن رواية متى الأرامية ظلت محصورة في بيئة اليهود النصارى، كما هو متواتر في الآثار، فقد أجمع العلماء أن الرواية الأولى اليونانية هي إنجيل مرقس عن بطرس، فهو إذن مستقل في تأليفه عن لوقا ومتى اليوناني؛ وقد لا يكون مستقلاً عن متى الأرامي.

ثالثاً : أجمع العلماء، على اختلاف في التفصيل، أن لوقا أَخذ عن متى الأرامي وعن مرقس، مع تنقيح لغوي وبياني للغة مرقس الشعبية. وإن متى اليوناني استعان في ترجمة متى الأرامي بإنجيل مرقس؛ مع استقلال لوقا ومتى اليوناني ببعض مصادرهما من التدوينات الأولى المتفرقة واستقلالهما في شخصيتهما الأدبية.

فالائتلاف في التفكير والتعبير بين متى ولوقا من جهة وبين مرقس، أقرب منه ما بين لوقا ومتى اليوناني، ولكنهما قد يتقاربان في الأصول المشتركة التي ينفردان بها عن مرقس، كإسقاطهما الأحداث الخمسة التي ينفرد بها مرقس، وبعض الإشارات المرقسية، أو كأخذهما معاً ببعض زيادات طفيفة مستقلة عن مرقس.

هذه صورة متقاربة لسر الائتلاف العام والاختلاف الخاص في الأناجيل الثلاثة المتوازية :

وظاهرة « المؤتلف - المختلف » في الأناجيل الثلاثة المتوازية **ضمانة لتاريخيتها وصحتها.** فالخلاف ظاهري والائتلاف باطني. وهذا الواقع يزيد في صحتها وصدقها لأن **الائتلاف الظاهري** الكامل موضع شبهة. وهذا الواقع أيضاً يزيد من قيمة الأناجيل التاريخية لأنها شهادات مستقلة ومتواترة معاً، من بيئات تاريخية مختلفة، تجمع على الشهادة الواحدة للحدث الأعظم في تاريخ البشرية. وقديماً قال أحد الفلاسفة اليونان، هيراقليط : « **ائتلاف باطني خير من ائتلاف ظاهري** » ! وبحسب لغة الطبري، مفسر القرآن الأكبر : نزل الإنجيل على أربعة أحرف، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

*

٣ـ النظرة الموضوعية والأسلوبية

والمشكل الثالث أن بين الأناجيل المؤتلفة والإنجيل بحسب يوحنا فارقاً كبيراً في الموضوع والأسلوب : فما هو الأوثق ؟ هل هو رواية الأناجيل المؤتلفة أم رواية الإنجيل بحسب يوحنا ؟

(١) مظاهر الخلاف ترجع إلى الأسلوب أكثر منها إلى الموضوع :

فهناك خلاف **في التخطيط** : بينما تحصر المؤتلفة سيرة المسيح في دعوته بالجليل، وفي رحلة وحيدة إلى أورشليم؛ نرى يسوع في الإنجيل بحسب يوحنا يتردد على أورشليم بمناسبة الأعياد الكبرى ويدعو فيها بدعوة أسمى من دعوة المؤتلفة. فكأن المؤتلفة « الإنجيل الجليلي » ، ويوحنا « الإنجيل الأورشليمي » .

وهناك خلاف **في نوع التعليم** : بينما تدعو المؤتلفة إلى تأسيس ملكوت الله يجعل يوحنا هذا الملكوت في الاتحاد والحياة مع الذي هو « الصراط والحقيقة والحياة » لله وفي الله الآب : فيصير ملكوت الله في العالم، الحياة في الله.

وهناك خلاف في التطور **بالتصريح عن شخصية يسوع** : بينما المؤتلفة تتدرج حتى النهاية من التلميح إلى التصريح، نرى يسوع في الإنجيل بحسب يوحنا لا يتحفظ بإعلان سر شخصيته منذ البداية.

وهناك خلاف في **فهم سيرة المسيح** بين الظاهر في دعوة ترفضها السلطة اليهودية، عند المؤتلفة؛ وبين الباطن عند يوحنا في سيرة قوامها صراع ملحمي بين النور والظلمة، بين المسيح والشيطان، بين المسيح والزعماء، بين الإيمان والكفر.

وهناك **خلاف في إنشاء يسوع** : بينما هو دعوة شعبية في المؤتلفة، إذا به عند يوحنا دعوة صوفية، تعتمد الرمزية في أحوال وأقوال وأعمال المسيح.

وهناك **خلاف في الموضوعات** : يذكر يوحنا ما لا يذكرون، ويذكرون ما لا يذكر، وذلك في أكثر الأحيان، فهو الإنجيل الأورشليمي، وهم الإنجيل الجليلي.

وهناك خلاف **في أبعاد شخصية السيد المسيح** : إنه في المؤتلفة المسيح، ابن الله الآب؛ ويوحنا يصف هذه النبوة وصلتها بالله والعالم والخلود، بالتصريح أكثر من التلميح.

(٢) ولكن **الائتلاف بين يوحنا والمؤتلفة قائم**، بواطنه أكبر من ظواهره.

إن يوحنا يحفظ التخطيط العام : العماد في الأردن، والدعوة في الجليل، والدعوة في العاصمة، والاستشهاد والقيامة، ولكنه **يكمّله** بتحديداته الزمانية والمكانية والتعليمية فيما اقتصرت الدعوة الأولى على الخطوط الكبرى.

لذلك نرى فيه **ائتلافاً ضمنيّاً في الموضوعات** التي يذكرون ولا يذكر، ويذكر ولا يذكرون : من التسع والعشرين معجزة التي تنقلها المؤتلفة لا يحتفظ إلا بتكثير الخبزات، والمشي على الماء الذي يعقبها (٦ : ١ ـ ٢١) ويكملها بست معجزات من عنده : معجزة الخمر في قانا (٢ : ١ ـ ١١) شفاء ابن قائد كفرناحوم (٤ : ٤٦ ـ ٥٤) شفاء مقعد بركة الغنم (٥ : ١ ـ ٩) شفاء الأعمى منذ مولده (٩ : ١ ـ ٧) قيامة لعازر (١١)، الصيد المعجز بعد القيامة (٢١ : ١ ـ ١٤) وذلك لدلالتها الرمزية والتعليم الذي لازمها. ولا يذكر الخطابات التي نقلها متى ووزعها لوقا بل يضيف إليها الخطابات في التعليم العالي الذي لم يسلم للشعب بل لعلمائه.

وفيه ائتلاف في التعليم مع تكميل له : ينقلون التعليم الشعبي وينقل التعليم الخاص. وهذا جرى عادة في أورشليم عاصمة العلم والدين، تارة في الهيكل، وطوراً مع أفراد أو جماعات من العلماء؛ وكان الشعب في الدعوة الأولى بغنى

عنه؛ وكشفه يخلق متاعب للجماعة المسيحية. لذلك يذكر في سيرته ثلاثة أعياد للفصح (٢ : ١٣؛ ٦ : ٤؛ ١٢ : ١) لا عيداً واحداً مثل المؤتلفة؛ وهذا يعطينا أربع رحلات إلى أورشليم (٢ : ١٣؛ ٥ : ١؛ ٧ : ١٠؛ ١٢ : ١٢) لا رحلة واحدة مثل المؤتلفة. ولكن لوقا يشير من طرف خفي إلى تلك الرحلات. فيكمل يوحنا تاريخ السيرة، ورواية التعليم الخاص في اليهودية.

وهناك **ائتلاف أحياناً في الإنشاء**. الخلاف في الإنشاء يفسره أسلوب التعليم العام للشعب، والتعليم الخاص للخاصة؛ ولكن هناك ظروف عامة يرتفع فيها إنشاء التعليم العام إلى مرتبة إنشاء التعليم الخاص : يسوع سيد الشريعة، التطويبات، المعرفة المتبادلة بين الأب والابن (متى ١١ : ٢٥ ـ ٢٧) صلاة أبانا.

وفي **التصريح عن سر شخصية المسيح ائتلاف** : يقتصر الخلاف على مخاطبة العامة أو الخاصة؛ من هنا كان التصريح للعامة ـ والرسل أميون قبل أن يعلمهم الرب ـ في تطور صاعد؛ بينما كان التصريح للخاصة واضحاً منذ البداية، مع نيقودمس ومع السامرية، ومع آل لعازر، ومع علماء الهيكل. هنا أيضاً تكميل، لا تعديل.

لذلك بين يوحنا والمؤتلفة **ائتلاف صريح في فهم سيرة المسيح ودعوته** : إنه يسوع المسيح ابن الله المخلّص، في المؤتلفة؛ وكذلك عند يوحنا : « وإنما كتبت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم الحياة باسمه، إذا آمنتم » (٢٠ : ٣١).

والأبعاد في تصوير شخصية المسيح : تأتلف باطنياً ائتلافاً واضحاً : يقول يوحنا إن يسوع المسيح هو « الصراط والحقيقة والحياة » ، « النور والحق والقيامة » ؛ والمؤتلفة يقولون إنه سيد الشريعة مثل أبيه، وسيد الطبيعة والحياة مثل أبيه، وسيد الملائكة والبشر والشياطين مثل أبيه، وسيد النبوة والوحي

والدين مثل أبيه، وسيد الدنيا والآخرة وملك يوم الدين مثل أبيه : ففي كليهما نزل من السماء وولد من العذراء ودعا بالإنجيل، وتألم ومات، وقام وصعد إلى السماء، فهو حي خالد في السماء مع أبيه، وحي عامل مع رسله على الأرض. فليس الخلاف في الأبعاد بتصوير شخصية السيد المسيح، بل الخلاف كل الخلاف في الأسلوب أكثر في الموضوع.

(٣) فالإنجيل بحسب يوحنا، والأناجيل المؤتلفة، **هي نوع آخر من « المختلف المؤتلف »**، يرجع إلى الأسلوب أكثر منه إلى الموضوع.

فميزات الإنجيل بحسب يوحنا ترجع إلى أسلوبه الفريد في التفكير والتعبير وهي تفسر الخلاف الظاهري بين يوحنا والمؤتلفة.

نزعة يوحنا صوفية بفطرته قبل أسلوبه، وفي بيئة دعوته بأفسس قبل إنجيله : فسر سيرة المسيح، في نظره، يفسر سر شخصيته. لذلك يقتصر على الأحوال والأعمال والأقوال التي في سيرة المسيح تفسير سر شخصيته وسر رسالته. ففي نظره سر المسيح يكشف سر الله، وسر الله يظهر في شخصية المسيح وعلى وجهه.

وهذه النزعة الصوفية، بالفطرة والأسلوب، **تحمله على نزعة أخرى إلى الرمزية** في رؤية الأحوال والأعمال والأقوال، وإلى تصويرها تصويراً رمزيّاً في رواياتها : يسوع يطهر الهيكل من تجّار الدين لأنه هو هيكل الله الحي؛ يسوع يحول الماء إلى خمر لأنه هو الخمرة الجديدة للبشرية؛ يسوع يكثر الخبزات لأنه هو خبز الحياة؛ يسوع يشفي الأكمه لأنه هو نور العالم؛ يسوع يشفي المقعد لأنه هو حياة العالم؛ يسوع يقيم لعازر لأنه هو القيامة والحياة؛ يسوع هو الصراط والحقيقة والحياة لأنه هو والآب واحد؛ يسوع هو ابن الله لأنه كلمة الله.

وتلكما النزعتان الصوفية والرمزية تبعثان فيه **نزعة ملحمية في التفكير**

والتصوير، في التدبير والتعبير. إنه إلى جانب يسوع في كل مواقفه الخطيرة، وفي كل خلواته المثيرة، وفي كل جهاداته المصيرية. فيوحنا يطلب ناراً من السماء تلتهم المعارضين. وهو وحده تبع يسوع في آلامه حتى الصليب، وقد حاول بطرس ذلك فتعثر وعثر. لذلك يرى ما يرى غيره في الأحداث والأشخاص من رمزية وسرية، وأبعاد وأضداد، خصوصاً عندما تصدر عن « النازل من السماء » . لذلك إنجيله ملحمة مسيحية تصور الصراع المصيري بين النور والظلمة، بين الإيمان والكفر، بين المسيح والشيطان على سلطان هذا الكون، وبين المسيح واليهود على البنوة والنبوة، على « المسيحية » والألوهية. ولكن هذه النزعة الصوفية الرمزية الملحمية **لا تنفصل عن الواقع والنزعة التاريخية**؛ فنزعة يوحنا واقعية تاريخية كلما أوغلت في السرية والرمزية. بدونه لا نعرف ظروف الدعوة المسيحية، في أماكنها وفي أزمانها. أنه أوثق من المؤتلفة في تحديد الزمان والمكان والأشخاص. وما يعطيه من تعليم يحدد ظروفه الجغرافية والتاريخية كالأسبوع الأول بعد العماد والصوم (١ : ١٩ ـ ٢ : ١١) وأحداث الفصح الأول (٢ : ١٢ ـ ٤ : ٥٤) وأحداث فصح خبز الحياة (٦ : ١ ـ ٧١) وأحداث عيد اليهود (٥ : ١ ـ ٤٧) وأحداث عيد المظال (٧ : ١ ـ ١٠ : ٢١) وأحداث عيد التجديد وقيامة لعازر (١٠ : ٢٢ ـ ١١ : ٥٤). وهكذا تسير السيرة معتمدة إلى محاور محددة.

وتلك النزعة التاريخية تزيدها **نزعته التكميلية الواضحة.** فمن الواضح، وقد كتب بعد انتشار الدعوة، وانتشار الأناجيل المؤتلفة أنه يعمد، لا إلى تكرارها، بل إلى تكميلها؛ لا إلى تعديلها، بل إلى تأويلها. يريد أن يعطينا **معنى سيرة المسيح، وسر رسالته.** إنها سيرة بشرية كلها إلهية، تتخطى الزمن في مبدئها وفي مصيرها الأبدي. فهي سيرة كما هي تعليم. وهي أيضاً سيرة كما هي سر وسريرة. وأحداثها آيات أكثر مما هي معجزات. وظروفها دلالات أكثر مما هي حالات. إنها سر في سيرة أكثر مما هي سر وسيرة،

لأنها سيرة وسر كلمة الله المتجسد، في شخص يسوع المسيح، ابن مريم وابن الله.

وهاتان النزعتان التاريخية والتكميلية تدعمهما **نزعة تعليمية خاصة**. أعطت الأناجيل المؤتلفة المتوازية تعليم يسوع للعامة؛ ويريد أن يعطينا تعليم يسوع للخاصة من الشعب، وتعليم يسوع الخاص لتلاميذه. نشعر من إشارات الأناجيل المؤتلفة أن يسوع كان يصطدم بعلماء الشريعة، وكان يفسر في الخلوة لرسله ما خفي عنهم في تعليمه العام. ونشاهد أن يسوع كان يختلي مراراً، بعيداً عن الناس، مع رسله ومع الخاصة من رسله، كما على جبل التجلّي. فماذا كان يقول لهم ويسلّمهم من تعليم وأسرار ؟ هذا ما فعله يوحنا في إنجيله. فبعد أن زالت الظروف والملابسات، كشف لنا عن تعليم يسوع الخاص لأفراد أو جماعات من علماء الشريعة، ورعاة الهيكل، وعن تعليم يسوع الخاص لرسله، الذي أوجزه في خطاباته لهم بعد العشاء السري. فالإنجيل بحسب يوحنا يعطينا تعليم المسيح الخاص، بعد التعليم العام في المؤتلفة. ونوجز القول : الإنجيل بحسب يوحنا هو « **الإنجيل الأورشليمي** » ؛ بينما الأناجيل المتوازية المؤتلفة هي « **الإنجيلي الجليلي** » .

ولكن هل كان عند يسوع من تعليم عام وتعليم خاص ؟ أجل فمن المعروف والمألوف أن خطاب المعلم، كل معلم، للعامة غير خطابه للخاصة. وتحفظ لنا الأناجيل إشارة إلى ذلك في قولها : « وكان يفسر لهم في الخلوة ما خفي عنهم » . وحفظ الرسل عن معلمهم هذا الأسلوب، فما كانوا يسلمون من الدعوة المسيحية للعامة ما يسلمونه للخاصة. نرى تصريحاً بذلك في الرسالة إلى العبرانيين : « فأنتم الذين كان عليهم أن يكونوا مع الوقت معلمين، تحتاجون من جديد إلى من يعلمكم **الأركان الأولى** لأقوال الله، وبتّم بحاجة إلى اللبن الحليب، لا إلى الطعام القوي. أما الطعام القوي فهو للبالغين ... مع ذلك فلندع التعليم الابتدائي لنرتفع إلى التعليم التكميلي » (٥ : ١١ ـ ١٤ و٦ : ١ ـ ٣).

فهذا التعليم الكامل يعطيه يوحنا بعد بولس وأبلس، **بميزة خاصة، ميزة الشاهد العيان** الذي شاهد بحسه وقلبه وعقله، ويشهد بخبرته وإيمانه وحبه. وهذه الميزة الجوهرية أساس كل ميزاته في مشاهدته وشهادته. فهو يشير أو يصرّح مراراً بحضوره أو مشاركته للأحداث والتعاليم التي ينقلها. وفي الأحداث الجسام يعلن عن مشاهدته وشهادته كما على الصليب « والذي عاين شهد » . وفي تقديم إنجيله في رسالته الأولى العامة، يستفتح بميزة المشاهدة والشهادة : « إن الذي كان منذ البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي تأملناه، الذي لمسناه بأيدينا، كلمة الحياة ... أجل إن الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم » !

وهكذا **فالإنجيل بحسب يوحنا هو من « المختلف المؤتلف »** مع الأناجيل المتوازية؛ والأناجيل المتوازية هي أيضاً فيما بينها من « المؤتلف المختلف » : وهذا دليل على صدق تاريخيتها، وصحة إسنادها إلى شهود العيان، وقيمة شهادتها التاريخية، إذ شهادات أربع لسيرة واحدة، ولسر شخصية واحدة، أفضل من شهادة واحدة.

فالإنجيل واحد في أربعة نصوص، لأن الإنجيل الواحد نزل؛ ثم دوّن على أربعة أحرف، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

بحث رابع

الإنجيل عقيدة وشريعة وصوفية

إنه لشائع في بيئتنا العربية أن الإنجيل « حكم ومواعظ » ولا تشريع فيه. وشائع أيضاً في بعض البيئات الغربية أن الإنجيل تعليم خلقي أكثر منه عقائدي. والواقع المشاهد يرينا أن الإنجيل عقيدة وشريعة وصوفية، على أفضل ما تكون، في أصولها أكثر من فروعها، لأن الإنجيل دستور، لا مجموعة أحكام. فالإنجيل عقيدة إلهية، وشريعة دستورية، وصوفية حياتية.

أولاً : الإنجيل عقيدة إلهية

إن الوحي الإنجيلي شخص منزل أكثر منه كتاباً منزلاً : فالعقيدة فيه سر شخصية، وسر رسالة، أكثر منه وحي تعليم.

كان وحي الله حتى يسوع المسيح **تنزيل كلام الله للناس**؛ أما في المسيح يسوع فقد صار وحي الله كشفاً شخصياً، وتجسد كلام الله في **كلمة الله الذاتية النازلة من السماء**، يؤكد ذلك سبع مرات بخطابه في خبز الحياة (يو ٦).

كان الوحي حتى المسيح نزول كلام الله؛ فصار في المسيح ظهور الله على الأرض : « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الإله، الابن الوحيد القائم في حضن الآب، وهو نفسه قد أظهره » (يو ١ : ١٨).

فالمسيح يكشف لنا سرّ الله، وسرّ المسيح الابن، وسرّ روح الله.

١ـ الإنجيل يكشف لنا **سرّ أبوّة الله في خلقه، وفي ذاته.** كان الدين حتى المسيح علاقة عبد بربه، فصار علاقة ابن بأبيه السماوي : فالله يعامل المخلوقين كأب وعليهم أن يعبدوه كأب « بالروح والحق » لا بالمراسيم والطقوس فقط. وهذه الأبوة في عنايته، دليل على أبوته في ذاته. فالمسيح يسمي الله على الدوام « أبي أيها الأب » ، ويقول « أبوكم » لأن بين المسيح والله صلة كيانية خاصة يكشفها لنا شيئاً فشيئاً، تارة تلميحاً وطوراً تصريحاً.

٢ـ **والإنجيل يكشف لنا سر شخصية المسيح**، وصلته الخاصة بالله الآب. **إن يسوع رسول الله** أكثر من الأنبياء، وأعظم من موسى، وأفضل من إيليا. لا بل إن سيد الشريعة وسيد النبوة يقدمان الخضوع، في التجلّي، للمسيح. وأعظم مواليد النساء، يوحنا المعمدان، لم يوجد إلاّ ليقدم المسيح لإسرائيل والعالم. **وإن يسوع هو مسيح الله** أعظم ممّا كانوا ينتظرون : هذا المسيح المشهود أكبر من المسيح الموعود؛ فكل الرموز « المسيحية » الموعودة تحققت فيه : هو حمل الله الحقيقي لا الحمل الفصحي (١ : ٢٠)؛ هو هيكل الله الحي، لا هيكل الحجارة (يو ٢ : ٢١)؛ هو الحي المرفوع للخلاص لا حية موسى (يو ٢ : ١٤)؛ هو خبز الحياة، لا منّ الآباء (يو ٦ : ٣٥)؛ هو الراعي الصالح، لا أحبار موسى وعلماء شريعته (يو ١٠ : ١١)؛ هو الكرمة الحقيقية، لا كرمة إسرائيل وموسى (يو ١٥ : ١)؛ هو المشترع الأعظم لا موسى (متى ٥ ـ ٧)؛ هو النبي الأعظم لا إيليا؛ هو المخلّص الأعظم، لا يشوع؛ هو الملك الأعظم أفضل من أبيه داود؛ هو عهد الله الجديد، أفضل من القديم مع إبراهيم وموسى وداود، هو المسيح الحقيقي، للعالمين، لا القومي لليهود وحدهم، إنه « ابن البشر » الذي يهيمن على الدنيا والآخرة. وإن يسوع هو « ابن الله » ليس مجازاً كالبشر، بل حقيقة، ويظهر ذلك بسلطانه على الملائكة والبشر والشياطين؛ ويظهر ذلك بسلطانه على المرض والحياة والموت؛ ويظهر ذلك بسلطانه على هيكل الله، وشريعة الله، وكتاب الله، ويظهر ذلك بسلطانه على

مغفرة الخطايا، المحفوظ لله وحده، وعلى قراءة الغيب في ضمائر الناس المحفوظ لله وحده، وعلى إحياء الموتى بسلطانه الخاص، وهو محفوظ لله وحده. يطلب لنفسه من العبادة ما لله؛ يدعي لنفسه من السلطان ما لله؛ يدعي لنفسه من الحكم والملك في يوم الدين ما لله؛ ينسب لذاته الأزلية من قبل أن يكون إبراهيم؛ ينسب لذاته الخلود ويمنحه للمعدوم على الصليب؛ ينسب لذاته السلطان على الأرض كما في السماء. يطلب لنفسه ما يطلبه لله. وذلك كله لأنه ابن الله، ليس على طريقة بشرية بالاستيلاء، أو طريقة صوفية بالحلولية، أو طريقة وثنية بالتأليه، أو طريقة توراتية بالمجاز، بل بطريقة خاصة كيانية تجعل منه ومن الآب كياناً واحداً : إنه ابن الله لأنه كلمة الله الذاتية، من ذاته، وفي ذاته.

٣ـ والإنجيل يكشف لنا سر روح الله : إنه ذات إلهية، لا معنوية؛ هو روح النبوة؛ روح المعجزة؛ روح الإحياء، إحياء الموتى، وإحياء النفوس؛ وهو حياة الله في النفوس المتحدة به تعالى : « يقيم معكم، ويكون فيكم ويرشدكم إلى الحقيقة كلها » . وهو في آن واحد روح المسيح الابن وروح الله الآب: عمله في الخلق والنبوة والنعمة هو عمل الله؛ فهو صلة كيانية ذاتية مع الآب والابن : إنه « روح القدس » أي روح اللهِ، و « روح الحق » أي روح المسيح.

ولكن هل في هذا الكشف عن سر الله الآب وسر المسيح الكلمة، وسر روح القدس، **من تحد للتوحيد الكتابي المنزل ؟** التوحيد المنزل قادنا إلى حدود الإيمان بوحدانية الحي القيوم، والإنجيل يكشف لنا أخيراً سر حياة الحي القيوم في ذاته. ما كان بنو إسرائيل بحاجة إلى من يدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، فقد عاشوا منه أَجيالاً و أَجيالاً، واستشهدوا في سبيله أرتالاً وأرتالاً. والمسيح يجدد التوحيد التوراتي بحرفه : هو الله أحد، الله الصمد (التثنية ٦ : ٤ قابل مرقس ١٢ : ٢٦) ويعلن أسماء الله الحسنى مثل الأنبياء : الله هو الرحمان الرحيم، والحيّ القيّوم؛ ويوضح بنوة الإنسان المعنوية من الله كالزبور والحكمة. ولكن الوحي الإنجيلي هو الكشف عن حياة الحي القيوم في ذاته، بالكشف

عن سر شخصية المسيح المزدوجة : إنه ابن مريم وابن الله معاً. إنه ابن الإنسان بكل أحداث حياته : بأعماله وأقواله وأحواله! وابن الله بسائر أحداث حياته ورسالته في أعماله وأقواله وأحواله. وهذه الازدواجية في شخصية السيد المسيح هي الظاهرة الكبرى في الإنجيل، لا سبيل إلى إنكارها، أو إنكار أحد وجهيها، ومَن فعل أنكر الإنجيل، والإنجيل حدث تاريخي، وصاحب الإنجيل شخصية تاريخية استقطبت التاريخ وفرضت نفسها عليه وعلى البشرية. المسيح لغز الأجيال، لا دين ولا إيمان بدون تحديد الإنسان موقفه منه.

وسر المسيح، وسر شخصيته، في هذه **الازدواجية** : أإله وإنسان معاً في واحد ؟ يتضح ذلك رويداً رويداً، فنرى أن يسوع المسيح هو ابن الإنسان وابن الله، صلة الوصل بين الخالق والمخلوق : « أنا الصراط والحقيقة والحياة! لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (يو ١٤ : ٦)؛ يرفع الإنسان من حالة عبد إلى حالة ابن لله ليشركه معه ـ دون شرك ـ بحياة الله الآب : « في ذلك اليوم تعلمون إني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم ... لتكونوا في الوحدة مكمّلين » (يو ١٤ : ٢٠ و٢٣) وهذا لا يمكن لبشر أو نبي أو رسول أو ملاك أو مخلوق على الإطلاق أن يفعله. لا يفعله إلاّ من هو صلة الوصل بين الخالق والمخلوق، كلمة الله المتجسد : « في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله ... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا... إن الشريعة كانت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة. فالله لم يره أحد قط، إلا الإله، الابن الوحيد، القائم في حضن الآب، وهو نفسه قد أظهره » (١ : ١ ـ ١٨).

هذه هي عقيدة الإنجيل. وإعجاز الإنجيل في عقيدته أنه يكشف لنا حضور الله بيننا في المسيح يسوع : « صورة الله » (فيل ٢ : ٦، كول ١ : ١٥) « وختم جوهره » (عبر ١ : ٣)؛ و « كلمة الله » في ذاته (يو ١ : ١). أجل « إنه لعظيم ـ ولا مراء ـ سر التقوى الذي تجلّى في الجسد وشهد له الروح، وشاهدته الملائكة، وبشر به في الأمم، وآمن به العالم، وارتفع إلى المجد والخلود » (١ تي ٣ : ١٦).

فالإنجيل عقيدة إلهية، وهذا هو إعجاز الإنجيل في عقيدته. ولا إعجاز سواه، لا من قبل ولا من بعد، لأنه كشف عن حياة الحي القيوم في ذاته : بينما اقتصر كل وحي وتنزيل على توحيد الله، بتجريده وتنزيهه عن خلقه.

*

ثانياً : الإنجيل شريعة دستورية

الإنجيل عقيدة إلهية، وشريعة دستورية مبنية عليها، في هدفها وفي أسلوبها وفي كيانها وفي ميزاتها وفي روحها.

يظهر هدف **الإنجيل التشريعي** منذ خطبة المسيح الأولى **التأسيسية** (متى ٥ ـ ٧). يعتمد الإنجيل شريعة موسى في الكلمات العشر دستوراً لحياة البشرية « الخليقة الجديدة » التي ينشئها. ففي تلك الخطبة التأسيسية، يعطي المسيح منذ مطلع دعوته دستوره الجديد للبشرية، وهو يقوم على تطوير وتحوير، وتعديل وتكميل، لشريعة موسى.

ويظهر السيد المسيح في أسلوبه التشريعي **مظهر المشترع الأعظم** الذي يعدل شريعة الله بسلطانه الخاص : « سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل ... أما أنا فأقول لكم! سمعتم أنه قيل: لا تزن؛ أما أما أنا فأقول لكم! سمعتم أنه قيل للأولين: لا تحنث؛ أما أنا فأقول لكم! سمعتم أنه قيل : عين بعين، ومن بسن؛ أما أنا فأقول لكم! سمعتم أنه قيل : أحبب قريبك وابغض عدوك؛ أما أنا فأقول لكم! » ـ كان اليهود يوحدون بين الله وشريعته في التوراة : إنها خالدة خلود الله : فمن ترى هذا الذي يتطاول على الله وشريعته ويعلن : « قال الله، وأنا أقول » ! إنه المشترع الأعظم الذي يساوي نفسه بالله.

ويقوم دستور الإنجيل بتطوير أركان الدين من شهادة وصلاة وزكاة وصوم وحج، إلى كمالها من الأعمال الظاهرة إلى الأعمال الباطنية (متى ٥ كله)؛ ومن السلبية إلى الإيجابية (متى ٦ : ١٢)، ويطور دستور الأخلاق

في الكلمات العشر من الأعمال إلى النيات. والقول المأثور : « إنما الأعمال بالنيات » هو التشريع الإنجيلي. ويطور العبادات والحياة الدينية من المراسيم الخارجية، إلى الإعمال الحياتية الضميرية. وشهير جدال المسيح لليهود على الحلال والحرام في المآكل، والوضوء، والصِلات مع الأجنبي عن الدين القومية.

ولا نذكر تطوير الدين كله بتغليب نظرة الأبوة في الله على فكرة الجبروت التوراتية؛ وتغليب نظرة الأخوة الإنسانية على الفكرة القومية؛ وتحويل الدين من علاقة عبد بربه إلى علاقة ابن بأبيه، ومن علاقة عبد بعبد إلى علاقة أخ بأخيه الإنسان.

وقد يقول قائل : أين في هذا كله **الأحكام العملية** التي يجب أن يتقيد فيها الإنسان ؟ ـ نقول : إن التشريع الإنجيلي دستور حياة، يضع الأصول للتوجيه؛ ويهمل الفروع التي تستنبط من هذه الأصول، على ما يرعى مصلحة الناس في كل زمان ومكان. ويعطي الإنجيل بعض أحكام عملية للتمثيل، للفرد وللعائلة والمجتمع. ويطول البحث في تعدادها.

فمن ميزات التشريع الإنجيلي أنه دستوري لا قانوني، لأن أَحكام الدستور تشمل كل زمان ومكان، وأَحكام القانون محدودة بزمان ومكان؛ قد تصلح لبيئة ولا تصلح لسواها. وهو دستور نزل مع المسيح **مبتدئاً**، منذ مطلع دعوته، لا أحكام متفرقة تتجمع بحسب الطوارئ جواباً لحادثة، أو ردّاً على سؤال، فهو دستور أعلن منذ البدء وسارت الدعوة على هداه. دستور **محكم** منذ البدء، لا يعتريه تبديل أو نسخ : فليس في أحكام الإنجيل من ناسخ ومنسوخ. دستور كامل وشامل، لا حاجة به إلى سنّة تكمله، أو إجماع أئمة تعدله. دستور جامع مانع في أصوله، لا يحتاج إلى أصول من غيره ليتكامل بها.

وقد يقول قائل أيضاً : **الإنجيل تشريع دين، لا تشريع دولة.** أجل هو كذلك لأن المسيح فصل الدين عن الدولة، وميز بين الدين والقومية؛ لأن الدولة

والقومية قيود للدين في عموميته وإنسانيته : « أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » ! فالإنجيل نظام دين، لا نظام دولة؛ لكنه نظام لكل دولة.

فيعود قائل فيقول : **الإنجيل تشريع للفرد، لا تشريع للمجتمع !** نقول : كلاّ ليس الأمر كذلك، فما ينطبق على الفرد في الأصول ينطبق على المجتمع وخطاب المسيح في تشريعه هو بصيغة الجمع أكثر منه بصيغة المفرد.

وكمال التشريع الإنجيلي في روحه التي هي في الأساس منه. كان **العدل** المحصور بأهل القومية والدين أساس التشريع التوراتي؛ فجعل السيد المسيح **المحبة روح التشريع في الإنجيل** : المحبة لله، وللقريب، وللذات. بدأ فأوجز التوراة والإنجيل بهذا المبدأ الذي هو دستور وحده : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوه أنتم أيضاً بهم، فذلك هو التوراة والنبيون » (متى ٦ : ١٢). وهذه المحبة مزدوجة : محبة الله ومحبة القريب : « أحبب الرب إلهك! وأحبب قريبك كنفسك! وليس من وصايا أخرى أعظم من هاتين » (مرقس ١٢ : ٣٠). محبة الله هي الوصية الكبرى والأولى، « والثانية التي تشبهها، محبة القريب : بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة كلها والنبيون » (متى ١٢ : ٣٦ ـ ٤٠). وقد ردد الرسول تعليم معلمه : « من أحب القريب فقد أتم الشريعة! إن المحبة لا تصنع بالقريب شرّاً : فالمحبة إذن هي تمام الشريعة » (رو ١٣ : ٨ ـ ١٠)؛ محبة سلبية وإيجابية : « احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا أتموا شريعة المسيح » (غلا ٦ : ٣)؛ كل الفضائل تنتهي إلى المحبة « والمحبة هي رباط الكمال » (كول ٣ : ١٤). حصر اليهود المحبة في قريب الدين والقومية، فطورها المسيح حتى عدو الدين والقومية، في مثل السامري. محبة القريب من محبة الله : و « الثانية التي تشبهها » (متى ٢٢ : ٣٩). وجعل المحبة شريعة الحكم في يوم الدين، يديننا بموجبها ليس فقط على أعمال نعارضها، بل على أعمال أهملناها، وهي في ذاتها أقرب إلى الخلق الكريم منها إلى الواجب المفروض (متى ٢٥ : ٢١). أخيراً يجعل المسيح، وهو على عتبة الاستشهاد،

محبته لنا مثال محبتنا للقريب : « هذه هي وصيتي أن يحب بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أَنا » (يو ١٤ : ١٢). فشريعة المسيح، وصيته، هي المحبة، التي توجه كل علاقة لنا بالله والقريب وذاتنا.

فروح التشريع الإنجيلي في أساسه المحبة؛ وروحه في غايته التشبّه بالله ـ ولله المثل الأعلى : « كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي كامل » (متى ٥ : ٤٨). لذلك قال بعضهم : **إن الشريعة المسيحية مثالية، وليست عملية!** أجل إنها مثالية، وفعالة في توجيهها إلى الكمال؛ ولكنها لا تفرض الكمال فرضاً، بل في المحبة المسيحية تحريم، وإباحة، وحلال، وندب، وكمال، تظهر من القرائن الإنجيلية.

فالإنجيل شريعة دستورية، **أصولها أحكامها؛** وهي إيجابية أكثر مما هي سلبية، عملية كما هي مثالية، توجيهية إلى الكمال ترفع ولا تضع، دينية أكثر مما هي سياسية، إنسانية أكثر مما هي نفعية. محبة كمحبة المسيح والله.

فإعجاز الإنجيل في شريعته وروح تشريعه لا مثيل له على الإطلاق.

*

ثالثاً : الإنجيل صوفية حياتية

للإنجيل صوفية تمتاز على سائر الصوفيات بخصائصها : فهي ليست زهداً في الدنيا وعذاباً للجسد مستطاباً؛ وليست غنوصية علم وحكمة؛ وليست طرقاً وطقوساً، وأعمالاً وأحوالاً.

وهي ليست فقط عبادة وتقى وخلقاً كريماً؛ وليست فقط تطهيراً وتقويماً وتقديساً؛ وليست فقط زهداً وفضيلة وإحساناً.

إنها إيمان ورجاء ومحبة تجعل الله للنفس كل شيء.

إنها اتصال بالله، ووصال، ووصل.

إنها اتحاد، وتوحيد، ووحدة مع الله، بدو شرك ولا تشبيه، بل في كل تجريد وتنزيه.

صوفة الإنجيل هي وحدة حياة مع الله، في المسيح، بروحه القدوس.

إنها غاية الله من خلقه وتنزيله وبعثة ابنه الحبيب: هكذا أحب الله العالم « حتى أنه أرسل ابنه الوحيد لنحيا به » (١ يو ٤ : ٩). فالحياة مع الله، في ابنه، بروحه، هي غاية الإنجيل: « وأنا إنما أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (يو ١٠ : ١٠),

وهذه الحياة ترتكز إلى تطوير الدين من حالة العبودية لله إلى حالة البنوة: « لما بلغ ملء الزمن أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة لكي ننال التبني: فأنت لست بعد عبداً، بل أنت ابن! وإذ أنت ابن فأنت وارث الله مع المسيح! والدليل على أنكم أبناء أن الله أرسل إلى قلوبنا روح ابنه يهتف فيها: (أبّا) أيها الآب » (غلا ٣: ٤ ـ ٧) ـ فبالإيمان بالمسيح والحصول على روحه بالمحبة نولد ولادة إلهية ـ في كمال التنزيه والتجريد: « أما الذين قبلوه فقد آتاهم سلطاناً أن يكونوا أبناء الله... إنهم من الله قد ولدوا » (يو ١ : ١٣) بسكب حياته ومحبته فينا.

وقوام هذه الصوفية **في وحدة مع الله وشركة حياة، في ابنه، بواسطة روحه:** « أنا الصراط والحقيقة والحياة: لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (يو ١٤ : ٦). « لقد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني (البنوّة) لكن يكونوا واحداً كما نحن واحد، أنا فيهم، وأنت فيّ لكي يكونوا في الوحدة كاملين » (يو ١٧ : ٢٢)؛ « من كانت عنده وصاياي وحفظها، فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي » (١٤ : ٢٠)؛ « من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه نأتي، وفيه نجعل مقامنا » (١٤ : ٢٣).

فالصوفية الإنجيلية بنوة، ومحبة، وإقامة متبادلة، وحياة مشتركة ـ بدون شرك ـ مع الله، الأب والابن والروح القدس، الإله الواحد.

فالحياة المسيحية في أصلها محبة، وفي صوفيتها شركة حياة : فيها يحيا المخلوق من حياة الخالق، نشعر بذلك ولا نقدر أن نفسره.

وفلسفة هذه الصوفية الإنجيلية أن الخالق بالتجسد ينزل إلى المخلوق! وبالفداء يرتفع المخلوق إلى الخالق! وفي سر المائدة، بالقربان الحي يتحد الخالق والمخلوق في حياة واحدة.

إنها صوفية حياتية، من حياة الله في المسيح بروحه القدوس! وفي هذا إعجاز الإنجيل في صوفيته. فلو كانت رسالة المسيح تقتصر على عقيدة وشريعة وصوفية كغيرها ـ مهما سمت ـ لاكتفى الله بإرسال بشر أو ملاك. ولكن في ذروة الخلق والوحي كان عند الله شيء أسمى من الخلق والوحي، وليس في طاقة مخلوق أن يقوم به؛ عنده إشراكنا في وجوده بالخلق، ثم في حياته بنزول ابنه : فأرسل الله ابنه، كلمته، لكي نصير أبناء الله وأحباءه، ويشركنا بحياته. فالمسيح صلة الوصل بين الخالق والمخلوق : فيه يتصل الخالق بالمخلوق شخصيّاً، ويتصل المخلوق بالخالق شخصيّاً.

وهذا الاتصال المزدوج هو المحبة والحياة، وهو الوصال الأسمى!

وفي الوحي والنبوة، أنَّ صوفية الإنجيل الحياتية هي الإعجاز الأسمى!

ادّعوا أن **عقيدة المسيحية نظرية، وشريعتها مثالية، وصوفيتها خيالية.** وها هو ذا الإنجيل فاقرأوه! وها هي ذي المسيحية مدى عشرين قرناً شاهد عدل، مع ما في كل جماعة بشرية من شوائب.

وادعوا أيضاً من ناحية أخرى أن العقيدة والشريعة والصوفية في الإنجيل

ليس فيها من الشمول ما في غيرها : فهي لا تشمل الدين والدنيا على السواء، ولا تشمل النفس والجسد بلا انفصام، ولا تشمل الدنيا والآخرة في وئام! كلاّ يا قوم، إن مزج الدين بالدولة، ومزج شؤون الجسد بالروح، ومزج الدنيا بالآخرة نقص لا كمال. **فمزج الدين بالدولة والقومية**، شأن سائر الأديان الوثنية سبيل إلى سيطرة الدولة على الدين حتى في عقليتنا وسلوكنا، وارتباط للدين بالدولة والقومية ومصيرهما ومصيرنا معهما؛ وقد حرر المسيح البشرية من هذا الرباط : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . **ومزج شؤون الروح بشؤون الجسد**، شأن سائر العبادات الوثنية السرية، ليس تحريراً للروح من أهواء الجسد، بل طغيان الحس على الشعور والوجدان، والضمير والروح؛ والمسيح يحررنا من هذا الطغيان : « لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون ولا لأجسادكم بما تلبسون : أليست النفس أفضل من الطعام، والجسد أعظم من اللباس ؟ فانشدوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذا كله يزاد لكم » (متى ٦ : ٢٤ ـ ٣٤). **ومزج شؤون الدنيا الآخرة** مضيعة للدنيا والآخرة، وإلهاء النفس بدنياها عن آخرتها؛ والمسيح يحررنا من سيطرة الدنيا على عقولنا وقلوبنا : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض! بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء! لأنه حيث يكون كنزك، فهناك يكون أيضاً قلبك » (متى ٦ : ١٩ ـ ٢١).

وليس هذا التعليم **انقساماً في الشخصية**، وانفصاما في الضمير، وتقطيعاً لأوصال الوجدان! بل هو تقييم حق للقيم، وتكميل حق للمثل، وتقرير حق للمهمات العظمى من حياة الإنسان. فالمسيح لا يهمل شؤون الجسد والدنيا والدولة، بل يضعها في ميزان الدنيا والخلود موضع الحق، لئلا تطغى على القيم العليا للدين والروح والآخرة : « فإنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » ؟! « إن الذين هم بحسب الجسد ينزعون إلى ما هو للجسد! والذين هم بحسب الروح إلى ما للروح! والحال أن نزعات الجسد موت، ونزعات الروح حياة وسلام » (رو : ٨ : ٥ ـ ٧). فالكمال ليس في **شمول مشبوه**،

بل في **تحرير من القيود والحدود** : إنه في تحرير الدين من قيود الدولة والقومية! أنه في تحرير الروح من نزعات الجسد! إنه في تحرير الآخرة من عقالات الدنيا! وهذا ما فعله الإنجيل ليفتح الوجدان والعقل والضمير والروح لحياة الله في أنفسنا.

فلسفة الإنجيل أن نطلب دائماً في صلاتنا « خبزنا كفاف يومنا » ، مع العلم « أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بالكلمة تنزل من فم الله » ، وبالكلمة تصدر من ذات الله.

فالإنجيل عقيدة إلهية، تكشف عن ذات الله، وشريعة دستورية غير مرهونة بزمان ومكان، وصوفية حياتية من الله في المسيح : وفي ذلك إعجازه على كل إعجاز سواه.

بحث خامس

الوحي الإنجيلي، بحسب بيئاته وأساليبه

للوحي الإنجيلي مرحلتان : مرحلة التنزيل والتبليغ لأهل الكتاب بواسطة السيد المسيح؛ ومرحلة التبليغ إلى الأمميين والتدوين بواسطة رسل المسيح، بتأييد الروح القدس لهم.

إن رسل المسيح الذين قاموا بالدعوة المسيحية كانوا **شهود العيان** لدعوة المسيح وشخصيته (أَع ١ : ٨ و٢١؛ ٢ : ٣٢؛ ٣ : ١٥؛ ٤ : ٢٠؛ ٥ : ٣٢؛ ١٠ : ٣٩). وقد ائتمنهم المسيح على تعليمه وإنجيله، وسلمهم سلطته (متى

٢٨ : ٨١ ـ ٢٠؛ مرقس ٢٦ : ١٥ ـ ١٨)؛ وجعلهم « شهوداً له » بتأييد الروح القدس لهم (لوقا ٢٤ : ٢٦ ـ ٤٩).

وقد وعد المسيح رسله **بعصمتهم في التبليغ والتدوين :**

فقال لهم يصف جهادهم الآتي في سبيل الدعوة المسيحية : « احذروا من الناس، فإنهم سيسلمونكم إلى المحافل، ويجلدونكم في مجامعهم. وستساقون إلى الولاة والملوك من أجلي، لتشهدوا أمامهم وأمام الوثنيين. فمتى أسلموكم، فلا تهتموا بما تقولون، ولا كيف تقولون! إن ما ينبغي أن تقولوه ستؤتونه في تلك للساعة، فإنكم لستم أنتم المتكلمين، **بل روح أبيكم هو المتكلم فيكم** » (متى ١ : ٧١ ـ ٢٠).

فروح القدس هو الذي سيتكلم برسل المسيح في جميع أحوالهم.

وفي وداع المسيح لرسله قبل استشهاده، قال يصف لهم تأييد، روح القدس الفارقليط لهم، في حديث أول : « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر **ليقيم معكم إلى الأبد**، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. أما أنتم فستعرفونه **لأنه يقيم معكم ويكون فيكم** » (يوحنا ١٤ : ١٥ ـ ١٧)

فرسالة الفارقليط ستكون خفية، لا ظاهرة؛ لكنها معلومة من رسل المسيح فعّالة فيهم، « لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » . إنه تأييد ذاتي شخصي دائم.

وفي حديث ثانٍ : « قلت لكم هذه الأشياء، وأنا مقيم معكم. والفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي هو الذي **يعلمكم كل شيء ويذكركم بجميع ما قلت لكم** » (يوحنا ١٤ : ٢٥ ـ ٢٦). فروح القدس يذكر الرسل بالوحي الإنجيلي كله، ويعلمهم كل شيء فيه، وما إليه. وهذا برهان العصمة لرسل المسيح في نقل الإنجيل وفي تفصيله.

وفي حديث ثالث : « ومتى جاء الفارقليط الذي أرسله إليكم من لدن الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب **فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون** بما أنكم معي منذ الابتداء » (يوحنا ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧). فروح القدس الفارقليط، هو الشاهد الأكبر للمسيح بواسطة الرسل شهود العيان؛ فشهادتهم من شهادة روح القدس.

وفي حديث رابع : « إني أقول لكم الحقيقة : إن في انطلاقي لخيراً لكم؛ فإن لم أنطلق، لا يأتكم الفارقليط؛ وأما إذا انطلقت فإني أرسله إليكم، ومتى جاء **فإنه يفحم العالم ...** » (يوحنا ٦١ : ٧ ـ ١١). فشهادة روح القدس، الفارقليط، بواسطة رسل المسيح، دفاع إلهي منزل، قولاً وعملاً، دعوة وكتابة، على الكفر بالمسيح وفي انتصار المسيح على إبليس، وللإيمان بالمسيح من دون رؤيته من بعد. وستكون شهادة مفحمة.

وفي حديث خامس : « وعندي أيضاً أشياء كثيرة أقولها لكم، لكنكم لا تطيقون حملها الآن. ومتى جاء، هو، روح الحق، فإه يرشدكم إلى الحقيقة كلها، لأنه لن يتكلّم من عند نفسه، بل يتكلّم بما يسمع؛ **وهو يخبركم بما يأتي**. إه سيمجدني لأنه سيأخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٢ ـ ١٥). فما لم يقله المسيح للرسل صحابته، سيقوله لهم روح القدس الفارقليط **وسيرشدهم إلى حقيقة المسيح والإنجيل كلها**، ما سمعوه من المسيح نفسه، وما لم يسمعوه. على هذا الوعد تقوم عصمة الرسل **في نقل الإنجيل وحفظه وتفصيله** في العالم كله بحسب بيئات الدعوة، والأساليب التي تقتضيها، في التبليغ والتدوين. معهم عهد الله ومسيحه بتأييد روح القدس لهم في شهادتهم ورسالتهم كلها.

وقبل رفعه إلى السماء « قال لهم : ذلك ما قلت لكم، إذ كنت بعد معكم (في حال البشرية قبل استشهاده) : إنه لا بد أن يتم جميع ما كتب عني في شريعة موسى وفي النبيين وفي المزامير. وعندئذ فتح أذهانهم ليفهموا الكتب.

وقال لهم : كان ينبغي للمسيح أن يتألم، وأن ينهض من بين الأموات في اليوم الثالث. ثم تكون الدعوة باسمه، بالتوبة لغفران الخطايا، **في جميع الأمم**، ابتداءً من أورشليم، **وأنتم شهود لذلك**. وها أنا أرسل إليكم **موعد أبي** (روح القدس) : فامكثوا في المدينة إلى أن تلبسوا قوة من العلاء » (لوقا ٢٤ : ٤٤ ـ ٤٩). فقوة شهادة رسل المسيح تقوم على تأييد روح القدس لهم؛ فعليهم أن يبقوا في أورشليم حتى ينزل عليهم، فيؤتيهم نوراً وقدرة، لتأييدهم في الدعوة المسيحية **بكل الأساليب، وفي جميع البيئات**.

وفيما يرتفع المسيح عنهم إلى السماء قال لهم : « ستنالون قوة بنزول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية، وفي السامرة، وإلى أقاصي الأرض. ولمّا قال هذا ارتفع عنهم،على مرأى منهم » (أع ١ : ٨ ـ ٩). وبعد عشرة أيام نزل عليهم روح القدس الفارقليط. فقاموا بالدعوة المسيحية في جميع البيئات، وبكل الأساليب، معصومين فيها بتأييد روح القدس، في التبليغ وفي التدوين.

فجاءت شهادتهم معصومة للمسيح والإنجيل، بحسب البيئات والأساليب :

بأسلوب **الدفاع عن المسيحية**، في البيئة الإسرائيلية ثم الهلنستية.

بأسلوب **تاريخ المسيحية**، في تأسيسها وفي انتشارها.

وبأسلوب **فلسفة المسيحية** تجاه الشريعة الموسوية والحكمة اليونانية.

وبأسلوب **صوفية المسيحية** في الكشف عن سر المسيح، وسر كنيسته.

*

أولاً : الدفاع عن المسيحية

انتشرت الدعوة المسيحية في البيئة اليهودية، ثم في البيئة الهلنستية، فصدمت العالمين وتحدتهما. فوجدت مقاومة منهما لتحديها لهما. فكان لا بدّ للوحي الإنجيلي من أن يتفاعل معهما، ليفعل فيهما، في **عرضته الأولى** عليهما.

فجاء أولاً بأسلوب الدفاع عن المسيح والمسيحية.

١ـ في البيئة الإسرائيلية : الإنجيل بحسب متى

تبلور ذاك الدفاع المسيحي، في البيئة اليهوديّة، بالإنجيل بحسب متى الرسول. فهو يعلن ذلك منذ عنوانه ومطلعه : « كتاب نسب يسوع، المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » . فيسوع هو وريث الملك الداودي الموعود، ووريث النبوة الإبراهيمية المعهود.

ثم يفصّل متى إنجيل يسوع المسيح ودلائل مسيحيته في **سبع لوحات**. نرى فيها المسيح المشهود، أسمى من المسيح الموعود : إنه المسيح، ابن الله الحي، سيد الشريعة، وملك يوم الدين، الكائن على الأرض مع كنيسته والحي في السماء، الجالس عن يمين الله الآب.

فالإنجيل بحسب متى هو إنجيل **مسيحية يسوع الإلهية.**

٢ـ في البيئة الهلنستية الرومانية : الإنجيل بحسب مرقس

وتبلور ذاك الدفاع المسيحي، في البيئة الهلنستية، بالإنجيل بحسب مرقس. ومرقس كان مدةً تلميذ بولس، ثم لزم بطرس الزعيم مخطط الدعوة المسيحية (اع ١ : ٢١ ـ ٢٢)، وكان ترجمانه في دعوته برومة، بتدوين الإنجيل كما سمعه منه. يعلن مقصده في العنوان : « بدء إنجيل يسوع، المسيح، ابن الله » . فيسوع هو ابن الله بالسلطان الإلهي الذي أظهره على الشياطين، والطبيعة، والبشر، والملائكة والحياة والموت. فهو ابن الله في الحقيقة، لا آلهتهم ولا قياصرتهم.

فالإنجيل بحسب مرقس هو إنجيل « **بنوة يسوع الإلهية** » بأسلوب قصصي.

*

ثانياً : تاريخ المسيحية

شقت المسيحية طريقها، بالمجاهدة لا بالجهاد، « بالحكمة والموعظة الحسنة » في العالم اليهودي ثم الهلنستي، وتمركزت فيهما منارات للهدى والإيمان. فعكف المؤمنون والتابعون الأوائل للرسل على درس مصادر إيمانهم وتاريخ الدعوة المسيحية.

وتزعم الحركة، بدافع من معلمه بولس، ذاك الطبيب الأديب، والسوري الأريب، الجامع بين الثقافة الهلنستية (يتبع إنشاء السبعينية) والكتابية، لوقا الانطاكي، مرافق بولس الرسول في دعوته وأسفاره. وطالما لازم الطبّ، الأدب والفلسفة والصوفية عند الأقدمين حتى العصور الحديثة. فكان ذاك المؤرخ المدقق الذي يستمد روايته من مصادرها، لدى « شهود العيان ودعاة الكلمة » كما يشهد في مطلع إنجيله :

« أيها العزيز، حبيب الله،

لقد أخذ كثيرون في تدوين الأحداث التي جرت بين ظهرانينا، على حسب ما نقلها إلينا، أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا دعاة لها. فرأيت أنا أيضاً، وقد تحريت بدقة جميع الأمور، من أوائلها، أن أكتبها إليك بحسب ترتيبها، لكي تكون على بيّنة من صحة التعليم الذي اهتديت إليه » .

فكان لنا منه :

١ـ في البيئة الإسرائيلية؛ نشأة المسيحية : الإنجيل بحسب لوقا

فأرّخ، بوحي الله، سيرة السيّد المسيح، كما جرت في اليهودية. وتخطّى التخطيط الذي قال به زعيم الرسل (أع ١ : ٢١ ـ ٢٢) إلى أوائل سيرة

المسيح في مولده ونشأته. ثم يروي لنا رحلات يسوع وجولاته، في الجليل، وإلى أطراف فلسطين، ثم إلى أورشليم حيث تم استشهاده شهادة لدعوته. فنرى فيه أن يسوع هو « الرب المخلص » ، لإسرائيل والعالم : فلا « رب » ولا « مخلص » سواه، وفي نظر الله.

فالإنجيل بحسب لوقا هو إنجيل « **الرب المخلص** » في ربوبيته وإنسانيته.

٢ـ في البيئة الهلنستية؛ انتشار المسيحية : سفر أعمال الرسل

وأكمل لوقا إنجيله برواية انتشار الدعوة المسيحية على يد الرسل إلى كل الجهات (العنصرة)، وفي العالم اليهودي بزعامة مار بطرس الرسول، ثم في العالم الهلنستي أي الإغريقي ـ الروماني، بزعامة مار بولس الرسول. فجاء سفره الثاني هذا شهادة لاستشهاد المسيح وقيامته، معجزة المعجزات، في كل الرسالات، والتي تظهر شخصيته السامية ورسالته العظمى للبشرية كلها. وجاء إنجيلاً للروح القدس، روح المسيح، العامل في الرسل وفي المسيحيين، بالتأييد المعجز لهم، وبالحياة المسيحية الروحية المعجزة. فجمع شهادات الروح، والكلمة، والمعجزة، والحياة، لتأييد « الرب المخلص » والمسيحية في انتشارها المعجز.

*

ثالثاً : فلسفة المسيحية[١]

انتشرت المسيحية في البيئات الإسرائيلية فالهلنستية. فاحتكت بالثقافة اليهودية والثقافة الهلنستية. فكان لا بد لها أن تتفاعل معهما، فتؤثر فيهما، وتتأثر بهما في أسلوبها.

---

(١) الأصح تسميتها مع مار بولس: « الحكمة المسيحية المنزلة »؛ وبتعبير آخر: « الكلام المسيحي المنزل ».

وفـي هذا التفاعل، وفـي تحديـد موقـف المسـيحية، مـن الثقافـة اليهوديـة ومـن الثقافـة الهلنستية، ثم من الشريعة الإسرائيلية ومن الحكمـة اليونانيـة، تظهر فلسـفة المسـيحية فـي البيئـة والثقافة الهلنستيتين، وفي البيئة والثقافة اليهوديتين.

١ـ فلسفة المسيحية في البيئة والثقافة الهلنستيتين : رسائل بولس الرسول

في نشر الدعوة المسيحية في العالم الهلنستي المنتشر من انطاكية إلى آسيا الصغرى إلى اليونان، إلى الرومان، حيث انتشرت أوساط يهودية في كل الانحاء؛ كان على رسول الأمم بولس أن يحدّد موقف المسيحية من الحكمة اليونانية أساس الثقافة الهلنستية، ومن الشريعة الموسوية أساس الثقافة اليهودية. فكان يدعو ويدافع ويقرر على جبهتين معاً، تجاه اليهودية وتجاه الهلنستية؛ ويحدد موقف المسيحية من الشريعة الموسوية والحكمة اليونانية. ثم يشرح سر المسيح في ذاته وفي كنيسته وفي الكون. وينظم الكنيسة الجامعة.

فجاءت رسائل مار بولس، بحسب موضوعاتها وأهدافها، ثلاثة أقسام مع تمهيد وملحق:

تمهيد
١) الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين : « يوم الرب »
٢) الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين : « يوم الرب » أيضاً

الجزء الأول : الرسائل الكلاميّة (قبل أسره)

الإنجيل ما بين الحكمة اليونانية والشريعة الموسوية :

أ ـ الإنجيل والحكمة اليونانية
١) الرسالة الأولى إلى الكورنثيين
٢) الرسالة الثانية إلى الكورنثيين

ب ـ الإنجيل والشريعة الموسوية
١) الرسالة الدفاعية إلى الغلاطيين
٢) الرسالة العقائدية إلى الرومانيين

الجزء الثاني : الرسائل الصوفية (في أسره الأول في رومة) : سر المسيح

١) سر المسيح **في ذاته** : الرسالة الراعوية إلى الفلبيين (ربما من قبل)

٢) سر المسيح **في الكون** : الرسالة الدفاعية إلى الكولوسيين.

٣) سر المسيح **في الكنيسة** : الرسالة العقائدية إلى الأفسسيين.

فكما كانت الرسالة إلى الرومانيين ذروة تعليم بولس وموجزه العقائدي قبل أسره، تأتي الرسالة إلى الأفسسيين ذروة تعليم بولس وموجزه الصوفي الأوسع، في أسره برومة.

الجزء الثالث : الرسائل الراعوية (بعد أسره الأول في رومة) : في تنظيم الكنيسة الجامعة:

١) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

٢) الرسالة إلى طيطس

٣) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس (وهي وصية بولس الأخيرة)

ملحق : الرسالة إلى فيلمون

فجاءت رسائل مار بولس فلسفة المسيحية في البيئة الهلنستية.

٢ـ فلسفة المسيحية في البيئة والثقافة الإسرائيليتين : « الرسائل الكاثوليكية »

وفي نشر الدعوة المسيحية في العالم اليهودي، في الوطن والشتات في مهاجرهم، لقيت الدعوة في تحررها من الشريعة الموسوية، وفي تفاعلها مع الثقافة اليهودية، مقاومة عنيفة. فتصدى بعض الرسل في رسائلهم المسماة « الرسائل الكاثوليكية » لتحديد موقف المسيحية من الشريعة الموسوية، ومن الثقافة اليهودية.

فجاءت رسائلهم : رسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورسائل بطرس الثلاث،

مع الرسالة إلى العبرانيين، فلسفة المسيحية في البيئة الإسرائيلية، تجاه الشريعة والكهنوت.

والرسالة إلى العبرانيين هي صلة الوصل بين كتب بولس الكلامية، وكتب يوحنا الصوفية.

*

رابعاً : صوفية المسيحية

ما بين السنة الستين والسنة السبعين للميلاد ثار العالم الروماني على المسيحية واضطهدها وحرمها من الدولة، فيما انهار العالم اليهودي على أنقاض دولته وهيكله وشريعته وسائر مؤسساته. فصار دم الشهداء زرعاً للمسيحيين يتكاثر ويتناثر. فتمثل للمسيحيين سرّ المسيح والمسيحية في العالم؛ فأخذوا يتأملونه ويحيون منه.

وتزعم هذه الحركة الصوفية، آخر الرسل على قيد الحياة، يوحنا الرسول حبيب المسيح، وأقرب المقربين إليه قلباً وروحاً. فوصف لنا سر المسيح في الإنجيل بحسب يوحنا، وسر المسيحية عبر الأجيال في سفر الرؤيا، وقدم لهما في رسالته العامة.

١ـ التقديم : رسالة يوحنا العامة

في رسالته يقدم يوحنا الرسول دعوته، في سر المسيح (الإنجيل) ثم في سر المسيحية (الرؤيا). ويعرض لنا شهادته في الكشف عن سر المسيح والمسيحية أن الله هو النور والمحبة والحياة، في المسيح والمسيحية. وشهادته هي خبرة الشاهد العيان، والكشف الذوقي لها :

« إن الذي كان منذ البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي تأملناه، الذي لمسناه بأيدينا، كلمة الحياة ـ إذ إن الحياة قد ظهر، فقد رأيناه، ونشهد له؛ ونبشركم بهذا الحياة القيوم الذي كان في الآب وظهر لنا ـ أجل أن الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم، لتكون لكم، أنتم

أيضاً، شركة معنا، وشركتنا نحن إنما هي مع الآب، بيسوع ابنه. ونكتب لكم بهذه الأمور ليكون فرحنا كاملاً معكم ›› (مطلع الرسالة).

٢ـ سر المسيح : الإنجيل بحسب يوحنا

ظل يوحنا، الرسول الحبيب، سبعين سنة يتأمل سر المسيح في شخصيته وسيرته وحياته؛ في أحواله وأعماله وأقواله؛ وسر حياته في جماعته. فأوجزها في سبع مجموعات خطابية، وسبع معجزات رمزية، واختصر معناها وسرها في فاتحة الإنجيل.

سر المسيح أنه كلمة الله المتجسد، كما أظهر ذلك بأقواله المعجزة وأعماله المعجزة وأحواله المعجزة. فهو لذلك لجماعته وللبشرية جمعاء ‹‹ الصراط والحقيقة والحياة ›› (يو ١٤: ٦).

فالإنجيل بحسب يوحنا هو الكشف عن سر المسيح في شخصيته ورسالته.

٣ـ سر المسيحية : سفر الرؤيا

وتأمل يوحنا الرسول في سر المسيح والمسيحية في العالم، في مطلع العالم المسيحي، على أنقاض العالم اليهودي، وفي مكافحة العوالم الوثنية، الممثلة بالتنين الجهنمي، وأعوانه دابة البحر ودابة البر. فجاء سفر الرؤيا ملحمة رمزية لسر المسيحية في البشرية؛ يظهر فيه كلمة الله، في مجد الله بالسماء، يشهر راية ‹‹ الإنجيل الأبدي ›› ، ويشرف على تنفيذ أحكام الله في ‹‹ السفر المختوم ›› ، كتاب قضاء الله وقدره على الكنيسة والعالم؛ ويشترك مع القديم، رب العرش الكريم، في تمجيد الخلق : ‹‹ وسمعت كل خليقة في السماء وعلى الأرض، في البرّ وفي البحر، الكائنات كلها تقول :

‹‹ للجالس على العرش، وللحمل

((التسبيح والإكرام، المجد والعزة، إلى دهور الدهور))

٤ـ ملحق { ١) رسالة يوحنا الثانية : كلمة إلى ((السيدة المصطفاة)) .
٢) رسالة يوحنا الثالثة : كلمة إلى ((غايوس الحبيب)) .

وقد اعتمدنا هذا الترتيب والتبويب في درس أسفار ((العهد الجديد)) كلها؛ وقد أسميناه : ((مصادر الوحي الإنجيلي)) . فإن الوحي الإنجيلي لم ينزل فقط في الإنجيل بأحرفه الأربعة؛ بل نقل إلينا في رسائل الرسل التي تفصل الوحي الإنجيلي، بتأييد روح القدس لهم.

فهو في الإنجيل بأحرفه الأربعة **تنزيل**؛ وفي سائر الأسفار **وحي**.

هذا هو الوحي الإنجيلي كله، بحسب بيئاته وأساليبه.

بحث سادس

هل من تحريف في الإنجيل ؟

منذ كان الإيمان في الكتب المنزلة، وأهل الإيمان، لا سيما سواهم، يتساءلون عن **صحة** مصادر هذا الإيمان، **وتاريخيتها**، وعصمتها في تنزيلها، وصحة فهمها.

ومنذ فجر النصرانية والإنجيل بأحرفه أي نصوصه الأربعة، هو موضوع هذا السؤال. وأهل الإيمان الذين يتوارثون تلك النصوص المقدسة، **بالتواتر، وبالإسناد** غير المنقطع، عن الرسل الحواريين، ((الذين كانوا منذ البدء شهود العيان للكلمة ثم صاروا دعاة لها)) (لوقا ١ : ١ ـ ٤)؛ والذين لم يقبلوا **بالإجماع**، للتلاوة في صلواتهم، إلاّ تلك النصوص الأربعة ـ مع أنه ظهر منذ العصور الأولى أناجيل عديدة منحولة، عن هوى أو عن غوى ـ أهل الإيمان

أولائكم يزدادون تقديراً وتقديساً، جيلاً بعد جيل، لنصوص الإنجيل الأربعة، لانتصار صحتها وتاريخيتها على حملات الدس والافتراء، والتشهير والتهديم، تارة تحت ستار العلم والتاريخ، وتارة بحجة علم الكلام والمنطق.

ولا بدْع في ذلك فالإنجيل بأحرفه الأربعة يروي حدث الأحداث في تاريخ البشرية : نزول الإله إلى الإنسان، « والكلمة صار بشراً، وسكن فيما بيننا » (يوحنا ١ : ١٤)، « رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه » (سورة النساء ١٧٠). وهذا عمل يصدم العقل البشري الغارق في الحسّ والمنطق الضيّق؛ عمل يجسّم لنا سرّ بشر فوق البشر، أقرب إلى السماء منه إلى الأرض، سرّ الأسرار في الدين والعلم والتاريخ والفلسفة والصوفية.

مع ذلك فالحدث الأعظم قد جرى، ووثائقه التاريخية والإيمانية ماثلة لدينا تتحدى الدين والعلم والتاريخ والفلسفة والصوفية منذ ألفي سنة، وإلى يوم يبعثون، إلى نور اليقين.

نوجز في هذا البحث بعض الدلائل على صحة الوثائق الإنجيلية.

ونبدأ بالوهم الشائع في عالمنا العربي : هل يقول القرآن بتحريف في الإنجيل ؟ ثم نبحث موقف العلم والنقد من الإنجيل. ونرى الشبهات القائمة على صحته وتاريخيته.

*

أولاً : هل يقول القرآن بتحريف في الإنجيل ؟

نورد الآيات المتشابهات في الموضوع، مع تعليق موجز عليها :

النص الأول : « أفتطعمون أن يؤمنوا لكم، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون ... الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به » (البقرة ٧٥ و ١٢١).

فالخطاب عن اليهود. والموضوع كلام الله في التوراة. والتحريف المذكور يقصد تحريف التأويل لا تحريف النص، من فريق منهم؛ لأن الفريق الآخر « يتلونه حق تلاوته » (١٢١).

النص الثاني : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه. ويقولون : سمعنا وعصينا! واسمع غير مسمع! وراعنا! ليًّا بألسنتهم وطعناً في الدين » (النساء ٤٥).

فالخطاب أيضاً عن اليهود، وعن فريق منهم بنص القرآن القاطع « من الذين هادوا »، (من) التبعيضية. والموضوع كلام القرآن، أو كلام النبي، لا كلام التوراة، بدليل التعابير الأربعة التي تصف موقفهم :

« سمعنا وعصينا » ـ فلا يقصد النص بل معناه، « واسمع غير مسمع! وراعنا! » ـ إهانة بتورية للنبي العربي[١] ؛ « ليّا بألسنتهم » ـ يلوون ألسنتهم بالحروف ليميلوها عن مواضعها، ولكن لا يبدلونها؛ « وطعناً في الدين » ـ فلا يعقل أن يطعن اليهود في دينهم! فهو طعن في الدين، لا تحريف للنص، إنه تأويل معنى « الكلم عن مواضعه » المقصودة.

وهب أن التحريف المذكور هنا (النساء ٤٥) يقصد الكتاب، فهو يعني اليهود، ولا يقصد إلا التوراة. وهو عمل بعض منهم « من الذين هادوا » ، لا يجاريهم فيه « الذين يتلون الكتاب حق تلاوته » (البقرة ١٢١). وهو على كل حال تحريف في التأويل، لا تغيير في النص، بحسب حرف الآية « عن مواضعه » وبحسب غايتهم « طعناً في الدين » ولا يمكن أن يكون طعناً في كتابهم أو في دينهم!

النص الثالث : « ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ... فيما نقضهم ميثاقهم

---

(١) يقصد اليهود بقولهم : « راعِنا » في العربية، « رِعْنا » بلغتهم أي « أرعن » ـ جلّ النبي العربي عن إهانتهم.

لعناهم، وجعلنا قلوبهم قاسية : يحرفون الكلم عن مواضعه! ونسوا حظاً ممّا ذكروا به! ولا تزال تطلع على خائنة منهم، إلا قليلاً » (المائدة ١٤).

مع النص الرابع : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك : يحرّفون الكِلم من بعد مواضعه؛ يقولون : إن أُوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تُؤتوه فاحذروا. ومن يُرِد الله فتنتهُ فلن تملك له من الله شيئاً! » (المائدة ٤٥)

جمعنا النص الثالث والرابع لأنهما من سورة واحدة، ومن زمن واحد، وفي حادثة واحدة.

وقد أجمع المفسرون أن الحادثة تقوم على أن « أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما، فبعثوا إلى قريظة ليسألوا النبي ص عن حكمها. (وكانوا يبدلون الحكم المشروع في التوراة، برجم الزاني، بالجلد). يقولون لمن أرسلوهم إن أُوتيتم هذا الحكم المحرّف أي الجلد، أي أفتاكم به محمد، فخذوه واقبلوه، وإن لم تؤتوه، بل أفتاكم بخلافه فاحذروا أن تقبلوه » (الجلالان). أضاف البيضاوي : « أرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ص عنه. فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم وقال : أنشدك الله ... الذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه : هل تجد فيه الرجم على من أحصن ؟ قال : نعم. فوثبوا عليه. فقال : خفتُ إن كذبتُه أن ينزل علينا العذاب. فأمر رسول الله ص بالزانيين فرُجما عند باب المسجد » .

فالنص صريح، والتفسير واضح. إن الخطاب عن بعض اليهود، في حكم من أحكام التوراة، في تأويله، لا في تبديله. فالتحريف هنا مفسر بنص القرآن القاطع بالتأويل الفاسد، لا بتبديل الحرف والنص. وقوله : « يحرفون الكِلم من بعد مواضعه » دليل ذلك. فالنص مقدس، لم يُمس.

تلك هي النصوص الصريحة في التهمة المنسوبة إلى القرآن بتحريف الكتاب.

نرى **أولاً** أنه لا ذكر فيه للنصارى والإنجيل على الإطلاق. **ونتحدّى أياً كان أن يبرهن بالقرآن إنه قصد فيها أيضاً النصارى وإنجيلهم. فكيف يفترون على القرآن أنه يتهم النصارى بتحريف الإنجيل ؟!** أو أن الإنجيل فيه تحريف ؟

نرى **ثانياً** أن القرآن يقصد فريقاً من اليهود، في كل المواضع. ويذكر أن الفريق الآخر لا يقرونهم في عملهم. فلا مجال للتحريف.

نرى **ثالثاً** أن التحريف المذكور هو تأويل النص، لا تبديله، بدليل قوله إن منهم فريقاً « يتلون الكتاب حق تلاوته » (البقرة ١٢١) فلا خوف على النص، ولا على تأويله الصحيح.

نرى **رابعاً** أن المقصود ليس الكتاب كله، أو التوراة كلها، أو أحكامها كلها؛ بل المقصود آية الرجم في التوراة. وبعض المفسرين يضيف صفة محمد، « النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » (الأعراف ١٥٦). فالتهمة تنحصر كلها في آية أو آيتين من التوراة.

وفي هذا الموضوع قال بعض المفسرين بجواز تحريفهم اللفظ، أو تحريفهم المعنى. ولكن أئمتهم يقولون إن المقصود تحريف المعنى. نقل صحيح البخاري (المائدة ١٤) « يحرفون الكِلم عن مواضعه. أي يزيلونه. وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله. **ولكنهم يحرفونه أي يؤَولونه على غير تأويله** » .

والرازي المفسر الكبير، علق على الآية (١٤ من المائدة) : « إن المراد بالتحريف إلقاء الشُبَه الباطلة والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحق، إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية، كما يفعله أهل البدع في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم. وهذا هو الأصح » . وعلق على الآية منها : ٤٥ : « التحريف يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغيير اللفظ. وقد بيّنا أن الأول أَولى، **لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ** » . وأضاف : « عند المتكلمين هذا (تغيير اللفظ) ممتنع، لأنهما (التوراة والإنجيل) كانا كتابين بالغي

الشهرة والتواتر إلى حيث يتعذر ذلك فيهما. بل كانوا **يكتمون** التأويل. إلا أنه كان فيهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة محمد ص. فهذا هو المراد من الكتمان. فيصير المعنى : إن الذين يكتمون معاني ما أنزل الله من الكتاب » . ففي تهمة الكتمان، كما في تهمة التحريف، المقصود تأويلهم المغرض، لا تحريف النص.

وهكذا فتهمة الكتمان، وتهمة التحريف تقصد بعض آيات في « نعت محمد » ، وآية رجم الزاني، وفساد تأويلهما : « **لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ. وعند المتكلمين هذا ممتنع** » . هذا هو القول الحق، وهذا هو القول الفصل في تهمة التحريف اللفظي للكتاب، التي لا أساس لها في القرآن.

وعلى كل حال لا أساس في القرآن لتهمة النصارى بتحريف الإنجيل على الإطلاق؛ أو لتحريف الإنجيل على الإطلاق.

*

وبالعكس، أن القرآن **يسمّي** « الكتاب » الموجود في زمانه ـ وهو على رقٍّ إلى اليوم من قبل محمد بثلاثماية سنة ـ « كتاب الله » في آيات عديدة (التوبة ٣٧ المائدة ٤٧ البقرة ١٠١) ـ أيصح أن يسميه « كتاب الله » لو اعتبره محرفاً. ويزيد بياناً فيسمّي ما فيه « آيات الله » (آل عمران ٧٠ قابل النساء ١٥٤). قال الزمخشري : « آيات الله التوراة والإنجيل » ـ أيصح أن يسميها « آيات الله » وهي محرفة ؟

ويستشهد القرآن بالكتاب وأهله على صحة نبوته ودعوته، مع المشركين : « فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزُبر » (النحل ٤٣ و٤٤)، « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » (الشعراء ١٩٦). ومع الكتابيين : « ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (آل عمران ٢٣)؛ وفي جداله مع اليهود : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » (آل عمران ٩٣). أيصح أن يستشهد القرآن « بكتاب » محرف ؟

ويعتبر القرآن نفسه **مصدّقاً** للكتاب : ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق ذلك بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه من رب العالمين)) (يونس ٣٧). إنه يصدق ويفصّل الكتاب ((الذي معكم)) في زمانه : ((وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم)) (البقرة ٤١)، ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ..)) (البقرة ٨٩) ((وهو الحق مصدق لما معهم)) (البقرة ٩١)، ((يا أيها الذين أُوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم)) (النساء ٤٦). أيصح أن يصدق القرآن، ويفصل للعرب، كتاباً محرفاً كأنه من الله ؟

والقرآن يدعو أهل التوراة وأهل الإنجيل إلى **إقامتها** والعمل بموجبها : ((قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أُنزل إليكم من ربكم)) (المائدة ٧١) ـ فهل يصح أن يدعو القرآن إلى إقامة كتاب محرف، وأحكام محرفة ؟

والقرآن يقر أهل الكتاب على شريعتهم، في آخر عهده، في سورة المائدة : ((وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟ ... إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا، للذين هادوا، **والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله** وكانوا عليه شهداء (٤٦ و٤٧). وقفينا على آثارهم بعيسى، ابن مريم، مصدقاً لما بين يديه من التوراة؛ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين : **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه**، ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٩ ـ ٥٠). لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)) (٥١) ـ النص صريح، فهو لا يذكر التوراة والإنجيل اللذين نزلا على موسى وعيسى، بل التوراة والإنجيل اللذين في عصره، وبأيدي أهل الكتاب، ويأمرهم بالعمل بموجب أحكامها، والخطاب لأهل زمانه. ويسمي هذا الكتاب الذي في عصره ((كتاب الله)) . فهل يصح

مثل هذا الموقف، وهو الموقف القرآني النهائي لأنه من آخر الدعوة نزولاً، لو كان القرآن يعتبر الكتاب محرفاً، وأهله محرفين ؟

وهناك الموقف القرآني العام من حيث العقيدة : إنه يعتبر **إسلام القرآن من إسلام الكتاب**، في التوراة وفي الإنجيل؛ وإسلام الكتاب هو الدين الذي شرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ـ والذي أوحينا إليك ـ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه! أكبر على المشركين ما تدعوهم إليه » (الشورى ١٣). فدين القرآن هو دين إبراهيم وموسى وعيسى بلا تفرقة. هذا هو إسلامه : « قل آمنا وبما أنزل علينا وبما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون : ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٣ ـ ٨٥). فإسلام القرآن هو إسلام إبراهيم وموسى وعيسى، إسلام التوراة والإنجيل، لا إسلام سواه. فكيف يصح أن نتهم القرآن بعد ذلك بقوله بتحريف الكتاب، التوراة والإنجيل ؟ هذا افتراء محض على القرآن وهو منه براء.

نقول مرة أخيرة : في هذا كله، في التهم المزعومة المنسوبة في القرآن لأهل الكتاب، من كتمان وتحريف، **لا دخل فيها للإنجيل على الإطلاق، بنص القرآن القاطع.** والتهمة المنسوبة لليهود تنحصر كلها في آية، حد الزنى، أو آيات معلومات يظن أن فيها نعت محمد. فالضجة الكبرى، والتهمة الخطيرة، تهمة تحريف الكتاب والإنجيل محصورة **في تأويل مغرض** لبضع آيات من التوراة لا يمس نص الكتاب الأقدس بشيء! فتأمل! علام الضجة الكبرى علام؟ إنها خيط عنكبوت « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ! (العنكبوت ٤١).

*

ثانياً : هل يقول العلم والنقد بتحريف أو تصحيف في الإنجيل ؟

كل الملحدين الذين يتعاطون الدروس الإنجيلية يستندون إلى دراساتهم، في إلحادهم، لإبطال المسيحية، **بالنيل من صحة الإنجيل**، أو الحط من شخصية السيد المسيح. وقد يجاريهم في بعض ذلك أهل البدع في زماننا، كما في كل زمان. فأمثال رنان وفلتير، ظهروا في كل العصور، مثل برفيرس وكلكس في أوائل النصرانية. مع ذلك زالوا وزالت شبهاتهم على الإنجيل وشخصية السيد المسيح، وظل السيد المسيح، « الصراط والحقيقة والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦)، وإنجيله « نور وهدى » (سورة المائدة) « وكلمة الحياة » (١ يو ١ : ٣).

ونورد هنا أربعة دلائل عامة، ثم أربعة دلائل خاصة، على صحة الإنجيل بنصوصه الأربعة.

الدليل الأول العام نأخذه من المتكلمين المسلمين، كالرازي : « إن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ. عند المتكلمين هذا ممتنع؛ لأنهما (التوراة والإنجيل) كانا كتابين بلغا في الشهرة والتواتر إلى حيث يتعذر ذلك فيهما » . والمخطوطات على البردي ثم النسيج ثم الورق تتكاثر منذ القرن الأول حتى عصرنا، بما يفوق الحصر. ولا يوجد في آداب الثقافات العالمية كلها كتاب أوثق صحة في النقل والتواتر من الإنجيل. وإذا مرّ الإنجيل في فترة نقل شفوي، مدة عشرين سنة ونيف، كان فيها شهود العيان ورسل الدعوة على قيد الحياة؛ فإن الياذة هوميروس مرت بقرون، والياذة فرجيل بسنين، والقرآن الكريم منذ بدء الدعوة به بفترة أطول. ونحن أهل الورق الميسور، والكتاب المشهور، وجلّ اعتمادنا على الحرف والآلة، ننسى اعتماد الأقدمين على الذاكرة، فقد كانوا يحفظون كتب الدين والآدب غيباً، وبيسر الأقدمين على الذاكرة، فقد كانوا يحفظون كتب الدين والآدب غيباً، وبيسر، عن ظهر

قلب. وبرهان صحة النقل من التواتر والشهرة قال به علماء النصرانية منذ البدء قبل المتكلمين المسلمين؛ فهذا ترتليانس، في القرن الثالث، يشهر هذا البرهان الضخم بوجه العالم الجاحد مرقيانس.

الدليل الثاني العام نأخذه من الدعوة الإنجيلية وانتشارها في « المسكونة » حيث الحكم لقيصر، من القدس إلى انطاكية، عاصمة سوريا والمشرق، إلى الإسكندرية عاصمة مصر وأفريقيا، إلى أثينا، إلى رومة عاصمة الغرب والدنيا، في فترة ثلاثين سنة، وذلك بدون حروب ولا فتوحات عسكرية، بل بسلطان الكلمة والمعجزة والقداسة. وفي هذه الفترة الوجيزة توطدت الدعوة حتى أفزعت دين الدولة. فحرم القيصر الدعوة، وقتل أتباعها، فاستشهدوا بالمئات والألوف، ثم بالملايين، ولم ينكروا مسيحهم ولا إنجيلهم. وشهادة الدم أصدق الشهادات. ولم يكن ذلك عن هوس، وحماس ديني، فقد كانوا حديثي عهد بالوثنية وحب الدنيا. ولكن « من بعد ما كلمهم الرب يسوع ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله، وأما هم فخرجوا ودعوا في كل مكان، والرب يؤازرهم، ويؤيد الكلمة بما يصحبها من المعجزات » (خاتمة مرقس).

فالإنجيل، قبل تدوينه، كتاب أمة قبل أن يصير كتاب أفراد :

أمة تدعو إليه في أمة يهودية شاهدته وكفرت به، وفي دولة ضخمة كافرة، ذات فلسفة عالية مناقضة، وشريعة محكمة معارضة، وصوفية سرية منافسة. فلما أشرف شهود العيان، حاملو الإنجيل، على الانتقال، إلى الرفيق الأعلى، حمل روح الله بعض الرسل، متى ويوحنا، وبعض التابعين لهم بإحسان، لوقا ترجمان مار بولس، ومرقس ترجمان مار بطرس، على تدوين الإنجيل، من شهادتهم الشخصية وشهادة شهود العيان. فالإنجيل حملته أمة قبل أن يدونه أفراد. وليس في هذا مجال للضياع أو التحريف لأنه من وضع شهود العيان، أو تحت إشرافهم الشخصي، والأمة كلها بالمرصاد.

الدليل الثالث العام، من وجود « الأناجيل المنحولة » تجاه الأناجيل الصحيحة.

اعتمد المسيحيون أربعة أناجيل صحيحة أي أربعة نصوص أو أحرف لإنجيل المسيح الواحد. ودليلهم على صحتها رسوليتها أي أن مصدرها الرسل شهود العيان المعصومين، الذين دونوها بأنفسهم (متى ويوحنا) أو بواسطة تابع لهم ترجمان عنهم تحت إشرافهم (مرقس ولوقا).

فجاء بعض المسيحيين، من الذين لم يكتفوا بما قل ودل في الأناجيل الرسمية، أو من أهل البدع المسيحية التي بدأت تظهر لعوامل عديدة، فوضعوا أناجيل أخرى عن هوى أو عن غوى، ونحلوها أسماء بعض الرسل لإجازتها بين جمهور المسيحيين وقد بلغ عدد الأناجيل المنحولة نحو الأربعين. وقد انطلت حيلة بعضهم على بعض الشعب. ولكن لم تنطل الحيلة على المسؤولين، من رجال الدين والعلماء. والدليل الأكبر أن الكنيسة لم تجز تلاوتها في صلاتها وتعبدها. فظلت تلك الأناجيل المنحولة روايات تقوية، أو روايات منحرفة، لا يعتد بها. ولقلة خطرها على العقيدة المسيحية، لم تعمل الكنيسة على إتلافها، كما جرى عند غيرها.

ومن مقارنة الأناجيل الصحيحة بالمنحولة تظهر لنا بجلاء صحة الأناجيل الرسمية وتاريخيتها. فتمتاز الأناجيل الصحيحة الرسمية عن المنحولة بالطبيعة في سرد الحوادث، وبالمعقول والمقبول في قصص المعجزات. بينما تسيطر الغرابة والهجنة والخرافة على الحوادث في الأناجيل المنحولة؛ والأسطورة الصبيانية أو غير المعقولة في نسبة أقوال أو أعمال أو أحوال إلى السيد المسيح في الأناجيل المنحولة. مثلاً يسوع في حداثته يتسلى ورفاقه في خلق الطيور بنفخة من فمه. أو ينظر إلى ثمرة على شجرة فتدلي الشجرة أغصانها إلى العذراء أو إلى يسوع ليقطفها! وقد ينفعل يسوع من بعض رفاقه فيقتلهم بكلمة ثم يقيمهم بكلمة والله تعالى لا يصنع المعجزات على يد أنبيائه لهواً وعبثاً.

فصدق اللهجة، وصدق الفطرة، وصدق النية، في الأناجيل الصحيحة دلائل صادقة على صحتها وتاريخيتها وواقعيتها.

الدليل الرابع العام من القرائن التاريخية على صحة البيئة الإنجيلية.

الإنجيل بنصوصه الأربعة يصف لنا بيئة اليهودية قبل خراب الدولة الإسرائيلية المستعمرة، على يد الرومان في السنة السبعين للميلاد، ويصف لنا وقائع **حدث تاريخي** جرت في تلك البيئة. ولدينا من الوثائق التاريخية اليهودية والسريانية والرومانية ما يشهد لنا بصحة المعطيات الإنجيلية عن تلك البيئة وذلك الحدث الأعظم.

فالمؤرخ والعالم والفيلسوف الإسكندري اليهودي فيلون الذي ولد قبل المسيح ومات بعده تطابق معلوماته معلومات الأناجيل عن البيئة اليهودية قبل السبعين في جغرافيتها ولغتها وسياستها وتاريخها وحياتها الدينية والاجتماعية، وفرقها الدينية وأحزابها القومية. والمؤرخون الرومان، بمناسبة تاريخ اضطهاد المسيحيين في زمن نيرون الطاغية يذكرون المسيحيين ومؤسس دينهم السيد المسيح. ولا مجال هنا للتفصيل، بل للتدليل. وهذه القرائن التاريخية تظهر قيمة دلالتها، متى تذكرنا أن الأناجيل الأربعة وضعت باللغة اليونانية، في بيئة غير يهودية، وبعد الحوادث بعشرين سنة ونيف : فلولا شهود العيان الذين شهدوها وشهدوا لها فيما بعد لما أمكن مطابقة تلك القرائن التاريخية بصحة البيئة الإنجيلية ... هذا إلى ما هنالك من دلائل أخرى.

وهذه هي بعض الدلائل الخاصة.

دليل أول خاص، من أسفار العهد الجديد نفسها : مقارنة الأناجيل بسائر الأسفار.

أول من كتب في المسيحية، وفلسف تعليمها، كان الرسول المهتدي، لا الشاهد العيان، بولس العظيم، فيما بقي لنا منه من رسائل خالدة كتبها

للمراكز المسيحية التي هداها في جولاته الرسولية. وقد انتشرت وانتشر تعليمها، وأدت دعوته في تحرير المسيحية من الموسوية واليهودية إلى أزمة في العقيدة المسيحية وشريعتها، مع المتنصرين من اليهود. فكان المؤتمر المسيحي المسكوني الأول في النصرانية. وبعد أخذ وردّ بحضرة الرسل الشهود العيان أجمع أهل الحل والربط من رسل المسيح على تصويب نظرة بولس ودعوته. والحال المشاهد في الأناجيل، وقد كتبت بعد الرسائل بسنين معدودات، لا أثر فيها لفلسفة بولس المتطورة، مع أن اثنين من الإنجيليّين تتلمذوا له، مرقس ولوقا. هذان نقلا حوادث سيرة المسيح كما أخذاها من الجماعة الأولى ومن شهود العيان. ولكن الأحداث التي يروونها، وأقوال المسيح التي يدونونها، تظهر القاعدة الصحيحة لنظريات بولس في فلسفة المسيحية للبيئة الهلنستية.

وعندنا دليل أبلغ في المقارنة. لوقا ذاته، واضع الإنجيل باسمه، هو كاتب (سفر أعمال الرسل) الذي يصف انتشار النصرانية في العالم اليهودي بزعامة بطرس، وفي العالم الإفريقي ـ الروماني بزعامة بولس، وينقل دعوة الرسل وتعليمهم في رسالاتهم، وفيها نرى الصيغ الأولى للعقيدة المسيحية. لوقا هذا نفسه، في الإنجيل الذي دونه، لا ينقل فيه على لسان السيد المسيح أو لسان الرسل الذين معه شيئاً من تلك الصيغ الأولى للعقيدة المسيحية. مما يدل على الأمانة والصدق والصحة في روايته. إلى ما هنالك من مقارنات مفيدة لا مجال لها.

دليل ثان خاص، من لغة الأناجيل اليونانية

دعا السيد المسيح بدعوته، وعلم إنجيله، في البيئة اليهودية، التي كانت تتكلم الأرامية بلهجتها الغربية أو السريانية، التي يتكلم بها حتى اليوم أهالي معلولا في جبال القلمون، إلى الشمال من دمشق. والأناجيل الأربعة مكتوبة في أصلها باليونانية. ولليونانية لغتها وفقهها وأسلوبها.

والحال يرى العارفون باللغتين أن الأرامية تنفر من خلال يونانية الأناجيل بشكل واضح، في التعابير، والتراكيب، والأسلوب، والإنشاء. مع أن لوقا طبيب انطاكي نشأ على الثقافة اليونانية المسيطرة في عاصمة سوريا؛ ومترجم متى الأرامي لليونانية يظهر ضليعاً في لغة اليونان وأسلوبها. وهذه الدلالة اللغوية والأدبية برهان على الأمانة في النقل، وعلى صحة المنقول الموسوم بوسم البيئة الأهلية ولغتها وأسلوبها. مثلاً تأتي كلمات السيد المسيح موزونة بحسب النظم العبراني والأرامي، القريب من بيت الشعر العربي. **فتأتي لغة الأناجيل اليونانية بأسلوب أرامي.** وليس ذلك لأن الكاتبين من أصل أرامي، ولكن **بسبب الأمانة في النقل**، مع أن بعضهم كان على ثقافة يونانية عالية.

دليل ثالث خاص، من تعدد نصوص الإنجيل إلى أربعة :

إنجيل المسيح واحد. ومن المعهود والمشهود أنه نزل على أربعة أحرف أو نصوص: الإنجيل بحسب متى، والإنجيل بحسب مرقس، والإنجيل بحسب لوقا والإنجيل بحسب يوحنا. وهذا الواقع يثير شبهات عند البسطاء، وشبهة عند أهل القرآن.

البسطاء، لا بل المتحذلقون من العلماء، يعمدون إلى ما في النصوص الأربعة من فوارق ظاهرة، دون الالتفات إلى الوحدة الجوهرية الراهنة، للطعن في صحتها. وما دروا أن هذا الواقع بالذات هو دليل صحتها الأكبر : شهادات أربع لسيرة واحدة وشخصية واحدة، قد تختلف في أسلوب روايتها، وفي طرق نقلها، وفي مرامي دعوتها، ولكنها تأتلف وتتفق في وحدة جوهرها : واتفاق باطني أفضل من اتفاق ظاهري، يكون موضوع شبهة. **فالتعدد هنا دليل على الصحة لا على شبهة.**

ويفخر أهل القرآن أن عندهم نصاً واحداً بالإجماع للقرآن الكريم. وفاتهم الحديث الشريف القائل : « نزل القرآن على سبعة أحرف » . والطبري إمام

المفسرين بالحديث فسره أنها ((سبعة أحرف باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني)) أي سبعة نصوص مختلفة كنصوص الإنجيل الأربعة المختلفة، ((باختلاف الألفاظ، واتفاق المعاني[1])) . ويروي الطبري عن مصادر عديدة أن الخليفة عثمان بن عفّان، لاختلاف الغلمان في المدارس، والجند في الغزوات، في تلاوة النصوص القرآنية وتكفيرهم بعضهم بعضاً، جمع الأمة على قرآن واحد، بحرف أي نص واحد، وأحرق وأتلف النصوص الستة الأخرى، فلم توجد من بعد. وذلك خشية الاختلاف والاقتتال في النص الكريم. فلم يبقَ لدينا سوى نصّ واحد أي شهادة واحدة للقرآن، لا لها ولا عليها. وفي الشرع العالمي الديني والمدني لا تقوم شهادة على واحد، من حيث الشهادة. هذا مع الاعتراف بصحة القرآن التاريخية، في نصه العثماني.

وهكذا نزل القرآن على سبعة أحرف، أتلفت ستة منها، فلم يبق إلا واحد، هو الحرف العثماني الوحيد الباقي إلى اليوم.

ونزل الإنجيل على أربعة أحرف، فحفظت جميعاً، لأنه لا خوف عليها من اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعاني.

وهذا الاختلاف في الألفاظ، مع الاتفاق في المعاني، دليل على صحتها وتاريخيتها، **حيث النقل فيها أحياناً بالمعنى لا بالحرف؛** وحيث ينقل أحدهم ما يسكت عنه آخر، وما دليل ((ما سُكت عنه)) بشبهة، لاختلاف الأهداف والبيئات والحاجات في النقل والسكوت.

دليل رابع خاص، من شخصية يسوع وكلماته في الأناجيل الأربعة :

لدينا آداب الدين والدنيا، وثقافاتها كلها، في آثارها، وشخصيات أعلامها من دينية ومدنية. ولا نغالي إذا قلنا أن المؤمنين وغير المؤمنين قد أجمعوا

(١) وأضاف السيوطي في (الإتقان ١ : ٥١) : ((وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها (الأحرف السبعة) القراءات السبع لمصحف عثمان : وهو جهل قبيح)) .

أن لا مثيل لشخصية السيد المسيح في آداب الدين والدنيا قاطبة. **شخصية كشخصية السيد المسيح لا تختلق اختلاقاً**. وكتبة الأناجيل ليسوا من العبقريات الخلاّقة. مع ذلك مهما سمت العبقريات البشرية، وفي التواريخ عبقريات نادرة كاتبة ومصوّرة في الكتب، فإنها لم تخلق شخصية كشخصية السيد المسيح.

وفي الإنجيل بنصوصه الأربعة كلمات للسيد المسيح لم ينطق بمثلها إنسان. قال جبران خليل جبران مخاطباً السيد المسيح : « يا سيد الكلمات التي لم ينطق بمثلها إنسان » ! وقال الشعب الذي شاهد الدعوة المسيحية في أعمال المسيح : « فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر مثل هذا في إسرائيل » (متى ٩ : ٣٣) وفي أقواله : « ما تكلّم إنسان قط مثل هذا الإنسان » (يوحنا ٧ : ٤٦). لم يقل أحد من المخلوقين : « أنا نور العالم! أنا القيامة والحياة! أنا الصراط والحقيقة والحياة! » وصدقته البشرية ولم تتهمه في عقله. كلمات مثل كلمات السيد المسيح لا تختلق اختلاقاً، ولا تنتحل انتحالاً، إنها الواقع المدهش، والسر الذي حير الناس في كل الأجيال.

فشخصية السيد المسيح وكلامه لا يخلقهما بشر!

*

ثالثاً : تاريخية الإنجيل في نصوصه الأربعة

تلك الدلائل الخاصة والعامة وغيرها برهان على **تاريخية** الإنجيل في نصوصه الأربعة وعلى **صحته**. فلا تقوم شبهة صحيحة على صحتها وتاريخيتها.

شبهة أولى : الإنجيل، بنصوصه الأربعة، **ينقل دعوة الرسل بالمسيح** لا دعوة المسيح مباشرة كما خرجت من فمه، والبرهان على ذلك أن قَصَصَ الإنجيل، والسيرة فيه، من الرسل والإنجيليين، لا من يسوع نفسه : أفلا تكون دعوة الرسل بالمسيح قد شوهدت بدافع الإيمان وواقع التاريخ ؟

أجل إن يسوع لم يكتب سيرة حياته، ولم يدون قصة معجزاته؛ بل قصّهما الرسل، ودوّنهما الإنجيليون كما تجمّدتا مدة ثلاثين سنة. فالإنجيل من هذا القبيل كتاب أمة، لا كتاب فرد. وبما أنه كتاب أمة الشهود العيان، لا كتاب أفراد، فتاريخية الأناجيل قائمة، كما يعلن لوقا في فاتحته : « لقد أخذ كثيرون في تدوين سيرة للأحداث التي وقعت بين ظهرانينا، على حسب ما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا دعاة لها » (لوقا ١ : ١ ـ ٢). فالأناجيل الأربعة سجلت السيرة والدعوة كما نقلها الرسل شهود العيان؛ فهم شهود عيان قبل أن يكونوا دعاة، ودعوتهم قائمة على مشاهدتهم وشهادتهم : **ففي دعوتهم دعوة المسيح نفسه؛** وإجماعهم في الشهادة، مع وجود نصوص أربعة مختلفة الألفاظ متفقة المعاني، برهان صحة الإنجيل بأحرفه الأربعة، وبرهان تاريخيتها.

والوحي الإنجيلي **شخص منزل** أكثر منه كتاباً منزلاً؛ أعماله تدل عليه أكثر من أقواله؛ وأحواله الفريدة في مولده وفي رسالته وفي استشهاده وفي قيامته وفي رفعه إلى السماء، تكشف عنه أكثر من أقواله المعجزة ومن أعماله المعجزة. والإنجيل بأحرفه الأربعة شهادة لهذه الشخصية الفريدة في العالمين، مهما كان الإنشاء فيها والأسلوب. **وجوهر السيرة والدعوة** لا يتغير بتنوع الإنشاء والأسلوب. وقد اقتصر الرسل في دعوتهم **على ما قلّ ودلّ** من السيرة والدعوة كما يشهد الإنجيل بحسب يوحنا في خاتمته الثانية (٢١ : ٢٥). فأعمال المسيح في الإنجيل وأقواله كُتبت لدلالتها على شخصية المسيح أكثر منه لذاتها، كما يشهد الإنجيل بحسب يوحنا في خاتمته الأولى : « وصنع يسوع أمام التلاميذ آيات كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب؛ وإنما دوّنت هذه لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح فسواء كان الإنجيل المكتوب دعوة الرسل للمسيح أم دعوة المسيح نفسه؛ فالإنجيل هو المسيح نفسه وعمله، وهما واحد في الدعوة كلها.

فدافع الإيمان في تدوين الإنجيل لم يشوّه واقع التاريخ. إنما واقع التاريخ هو مصدر الإيمان، ومصدر دعوة الرسل، ومصدر تدوين الإنجيل.

*

شبهة ثانية : يظهر من فاتحة لوقا : « لكي تكون على بينة من صحة التعليم الذي اهتديت إليه » (١ : ٤) إن هدف الرسل في دعوتهم بالإنجيل : **تعليمي لا تاريخي**؛ ويظهر أيضاً من خاتمة يوحنا الأولى : « لكي تؤمنوا أن يسوع هو المسيح، ابن الله » (٢٠ : ٣١)، إن هدفهم **دفاعي لا تاريخي.** وهذا الهدف الدفاعي بارز أيضاً في الإنجيل بحسب متى، بأسلوب كلامي؛ وفي الإنجيل بحسب مرقس، بأسلوب شعبي قصصي. وهدف الدفاع عن المسيحية التي يعلمون، وهدف التعليم في المسيحية التي بها يبشرون، ألا يشوّه الحقيقة التاريخية في تطويعها للهدف المطلوب ؟

أجل إن أهداف تدوين الإنجيل بأحرفه الأربعة ظاهرة : إنها دفاع وتعليم وتاريخ وفي هدفهم التاريخي لم يُكتب تاريخ السيرة والدعوة للتاريخ نفسه، بحدّ ذاته، كما قد يفعل مؤرخ في عصرنا. ولكن أي قيمة لدفاع لا يقوم على سيرة المسيح ؟ وأي قيمة لتعليم لا يقوم على دعوة المسيح ؟ والإنجيليون، ومن ورائهم الرسل الذين تُدوّن شهاداتهم ومشاهدتهم، يشعرون كما هو ظاهر في الإنجيل أن لا قيمة لدفاعهم ولا لتعليمهم إذ لم ينقلوا الحقيقة التاريخية كما حدثت ووقعت. **فالواقع التاريخي** الذي لم يشهدون هو أساس البناء في الدفاع والتعليم الذي يشيدون؛ وهم بذلك يصرحون. قال لوقا : « رأيت أنا أيضاً، وقد تحققت بدقة جميع الأمور من البدء أن أكتبها إليك بحسب ترتيبها، لكي تكون على بينة من صحة التعليم الذي اهتديت إليه » (١ : ٣ ـ ٤). فالتاريخ الصحيح في نظر لوقا هو قوام التعليم الصحيح. وقال متى في مطلع إنجيله : « سجل نسب يسوع، المسيح، ابن إبراهيم » (١ : ١) : فهو يريد أن يبرهن أن يسوع هو المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم، ولذلك

فهو يعتمد على التاريخ الصحيح فيبدأ « **بسجل نسب يسوع** » كما هو مدوّن عند نسابيهم، وربما في سجلات بيت لحم، مدينة داود. وقال مرقس : « بدءُ إنجيل يسوع المسيح، ابن الله » (١ : ١) : فهو يريد أن يبرهن أن يسوع المسيح هو ابن الله من أعماله المعجزة؛ فإذا كانت هذه الأعمال التي ينقلها ليست تاريخية سقط برهانه كله، لأنه كله مبني عليها. وهو ينقل شهادة الرسل كلهم، بنظر بطرس الشاهد العيان منذ اللحظة الأولى، والواقعية والطبعية ولهجة الصدق والإخلاص بادية على أسلوبه وتفاصيله. ويوحنا يبني دعوته السامية على ما قلّ ودلّ من أعمال المسيح وأقواله؛ **ويبني الإيمان على التاريخ** كما يصرّح في الخاتمة : « وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله » (٢٠ : ٣١).

فالإنجيل بأحرفه الأربعة **دعوة دينية أي تعليم ودفاع وتاريخ**؛ وهذه الدعوة الدينية **قائمة على شخص تاريخي :** فتاريخية الشخص وتاريخية دعوته هما أساس الدفاع والتعليم فيهما. ففي الإنجيل بأحرفه الأربعة، لا يشوّه الهدفُ الدفاعي، ولا الهدف التعليمي، تاريخ السيرة والدعوة.

لذلك لم نخش إبراز الهدف الدفاعي في تسمية الإنجيل بحسب متى والإنجيل بحسب مرقس : « **الدفاع عن المسيحية** » ؛ ولم نخش إبراز الهدف الصوفي التعليمي في الإنجيل بحسب يوحنا بتسميته : صوفية المسيحية؛ ولم نخش إبراز الهدف الكلامي في رسائل الرسل في الدعوة المسيحية بتسميتها : فلسفة المسيحية.

فالدفاع والصوفية والكلام والتعليم كلها مبنية، في مصادر الوحي الإنجيلي، على الواقع التاريخي.

*

شبهة ثالثة : نرى من سفر (أعمال الرسل) أن دعوة الرسل كانت الشهادة بقيامة المسيح. قال بطرس في مؤتمرهم بالعلية الصهيونية للتخطيط للدعوة :

« ينبغي لنا واحد من الرجال الذين اجتمعوا معنا، في كل الزمان الذي عاش فيه الرب يسوع بيننا، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي فيه ارتفع عنا، ليكون شاهداً معنا بقيامته » (١ : ٢١ ـ ٢٢) **فهم يشهدون لمسيح القيامة، لا ليسوع التاريخ.**

ولكن هذا التخطيط نفسه يدل على أن **مسيح القيامة هو يسوع التاريخ**، في عقيدتهم وفي دعوتهم. وصفة الرسول أنه **شاهد عيان** لمسيح القيامة ويسوع التاريخ معاً. وخبر متيّا الذي أخذ محل يهوذا الخائن في الرسالة والشهادة، يدل على أن شهود العيان لا يقتصرون على الرسل الاثني عشر، بل هناك جماعة كبيرة عيّن المسيح نفسه لبعضهم للرسالة والشهادة: « ثم صعد إلى الجبل ودعا إليه الذين أرادهم، فاقبلوا إليه. وأقام منهم اثني عشر ليكونوا معه، **ويرسلهم للدعوة** » (مرقس ٣ : ١٣ ـ ١٤). فالرسل منذ اصطفائهم شهود عيان، « **ليكونوا معه** » ، **هم صحابته** في سيرته، قبل الشهادة بقيامته.

وشهادتهم لمسيح القيامة شهادة ليسوع التاريخ، شهادتان في واحدة، كما أعلن بطرس في **بلاغه الأول** للشعب : « فليعلم إذن يقيناً جميع بني إسرائيل أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً » (أع ٢ : ٣٦) فيسوع الناصري المصلوب هو مسيح القيامة الرب. ففي نظرهم، كانت قيامة يسوع من الموت والقبر، في اليوم الثالث، ختم الله على مسيحية يسوع وربوبيته. وبما أن قيامة المسيح هي معجزة المعجزات، في كل الرسالات، جعلها الرسل في دعوتهم محور البلاغ في الشهادة لسيرة المسيح ودعوته وشخصيته. لذلك اتخذ المسيحيون، منذ عهد الرسل إلى اليوم، يوم قيامة المسيح عيداً دائماً لهم يشهدون فيه بحدث الأحداث في تاريخ المسيحية والبشرية.

فبشهادة الرسل، صحابة المسيح، لمسيح القيامة، فهم إنما يشهدون ليسوع

التاريخ، الناصري المصلوب. ورؤية سيرة المسيح ودعوته على ضوء القيامة لا يشوه الواقع التاريخي فيها : فمسيح القيامة هو يسوع الناصري المصلوب نفسه.

*

شبهة رابعة : كان رسل المسيح ـ ما عدا بولس ـ أميّون في العلم، خصوصاً في العلم بالوحي والتنزيل، والنبوة والرسالة، ونرى يسوع مراراً يوبخهم على البطء في الفهم والإيمان. وبعد القيامة، قبل رفع المسيح إلى السماء، ما يزالون على أميّتهم في فهم الإنجيل والمسيح، ففي حفلة الوداع قبل الرفع « سأله المجتمعون، قالوا : يا رب، أفي هذا الزمان تردّ الملك لإسرائيل ؟! فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأوقات والأزمنة التي جعلها الآب من سلطانه الخاص. بيد أنكم ستنالون قوة بنزول الروح القدس عليكم، فتكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض » (أع ١ : ٦ ـ ٨) ـ أفليست **أميّة الرسل هذه عائقاً لفهم المسيح والإنجيل**، وسبيلاً لسوء فهمهم شخصية المسيح وحقيقة الإنجيل ؟

كلاّ لم تكن أمية الرسل عائقاً بينهم وبين فهم المسيح والإنجيل، لأن المسيح والإنجيل في كلمتين، كما أعن بطرس في البلاغ المسيحي الأول : **يسوع الناصري المصلوب هو المسيح الرب** (اع ٢ : ٣٦). فلا الأمية ولا الثقافة كانتا حائلتين دون فهم هاتين الكلمتين. والإنجيل بأحرفه الأربعة، إنْ هو إلاّ تفصيل لهاتين الكلمتين. فسواءٌ وُجد الإنجيل المكتوب أم لم يوجد، فشهادة الرسل، صحابة المسيح، وشهادة المسيحية كلها بهاتين الكلمتين : يسوع الناصري المصلوب هو المسيح الرب؛ هذا هو « إنجيل يسوع المسيح ابن الله » (مرقس ١ : ١)؛ « لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣١) فهاتان الشهادتان لا تشوهمهما أميّة ولا ثقافة.

والأمية، بشعورها الفطري بعجزها، قابلة للنقل الصحيح السليم أكثر من الثقافة التي تحمل صاحبها على فلسفة شهادته. وهذا هو الفارق الذي نجده في

سفر الأعمال بين شهادة بطرس وشهادة بولس، ثم بين الأناجيل وبين الرسائل. فأمية الرسل ضامن أمين لصحة شهادتهم. ولم تكن شهادة الرسل الوحيدة للرسالة المسيحية، بل هي شهادة أمة مختلفة في الإيمان، متفقة في الواقع التاريخي، شهادة أمة المسيح في أمة اليهود : « فآمنت طائفة من بني إسرائيل، وكفرت طائفة » . وشهادة أمة لا تشوهها أميّة.

ثم نرى في الواقع أن يسوع قد اصطفى من تلاميذه هؤلاء الاثني عشر « ليكونوا معه، ويرسلهم للدعوة » (مرقس ٣ : ١٣). « **وفي الخلوة كان يفسر لتلاميذه الأخصاء كل شيء** » (مرقس ٤ : ٣٤) حتى يعرفوا سر ملكوت الله : « أنتم قد أوتيتم أن تعرفوا سر ملكوت الله » (مرقس ٤ : ١١). وبعد سنة من دعوته انفرد بهم يسوع ليكشف لهم أنه هو المسيح، وكان يحاول في دعوته ومعجزاته أن يخفي في أول الأمر سر شخصيته. لئلا يثير الشعب ويثير الدولة الرومانية المستعمرة، لأن المسيح الموعود كان في نظرهم المسيح الملك، الظافر بالجهاد، لا المسيح الهادي بالحكمة والموعظة الحسنة، والفادي بالشهادة والاستشهاد. فلما فهموا وشهدوا بلسان بطرس زعيمهم أنه المسيح، « أوصاهم أن لا يقولوا ذلك لأحد » (مرقس ٨ : ٢٧ ـ ٣٠). وبعد ستة أيام استخص من الاثني عشر ثلاثة، بطرس ويعقوب ويوحنا، وكشف لهم سرَّ إلهيته من خلال بشريته في تجليه أمامهم، « وفيما هم نازلون من الجبل (جبل التجلي) أوصاهم ألا يخبروا أحداً بما رأوا إلا متى قام ابن البشر من الأموات » (مرقس ٩ : ٩). فكان يسوع يحرص على إفهام « أخصائه » الأميّين حقيقة إنجيله : فلا تحول أميتهم دون الحقيقة والواقع التاريخي.

ولم يكن الرسل أخصاء المسيح، أميين على قدر ما يظنون. فبطرس واندراوس أخوة، ويوحنا ويعقوب أخوه، كانوا على يسر في حياتهم، وعلى ثقافة دينية كافية لتحملهم على الانضمام أولا إلى دعوة المعمدان، ثم إلى دعوة يسوع. فلولا ولعهم بأمور الدين لما انخرطوا في دعوة المعمدان، ثم لما استجابوا لدعوة يسوع. وهذا متّى كان جابياً لدى الدولة الرومانية، فكان إذاً على ثقافة قومية وأجنبية كافية ليعي إنجيل المسيح ويفهمه. ومرقس ابن أخت

الوجيه الثري المثقف برنابا، كان رفيق خاله وبولس في رسالتهما الأولى، ثم نراه ترجمان بطرس في روما دعوة وكتابة. فكان الرسل، والإنجيليون منهم، على ثقافة كافية لفهم الإنجيل وشخصية المسيح معلمهم.

وقد أوجز الرسل دعوتهم بالمسيح والإنجيل في بعض خطوط عامة : صلته بالمعمدان، دعوته في الجليل، رحلته الأخيرة إلى أورشليم، استشهاده، قيامته، واختاروا لتفصيل تلك الخطوط العامة ما قل ودل من أعمال المسيح وأقواله، **في صفحات معدودات** من تلك « الصحف المكتوبة » التي لو وضعت لتفصيل سيرة المسيح ودعوته « لما خلت العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة » (يوحنا ٢١ : ٢٥). فهذه الصفحات المعدودة من إنجيل المسيح تنسجم مع ما ندعيه من أمية للرسل.

هذا جواب التاريخ والعلم. ويزيدنا جواب الإيمان يقيناً بأن أمية الرسل لم تكن حائلاً بينهم وبين حقيقة المسيح وحقيقة الإنجيل. فقد وعدهم المسيح بتأييد الروح القدس، وأنزله عليهم، لكي « يعلمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (يوحنا ١٤ : ١٦) « ويرشدكم إلى الحقيقة كلها » (يو ١٦ : ١٣).

فقد علمهم الروح القدس دعوة وكتابة. وهذه العصمة تحوّل الأميّة إلى ثقافة إلهية. فلا تحول أمية الرسل دون فهم حقيقة المسيح والإنجيل.

شبهة خامسة : سلم السيد المسيح الإنجيل إلى جماعة تلاميذه، خصوصاً إلى الخاصة منهم، الرسل الاثني عشر صحابته. والجماعة الخاصة والعامة، مع مرور الزمن، تخلق البطولة في زعيمها؛ وكلما كان محاطاً بهالة من السر، كلما رفعته جماعته في سلم الألوهية. فهذه الفطرة في الجماعة لا بد شوهت حقيقة الواقع والتاريخ؛ فنرى في الإنجيل المسيح **كما توهموه، لا كما كان في الحقيقة** « النجار ابن مريم، أخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؛ وأخواته ألسن ههنا عندنا ؟ » (مرقس ٦ : ٣).

ليس الإنجيل المكتوب، ولا الإنجيل الشفوي، وليد الوهم الجماعي. فقد كان الرسل، في مطلع دعوتهم للمسيح والإنجيل، كما في ختامها، واقعين أكثر مما يتوهم الواهمون. فمسيح القيامة هو « يسوع الناصري المصلوب » (اع ٢ : ٣٦). والذين يشهدون أن يسوع الناصري المصلوب هو « المسيح الرب » (اع ٢ : ٣٦) كانوا من اليهود الموحدين على أخلص وأصلب ما يكون التوحيد؛ فما كانوا ليرفعوا يسوع الناصري إلى الربوبية والألوهية، لو لم يكن بأحواله وأعماله وأقواله قد أَنزل اليقين في نفوسهم؛ فشهدوا بما شاهدوا، واستشهدوا لما شهدوا. فلم يكن الوهم الشعبي الجماعي مصدر إيمانهم ودعوتهم وما رووه منها في الإنجيل بنصوصه الأربعة.

شبهة سادسة : إن الإنجيل بأحرفه الأربعة لم يدون إلا بعد المسيح. **بنحو ثلاثين سنة.** إلا يكفي هذا الزمن لتشويه الواقع التاريخي كما حدث ؟

إن القائلين بهذه الشبهة ينسون التاريخ وعلم النفس. نحن في عصر نعتمد فيه على الورق والكتابة، فتضعف فينا الذاكرة. أما في عهود الذاكرة التي كانت السجل الوحيد تقريباً للأحداث، خصوصاً الأحداث التي شاهدتها الذاكرة، فقد كانت المقدرة على الحفظ مما نستغربه اليوم. فإن الياذة هوميرس تناقلتها الأجيال مئات السنين قبل تدوينها. والشعر الجاهلي رواه الرواة عشرات السنين قبل تدوينه. والقرآن مثل الإنجيل حفظ في الصدور نحو ثلاثين سنة قبل تدوينه. فحفظ الإنجيل في الصدور، والدعوة به شفوياً قبل تدوينه، مدة ثلاثين سنة تقريباً، ليس شبهة على صحة نقله وحفظه وتدوينه.

ونعرف من علم النفس أن الإنسان كلما شاخ كلما انحصرت ذاكرته بما علق فيها من أيام الشباب. والشيخ يحفظ أحداث حداثته وكهولته، خصوصاً التي تركت في نفسه أثراً محسوساً، أكثر من أحداث شيخوخته. فلما كان بطرس يبشر بالإنجيل في روما، كما نقله عنه مرقس، كان قد جاوز الستين. ونرى

ولع الرسول الشيخ بالوقائع الدقيقة ظاهراً في الإنجيل بحسب مرقس، أكثر من سواه.

ونعرف من رسائل بولس أنه كان بين دعاة المسيحية فئة « الإنجيليين » الذين تخصصوا بحفظ رواية الإنجيل لسردها في الصلاة ونوادي المسيحيين : فالمسيح « **جعل بعضاً** رسلاً، وبعضاً أنبياء، **وبعضاً إنجيليين**، وبعضاً رعاة ومعلمين » (افس ٤ : ١١). والشماس فيلبس كان « إنجيليّاً » (اع ٢١ : ٨). وبولس نفسه كان « إنجيليّاً » قبل أن يصير رسولاً ومعلماً (٢ تيم ١ : ١١). فرواة الإنجيل نقلوه في صدورهم وتلاواتهم قبل تدوينه وبعده.

وأبعد مدوني الإنجيل عن المشاهدة العيان كان لوقا الطبيب والأديب الانطاكي. فلما اهتدى لازم بولس، ونقل عنه الإنجيل، بصفة بولس إنجيليّاً أيضاً روى الإنجيل عن أهله الرسل (٢ تيم ١ : ١١). وفي أسر بولس في فلسطين منذ سنتين أجرى تحقيقاً في مصادره. ويقول لنا في فاتحة إنجيله إنه ينقل الإنجيل عن « الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة (الإنجيل) ثم صاروا دعاة لها » ، وإنه استأنس بما دوّن قبله (لوقا ١ : ١ ـ ٤).

وائتلاف الأناجيل الثلاثة، متى ومرقس ولوقا، دليل على وجود **مصادر مكتوبة** قبلهم للإنجيل نقلوا عنها ما أجمعوا عليه.

وإذا كانت الكنيسة المسيحية لم تحتفظ إلا بالأناجيل الأربعة المعهودة، بسبب صحة رسوليتها، فهذا لا يعني أنه لم يكن هناك تدوين منذ اليوم الأول فقد نقل لوقا، أنه « أخذ كثيرون في تدوين رواية للأحداث التي جرت بين ظهرانينا، على حسب ما سلمها إلينا أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا خداماً لها » (١ : ١). فمنذ بدأت الدعوة المسيحية تنتشر بدأ النقل عن الرسل الشهود العيان، والتدوين. فالإنجيل الشفوي يكتب منه يوماً فيوماً حتى يوم التدوين الرسمي.

ففي فترة الثلاثين سنة قبل التدوين الرسمي كان الإنجيل ينقل شفوياً، خصوصاً عن طريق الرواة « الإنجيليين » ويدون منه قليل أو كثير قبل التدوين الأخير الرسمي.

عندما نرى يوحنا الرسول، وهو ابن مائة سنة تقريباً، ينقل مذكرات حداثته مع يسوع، نشعر من التعليمات المكانية والزمانية والشخصية والنفسية كيف **طبع الإنجيل في نفسه طبعاً**، فيرويه في شيخوخته كأنه لم يزل يراه ويسمعه.

فليس عامل الزمن شبهة على صحة الإنجيل بنصوصه الأربعة.

شبهة سابعة : علّم المسيح الإنجيل بالأرامية؛ والإنجيل بأحرفه الأربعة، كما هو مشهور ومتواتر، لم يعرف إلا باليونانية؛ **أليس في ترجمته من شبهة على صحته ؟** خصوصاً واليونانية تختلف في أساليب لغتها، وفنون بيانها، تفكيراً وتعبيراً عن الأرامية ؟

كلا ليس في ذلك من شبهة، لأن اليونانية كانت شائعة في فلسطين منذ الاسكندر، واختلاط الجيش المحتل بالأهلين دليل ذلك. ومن عادة الشعب، في سوريا الكبرى بما فيها فلسطين اليهود، تعلم لغة الفاتحين، والبراعة فيها مثل لغتهم القومية. وكانت اليونانية لغة الحكم والأدب والتجارة والمراسلة في الإمبراطورية الرومانية. فهذا دليل أول على أن الدعوة الإنجيلية، وكلمات المسيح، تناقلها الناس بالأرامية واليونانية على أيام المسيح نفسه.

ونعرف أيضاً أن بين الرسل من كان يعرف اليونانية، مثل متى الجابي لحساب الرومان : « ولما جاء وفد من اليونانيين المتقين، ممن صعدوا ليقيموا شعائر العبادة في العيد، اقبلوا على فيلبس الذي من بيت صيدا في الجليل وسألوه، قالوا : يا سيد نرغب أن نرى يسوع. فجاء فيلبس وقال لاندراوس واندراوس وفيلبس أقبلا وبلغا يسوع » (يوحنا ١٢ : ٢٠ ـ ٢٢). فهذا

الحادث يدل على أن فيلبس واندراوس كانا يعرفان اليونانية. ثم بأي لغة خاطب يسوع هذا الوفد اليوناني ؟ أمن المستغرب أن يخاطبهم باليونانية ؟

ونعرف أن الرسل كانوا جميعهم من الجليل. والجليل يسمى «جليل أمم» لكثرة الغرباء فيه، ولغتهم جميعاً اليونانية. فكانت اليونانية سائرة حتى بين الشعب في الجليل.

والرسل، حفظة الإنجيل، دعوا بالإنجيل في الإمبراطورية الرومانية، باللغة اليونانية. فهم الذين نقلوا الإنجيل من لغة المسيح إلى لغة المسيحيين. فلم يكن في نقل الرسل أنفسهم للإنجيل من شبهة على صحة الإنجيل. فجاء الإنجيليون ودوّنوا باليونانية الإنجيل المكتوب، عن الإنجيل الشفوي المنقول باليونانية أيضاً. ولا ننسَ أن الرسل كانوا معصومين دعوة وكتابة.

والإنجيل قائم بمعناه وموضوعه أكثر من حرفه، وإعجازه في معناه أكثر من إعجازه في حرفه؛ والإعجاز في المسيح ذاته أكثر من الإنجيل نفسه. **وهذا كله لا يشوّه في الترجمة،** خصوصاً إذا تمت على يد الرسل المعصومين. وميزة الإنجيل على سائر الكتب أنه يحتفظ بروعته في كل اللغات، ومعناه بيان معجز لكل إنسان في كل لسان.

فليس في ترجمة الإنجيل من شبهة على صحته.

*

شبهة ثامنة : الإنجيل بحسب متى الآرامي ذاب مع النصارى اليهود، ولم يبق لنا منه سوى ترجمته في الإنجيل بحسب متى اليوناني؛ فهو من هذا القبيل ليس مباشرة شهادة الشاهد العيان. ومرقس ولوقا لم يكونا من الرسل صحابة المسيح. **فهذه الأناجيل الثلاثة ليس إذن مذكرات الشهود العيان مباشرة!** بل هي شهادتهم عن أتباعهم : ففي السند وهن، وعلى الشهادة شبهة.

لكن من المُشاهد أن أبعد مدوني الإنجيل عن المشاهدة العيان كان لوقا الانطاكي. مع ذلك فهو يشهد في فاتحة إنجيله أنه ينقل بتدقيق وترتيب عن مصدرين : **مصدر شفوي** هو « أولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان لكلمة (الإنجيل)، ثم صاروا دعاة لها » ؛ ومصدر مكتوب هو جميع التدوينات التي سبقته للإنجيل الشفوي الذي ينقله الرسل أنفسهم. فهو إذن ينقل شهادة شهود العيان، والتدوينات التي سبقته لها.

ومرقس هو ترجمان بطرس. ونرى في الإنجيل بحسب مرقس طابع بطرس في شخصيته وأسلوبه وشعبيته وواقعيته وطبيعته. فهو أيضاً ينقل شهادة شاهد العيان الأول.

ومتى اليوناني هو ترجمة متى الآرامي، مهما دخل الترجمة من تصرف. والبرهان على صحة النقل أن الإنجيل بحسب متى الآرامي كتب لليهود النصارى، فهم هدف بيانه وتبيينه، وهذا الهدف لا مكان له في العالم الإغريقي الروماني. مع ذلك فهذا الهدف في الإنجيل بحسب متى اليوناني لم يزل قائماً، مع اختلاف البيئة والأهداف والحاجات. فهو إذن ينقل أيضاً شهادة شاهد العيان الموثوق.

فليست الأناجيل المؤتلفة الثلاثة : مرقس ولوقا ومتى اليوناني، شهادة تاريخية بسند ضعيف؛ وليس عليها من جهة الإسناد شبهة.

وهذه الأناجيل الثلاثة المؤتلفة، مثل الإنجيل بحسب يوحنا، شهادتها على صحتها، أو على صحة تاريخيتها، أو على صحة الترجمة فيها، قائمة فيها : فهي وإن كانت بلغة يونانية، فما زالت أساليب التفكير، وفنون التعبير فيها بالأرامية بادية عليها. ولوقا نفسه الانطاكي، ابن الثقافة الهلنستية، لم يتحرر من التفكير والتعبير بحسب الأرامية، في نقل الإنجيل إلى البيئة اليونانية الهلنستية. وبعد فالإنجيل شخص منزل أكثر منه كتاباً منزلاً، وهذا لا يتحول في الترجمة.

فليس في ترجمة الإنجيل من الأرامية السريانية إلى اليونانية الهلنستية من شبهة على صحة الإنجيل المكتوب باليونانية.

فهي كما سماها الفيلسوف الشهيد يستينوس : « **مذكرات الرسل المسماة الأناجيل** »

*

شبهة تاسعة : هذه شبهة جديدة أثارتها **مخطوطات قمران** وما فيها من أوجه الشبه مع أسفار الأناجيل والعهد الجديد كله. ففي الأدب القمراني والأدب الإنجيلي طريقة متقابلة في استعمال الكتاب، وأساليب الاستشهاد به وفهمه، وموقف متقابل من الهيكل وطقوسه، ومن البتولية والعزوبة، ومن طرائف التقوى والعماد والعبادة والإيمان باليوم الآخر، والانتساب إلى « العهد الجديد » الموعود. خصوصاً جماعة قمران مثل جماعة المسيح تدعي أنها « **العهد الجديد** » وأنها « **أبناء النور** » والقديسين والمساكين. وتعابير « البر، والسر، والوحي، والعلم » واحدة فيما بينهما، وجماعة قمران تبشر بالنبي الموعود، وإيليا العائد بصفة المسيح الهاروني، والمسيح ابن داود الموعود، كما نرى صدى ذلك في الإنجيل بحسب يوحنا (١ : ١٩ ـ ٢٥). وإن عدد جماعة المسيح يوم العنصرة ١٢٠ نفساً (اع ١ : ١٥) مثل عدد جماعة قمران؛ وعيشتها المشتركة مثل الاشتراكية التي تمارسها كنيسة أورشليم (اع ٢ : ٤٢ و٤٥) وتعليمها في موقف « أبناء النور » من « أبناء الظلمة » كما ورد في بولس (٢ كو ٦: ١٤ ـ ٧ : ١٦؛ افسس ٥ : ٦ ـ ٢٠)؛ وتعليم بولس في الاصطفاء وضرورة النعمة والبر كمنحة من الله هو شبيه بتعليمهم. وتلك المقابلات الشهيرة في الإنجيل بحسب يوحنا : النور والظلمة، الحقيقة والكذب، الحياة والموت، هي مثل مقابلاتهم. ويظهر أن المعمدان عاش في جوارهم، وربما تتلمذ لهم وفي دعوته بالتعميد جرى على طريقتهم في التطهير بالوضوء الكامل. ويسوع دعا دعوته الأولى في ظل المعمدان وفي جواره. ناهيك عن الشبه الكبير بين

« معلم الحق » مؤسس جماعة قمران، والمسيح القائل « أنا الحق » (يو ١٤ : ٦) مؤسس المسيحية. فكل هذه **دلائل أثرية قائمة** على المطابقة بين دعوة قمران والدعوة المسيحية، وعلى أن دعوة **قمران هي مصدر الدعوة المسيحية.**

أجل لا ننكر **الشبه الكبير** بين تعابير الأدب القمراني والأدب الإنجيلي، ولا بين تنظيم جماعة قمران، وعلى رأسهم مجلس من اثني عشر، يتزعمهم ثلاثة كهنة، وبين تنظيم الجماعة المسيحية الأولى وعلى رأسهم الرسل الاثني عشر والثلاثة المقربون بطرس ويوحنا ويعقوب.

لكن وحدة التعبير لا تعني وحدة التفكير جماعة قمران ينتظرون النبي الموعود وإيليا (بصفة المسيح الهاروني) والمسيح ابن داود! وجماعة المسيح يشهدون أن يسوع الناصري هو النبي الموعود وهو الكاهن الأعظم المأمول، وهو المسيح ابن داود. ومشهد وفد السنهدرين يسأل المعمدان هل هو أحد الثلاثة (يو ١ : ١٩ ـ ٢٥) يدل أن عقيدتهم ليست خاصة بهم بل هي عقيدة عامة اليهود التي تحققت في يسوع المسيح.

والوحي الإنجيلي في تعبيره ينتسب إلى الكتاب، خصوصاً إلى أشعيا ودانيال والمزامير، مثل الأدب القمراني. ووحدة المصدر عند الاثنين تدل على وحدة التعبير، ما عدا الاختلاف الظاهر في التفكير.

وهناك **مصادر أخرى غير العهد القديم** تجمع ما بين الأدب القمراني والأدب الإنجيلي، مثل الأدب العبراني غير المنزل في كتب الرؤيا وكتب المزامير وكتب القصص التي تكاثرت في القرنين الأولين قبل المسيح أي منذ تأسيس الأسينيين ورهبانهم في قمران حتى المسيح. وفيها جميعاً النزعة الروحية التي تتحرر من حرف الأحكام والطقوس إلى روحانية أصفى وأسمى. فليست الحركة القمرانية الوحيدة التي تشبه الحركة المسيحية، بل قام بين اليهود حركات متعددة ومتنوعة هيأت البيئة للوحي الإنجيلي.

قيل إن **سكوت الإنجيل** عن الأسينيين[١] ورهبانهم في قمران دليل التفاهم والتناسب. وفاتهم أن حركة قمران رهبانية منعزلة في أديرتهم، والإنجيل دعوة علنية وشعبية اصطدمت بالسلطات الدينية والقومية القائمة في الأمة والدولة ولم يكن من مجال للحوار أو الجدال مع رهبان قمران المنعزلين عن الشعب. فسكوت الإنجيل عنهم ليس تواطئاً معهم ولا انتساباً إليهم. وجدال يسوع أو تلاميذه مع جماعة المعمدان، القريب في دعوته وطريقته من جماعة قمران، دليل على ما في دعوة المسيح ودعوتهم من فوارق.

وانتساب المعمدان إلى جماعة قمران قد يكون في الزهد وطريقة الحياة وطريقة التطهير بالوضوء الكامل، لكن ليس في التفكير : هم ينتظرون المسيح الموعود؛ وهو ينادي بالمسيح المشهود. ودعوة المسيح الأولى في جوار المعمدان وعلى طريقته (يوحنا ٣ : ٢٢ ـ ٢٥) لم تكن تلمذة للمعمدان، بل مناسبة للمعمدان لإعلان مسيحية يسوع للناس. (يوحنا ١: ٢٩ ـ ٣٤؛ ٣ : ٢٢ ـ ٣٠). ومواقف المعمدان من يسوع تدل على أنه يعتبر يسوع المعلم الأكبر الذي لا يستحق هو أن ينحني ليحل سير حذائه (يوحنا ١ : ٢٧). فليس عند المسيح انتساب عبر المعمدان إلى جماعة قمران.

وجماعة قمران تكتب لنفسها لا للدعوة؛ وتعمل لنفسها لا للدعوة. فهي **جماعة مغلقة على نفسها**، في ديرها. بينما **جماعة المسيح جماعة مفتوحة** تنطلق لفتح العالم للمسيح. ففيها أناجيل للدعوة ليس عند جماعة قمران ولا غيرها. ولها رسل ورعاة، وأعمال الرسل ليست عند جماعة قمران. وتؤسس كنائس في مدن الإمبراطورية الرومانية كلها وترسل لها رسائل ليس منها شيء في جماعة قمران. فالأدب القمراني أدب رهباني لتفصيل الكتاب؛ والوحي الإنجيلي

---

(١) يذكر يوسف اليهودي أنه كان بين اليهود ثلاث حركات ودعوات : الصدوقية والفريسية والأسينية. وهو يمدح كثيراً رهبانية قمران الأسينية.

دعوة عامة للخليقة كلها. فما بين قمران والإنجيل، مع بعض الشبه في التعبير والتنظيم، اختلاف كبير في التفكير والأهداف والدعوة. هم جامدون على التوراة لبني إسرائيل، والمسيحية تجدد التوراة بالإنجيل للعالم كله. هم ينتظرون المسيح الموعود كبشر؛ والإنجيل يدعو ليسوع أنه المسيح ابن الله.

والشبه في التنظيم والاشتراكية الملحوظة بين جماعة المسيح وجماعة قمران إن هي إلا ظاهرة، تقوم على العدد الاثني عشر في مجلس قمران ومجلس الرسل، وعلى اشتراكية في الحياة. فعدد الاثني عشر عدد رمزي متواتر عن أسباط إسرائيل، اعتمده المسيح في إسرائيل الجديد. واشتراكية قمران كانت اشتراكية أملاك؛ بينما اشتراكية كنيسة أورشليم كانت شركة حياة يعيل فيها الغني الفقير : يدل على ذلك حملات بولس لجمع التبرعات لفقراء أورشليم.

والمقابلات اللفظية عند يوحنا وبولس، بين النور والظلمة، وأبناء النور وأبناء الظلمة، وبين الحياة والموت، وبين أبناء الله وأبناء بليعال : وعند جماعة قمران، إنما هو **تراث مشترك** يتخطى اليهودية إلى الغنوصية الشرقية. فليس محصوراً في جماعة قمران حتى تكون مصدراً له.

والقرب الجغرافي لدعوة قمران ودعوة المعمدان ودعوة المسيح مراراً في اليهودية والأردن؛ والقرابة في النزعة الروحية الصوفية بين الدعوات الثلاث؛ تفسر تلك المشابهات والمقابلات في التعبير بين الأدب القمراني والوحي الإنجيلي لكن شتان ما بين « **الحرف الذي يقتل والروح الذي يحيي** » (٢ كو ٣ : ٦). « فالعهد الجديد » بالمسيح هو عهد الروح الذي يحيي لا « العهد الجديد » عند جماعة قمران الجامد على التوراة وأحكامها.

فشبه في التعبير لا يجعل وحدة في العقيدة ولا في الدعوة ولا في شخصية المعلم.

فليست جماعة المسيح من جماعة قمران؛ ولا الوحي الإنجيلي من الأدب القمراني.

*

شبهة عاشرة : نزل الإنجيل على أربعة أحرف باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني. فأخذ بعضهم **الاختلاف في الألفاظ دليلاً على اختلاف في المعاني،** خصوصاً في كلمات المسيح مثل صلاة «أبانا» (متى ٦ : ٩ ـ ١٣ = لوقا ١١ : ٢ ـ ٤)؛ وكلمات تقديس القربان (متى ٢٦ : ٢٦ ـ ٣٨؛ مرقس ١٤ : ٢٢ ـ ٢٤؛ لوقا ٢٢ : ١٩ ـ ٢٠؛ ١ كو ١١: ٢٣ ـ ٢٥)؛ ونسب يسوع (متى ١ : ١ ـ ١٧ = لوقا ٣ : ٢٣ ـ ٣٨)؛ وخطاب يسوع التأسيسي على الجبل الذي وزعه لوقا في الإنجيل كله.

لقد فات أهل هذه الشبهة الفارق الكبير بين **التنزيل بالحرف والتنزيل بالمعنى** والواقع الإنجيلي، من تنزيل الإنجيل على أربعة أحرف أو نصوص، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، يشهد أن التنزيل في الإنجيل تنزيل بالمعنى أكثر منه تنزيلاً بالحرف. فالخلاف اللفظي ليس خلافاً في المعنى.

هكذا لما يقول متى «طوبى للمساكين ـ روحاً ـ فإن لهم ملكوت السماوات» ويقول لوقا : «طوبى لكم أيها المساكين، فإن لكم ملكوت الله» نرى أن الاختلاف في الأسلوب بين صيغة الخبر وصيغة الإنشاء ليس اختلافاً في المعنى؛ وزيادة «روحاً» عند متى هي للإيضاح؛ وتبديل «ملكوت الله» عند لوقا بقول متى «ملكوت السماوات» هو نقل المعنى من البيئة الإسرائيلية التي كانت تتحاشى لفظ اسم الجلالة بحرفه فترادفه «بالسماوات» إلى البيئة الهلنستية التي لم يكن لديها تلك الحساسية فتذكر اسم الجلالة بلفظه. فالمعنى في الصيغتين واحد.

كذلك عندما نتلو في صلاة «أبانا» عند متى : «واترك لنا ما علينا فإننا نحن

أيضاً نترك لمن لنا عليهم » وعند لوقا : « واغفر لنا ذنوبنا فإننا نحن أيضاً نغفر للمذنبين إلينا » ، فالاختلاف في التعبير، لا في المعنى، لأن ديوننا لله، إنما هي « ذنوبنا » لديه تعالى كما يوضحه لوقا في ترجمته.

كذلك أيضاً حين نقرأ صورة شهادة الرسل بفم بطرس ليسوع : « أنت المسيح » عند مرقس ولوقا، ثم « أنت المسيح ابن الله الحي » عند متى، فليست إضافة متى « ابن الله الحي » سوى تفسير لمعنى « المسيح » الكامل في لغة الرسل ولغته.

كذلك أيضاً حين نقرأ صيغة تقديس القربان عند مرقس : « هذا هو دمي دم العهد الجديد، المهراق عن الجميع » ، وعند متى : « هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عن الجميع لمغفرة الخطايا » ، وعند لوقا (كما عند بولس) : « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، المهراق من أجلكم » نرى أن الاختلاف في أسلوب الترجمة، لا في المعنى، وما يضيفه أحدهم بالنسبة للآخر إنما هو زيادة تفسيرية للمعنى الواحد المقصود في الأصل، كما في هذه الصيغة الجامعة : « هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عنكم وعن الجميع لمغفرة الخطايا » .

كذلك أخيراً الاختلاف في القصص الإنجيلي للحادث الواحد، أو المعجزة الواحدة، **هو اختلاف في الأسلوب لا اختلاف في المعنى**، ما بين إيجاز وإسهاب، وما بين إبراز فكرة أو هدف قد يختلف باختلاف البيئة التي عرض فيها الإنجيل في عرضاته الأربع في البيان والتبيين : فالموضوع واحد، والمعنى واحد، مع ظاهر الاختلاف في الأسلوب أو في التعبير.

وليس بين **ما يسكت عنه إنجيل ويعلنه آخر** دليل على الوضع أو التحريف، لأن السكوت أو الإعلان مما يدخل في غرض الإنجيل في عرضه في بيئته في تنزيله. فليس السكوت أو الانفراد في الإعلان شبهة على الصحة، لأن يسوع

صنع أيضاً أشياء أخرى كثيرة، فلو أنها كتبت واحداً فواحداً لما خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة (يوحنا ٢١ : ٢٥).

وإعجاز الإنجيل في حفظه، وفي صحته وتاريخيته، إنما هو في اختلاف الألفاظ والأسلوب، واتفاق المعاني والموضوع. فإنه لدينا هكذا أربع شهادات للمعنى الواحد والموضوع الواحد، من « المختلف المؤتلف » وهو ناحية أخرى من إعجاز الإنجيل في بيانه وتبيينه، وصحته وتاريخيته.

تلك هي بعض الشبهات على صحة الإنجيل وتاريخيته في أحرفه الأربعة. وقد رأيت أنها لا تثبت للنقد النزيه الصحيح.

المشكل الأكبر على صحة الإنجيل وتاريخيته هو شخصية المسيح.

فالمشكل في الإنجيل بنصوصه الأربعة، ليس البتة صحة الأناجيل وتاريخيتها، فهذا ظاهر من بعض الأدلة التي أوجزناها وتحتاج إلى كتب لتفصيلها؛ بل المشكل، والمشكل كله، في سر هذه الشخصية، سر تعليمها! **أفي الإنجيل، مسيح الإيمان أم يسوع التاريخ ؟** ـ لا وجود لمسيح الإيمان بدون يسوع التاريخ.

وتعليم يسوع التاريخ **عن سر ذاته وسر الله لا يمكن خلقه من يهود،** في بيئة يهودية. ينسى المشككون أن اليهود في زمن المسيح أمة موحدة، على أخلص وأصلب ما يكون التوحيد. وقد ماتوا في موطنهم ومهاجرهم شهادة لتوحيدهم. **فلا يمكن أن تثبت في ضميرهم فكرة تأليه مخلوق أو ألوهية بشر،** مهما كانوا أميين، أو مثقفين بثقافة اليونان والرومان، أمثال بولس ولوقا ومتى. وها هم يشهدون، هم الموحّدون الأوحدون، أن يسوع، ابن مريم، هو أيضاً « **ابن الله** » ، بتعبير شعبي يفهمه الجميع، أو « **كلمة الله** » بتعبير كلامي يفهمه المتعلمون. يشهدون، هم شهود العيان، ويموتون في سبيل شهادتهم. في تلك الشهادة **مشكل المشاكل،** لا في تاريخية الأناجيل وصحتها. فقد شهدوا واستشهدوا قائلين :

« إن الذي كان منذ البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي تأَملناه، الذي لمسناه بأيدينا، كلمة الحياة ـ إذ إن الحياة قد كان في الآب وظهر لنا ـ أَجل أن ما رأيناه وسمعناه به نبشركم أنتم أيضاً، لتكون لكم أنتم أيضاً شركة معنا. وشركتنا نحن إنما هي مع الآب في يسوع المسيح ابنه، ونكتب إليكم بهذه الأمور ليكون فرحنا كاملاً معكم (مطلع رسالة يوحنا في تقديم الإنجيل).

بحث سابع

إعجاز الإنجيل

ليس في آداب الدين والدنيا من كتاب أجمع الناس من كل أمة ولسان مثقفين وأميين، مؤمنين وغير مؤمنين، على تقديره كل التقدير، مثل الإنجيل. يرون فيه الإعجاز الشامل الكامل، الإعجاز المطلق.

١ـ الإنجيل إعجاز في التنزيل

طرق الوحي والتنزيل حتى الإنجيل ثلاث : « ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء أنه عليّ حكيم » فأدنى طرق الوحي التنزيل بالواسطة.

والتنزيل في الإنجيل لم يكن بوسيط ووسط، فلم ينزل به جبريل على المسيح من لوح محفوظ؛ ولم يكلم الله المسيح تكلماً من وراء حجاب، ولم يوح إليه وحياً مباشراً. بل كان التنزيل في الإنجيل **بالكشف والمشاهدة**: فقد صرح المسيح لعظيم من علماء الشريعة: « الحق الحق أقول لك : إننا ننطق بمَا نعلم، **ونشهد بما شاهدنا** » (يوحنا ٢ : ١١). وفي حوار الفقهاء في الهيكل

يعلن : « الحق الحق أقول لكم، إن الابن لا يعمل شيئاً إلا ما يرى الآب يعمله فما يفعله هو يفعله الابن كذلك. فإن الآب يحب الابن، ويريه جميع ما يفعل » (يوحنا ٥ : ١٩ ـ ٢٠). وفي حوار آخر : « إن الذي أرسلني حق، وما سمعته منه به أتكلم في العالم ... إذا ما رفعتم ابن البشر، فعندئذ تعرفون إني أنا هو، وإني لا أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بما علمني الآب » (يوحنا ٨ : ٢٦ ـ ٢٨). وقال لرسله الحواريين : « إن الأقوال التي أنطق بها لا أنطق بها من نفسي، بل الآب المقيم فيَّ هو يعمل أعماله » (يوحنا ١٤ : ١٠). فتنزيل الإنجيل كشف بالمشاهدة العيان ووحدة العمل بين الله ومسيحه. لذلك ختم يوحنا فاتحة الإنجيل، بالمقارنة بين وحي التوراة ووحي الإنجيل بقوله : « إن الله لم يره أحد قط، إلا الإله، الابن الوحيد، القائم في حضن الآب : فهو الذي أظهره » (يوحنا ١ : ١٨).

وفي المسيح وحده، دون المرسلين أجمعين، اتحدت الرسالة والرسول، **فكان السيد المسيح كلام الله نفسه**. يسمي الإنجيل المسيح، بلغة شعبية، « ابن الله »؛ وبلغة علمية: « كلمة الله » أي نطقه الذاتي في ذاته. ولمّا ألقى الله « كلمته » الذاتية إلى مريم، صار كلمة الله كلام الله، وكان كلام الله فيه « كلمة الله » . كان الوحي عند الأنبياء أجمعين كلام الله، فصار بالمسيح « كلمة الله » الذاتية عينها. كان التنزيل حتى المسيح كتاباً منزلاً، فصار بالمسيح شخصاً منزلاً، « كلمة الله » الذاتية عينها : « في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله ... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا وقد شاهدنا مجده، مجد الآب على ابنه الوحيد ... إن الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (فاتحة يوحنا). لذلك كرر المسيح في خطاب واحد، بجامع كفرناحوم، ست مرات : « أنا الخبز الحي النازل من السماء » (يوحنا ٦ كله). فالمسيح، كلمة الله، النازل من السماء، **هو التنزيل عينه**.

بما أن السيد المسيح هو « كلمة الله » الذاتية، أي نطقه الذاتي في ذاته فبنزوله في يسوع، ابن مريم، **كان هو نفسه مظهراً لله، وكشفاً ذاتياً للآب :** « الله لم يره أحد قط، إلا الإله، الابن الوحيد، القائم في حضن الآب : فهو الذي أظهره » (يوحنا ١ : ١٨). لذلك صرح يسوع في ختام رسالته للشعب كله في الهيكل : « ما دام النور معكم فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور ... ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني » (يوحنا ١٢ : ٣٦ و٤٥). وصرح عشية استشهاده للرسل، إذ سأله فيلبس : « يا رب أرنا الآب وحسبنا! قال له يسوع : يا فيلبس، أنا معكم كل هذا الزمان ولا تعرفني! **من رآني فقد رأى الآب!** فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أفلا تؤمن إني أنا في الآب, وإن الآب فيّ ؟ إن الأقوال التي أنطق بها، لا أنطق بها من نفسي، بل الآب المقيم فيّ هو يعمل أعماله. صدقوني إني أنا في الآب، وإن الآب فيّ! وإلا فصدقوا من أجل الأعمال » (يوحنا ١٤ : ٨ ـ ١١).

هذا هو الإعجاز المطلق في التنزيل، فلا إعجاز بعد المسيح والإنجيل.

*

٢ـ الإنجيل إِعجاز في البلاغ

كان الوحي والتنزيل حتى المسيح بلاغاً للناس في التوحيد، وفي ذروته التنزيه والتجريد. وحرف التوحيد في كل نبوة : « الله أحد » منذ موسى (التثنية ٦ : ٤). وصفة التوحيد : « الله الصمد » منذ أشعيا (٦ : ٣). والتعبير المتواتر في الكتاب في التنزيه والتجريد في التوحيد : « الله القدوس » (أشعيا ٦ : ٢).

وهو توحيد الله في ذاته وصفاته، وفي أحوال وأفعاله؛ ولم يتجاسر توحيد منزل أن يصف حياة الله في ذاته، إنها غيب الله المحجوب من المخلوق؛ « حتى غدا البحث في ذات الله إشراكاً » .

وها الوحي الإنجيلي يأتي ليكشف لنا حياة الحي القيوم في ذاته. عرفنا من الكتاب الله، وكلمته أو حكمته الأزلية، وروحه القدوس. ولكن ما صلة كلمة الله بالله في ذاته ؟ ما صلة روح الله بالله وكلمته ؟ ما هو الروح ؟ ما هو الله في ذاته.

كشف لنا الإنجيل أن الله في ذاته « أب » فوق المخلوق وما يمت إلى المخلوق بصلة : إنه « الآب السماوي » . وبسبب صفة الأبوة الذاتية فيه، فهو أيضاً « أب » للإنسان المؤمن : « أبونا الذي في السماوات » . ويختص الإنجيل بتسمية الله بهذين الاسمين، دليلاً على حقيقته في ذاته.

وشيئاً فشيئاً، تارة بالتلميح، وطوراً بالتصريح، يكشف لنا المسيح عن سرّ ذاته، في شخصيته المزدوجة : ابن مريم، وابن الله. فظهر لنا من أحواله وأعماله وأقواله أنه بشر، لكنه فوق البشر؛ يسمو في ذاته الباطنية على المخلوق إلى صلة خاصة بالخالق؛ إلى صلة بنوة منه تعالى فوق المخلوق وتصورات المخلوق، إلى بنوة روحية ذاتية نطقية في ذات الله، فهو « كلمة الله » الذاتية أي نطقه الذاتي يصدر عن ذات الله، صدور ابن عن أبيه في عالم المخلوق. مشاكلة في التعبير، لا مطابقة في التصوير.

ثم يكشف لنا أن « الروح » الأزلي هو « روح القدس » ، والقدس في لغة الكتاب كناية عن الله! و « روح الحق » ! والحقيقة في لغة الإنجيل كناية عن المسيح (يوحنا ١٤ : ٦). فهو « روح الحق الذي ينبثق من الآب » (يوحنا ١٥ : ٢٦)، فهو « روح القدس » و« روح الحق » ، معاً، في وحدة الذات الإلهية.

فالإنجيل **بلاغ عن ذات الله**، لا يمكن أن يكشفه إلاّ « القائم في حضن الآب » (يوحنا ١ : ١٨)، فإنه « لم يصعد أحد إلى السماء إلاَّ الذي نزل من السماء، ابن البشر (أي المسيح) الكائن في السماء » (يوحنا ٣ : ١٣).

والإنجيل **بلاغ عن مصير الإنسان.** فالإنسان بالفطرة عبد لله؛ وكل وحي

وتنزيل قال بهذه العبودية، ولم يحاول دين أن يرفع الإنسان فوق فطرته وطاقته. والدين المنزل كله قائم على إعلان هذه العبودية.

بلاغ واحد أحد، بين بلاغات السماء إلى الأرض، يرفع الإنسان من حالة « عبد » ، بالفطرة، إلى حالة « ابن » لله، يشترك ـ بدون شرك ولا إشراك ـ بحياة الله، التي في المسيح نقلنا، بصفته صلة الوصل الكيانية بين الله والإنسان، إلى حالة حياة الله التي فيه : « بهذا ظهرت محبة الله في ما بيننا : بأن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليحيا به » (١ يو ٤ : ٩). قال المسيح : « وأنا إنما أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (يوحنا ١٠ : ١٠)؛ « كما أن الآب الذي أرسلني هو الحي، وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني (بالإيمان والقربان) يحيا هو أيضاً بي » (يوحنا ٦ : ٥٧).

فالإنجيل **يرفع الدين من علاقة عبد بربه، إلى علاقة ابن بأبيه.**

لذلك كانت شرعة الإنجيل المحبة. وجعل الإنجيل المحبة الأخوية من محبة الله (مرقس ١٢ : ٢٩ ـ ٣١). وأوجز شرع الله كله بهاتين الوصيتين : « على هاتين الوصيتين، تقوم الشريعة كلها والنبيون » (متى ٢٢ : ٤٠). وأعطى المسيح ذاته في استشهاده قدوة في شرعة المحبة الإنجيلية : « إني أعطيكم وصية جديدة أن يحب بعضكم بعضاً؛ أَجل، أن يحب بعضكم بعضاً، **كما أحببتكم أنا**. وبهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذي، إذا كنتم تحبون بعضكم بعضاً » (يوحنا ١٣ : ٣٤ ـ ٣٥).

ونقدر أن نوجز الوحي الإنجيلي بهذه الكلمة : يتجسد كلمة الله، ينزل الخالق إلى المخلوق؛ وباستشهاد المسيح، كلمة الله، فداءً عن البشر، يرتفع المخلوق إلى الخالق؛ وفي قربان المسيح يتصل ويتّحد الخالق بالمخلوق.

هذا هو الإعجاز المطلق في البلاغ، الذي ليس بعده من بلاغ.

*

٣ـ الإنجيل إعجاز في التبليغ

جاءَ تبليغ الإنجيل قصصاً في الإنجيل بحسب مرقس، وتاريخاً في الإنجيل بحسب لوقا، وحكمة في الإنجيل بحسب متى، وصوفية في الإنجيل بحسب يوحنا.

وفي الأحرف الأربعة هو إنجيل المسيح الواحد، بأساليب أربعة للتبليغ. كان التبليغ بالكلمة والمعجزة ولسان الحال.

في الإنجيل، من دون كل تبليغ، تقترن الكلمة بالمعجزة، والمعجزة بالكلمة. والمعجزة دليل النبوة الأوحد في كلام الله. فيدعم سلطان المعجزة سلطان الكلمة؛ ويكشف سحر الكلمة سرّ المعجزة؛ فيتمثل سلطان الإعجاز المطلق بالقول والعمل معاً.

ومع الإعجاز في الرسالة، إعجاز في الرسول. فالمسيح لسان حال الإنجيل، بأحواله وأعماله وأقواله؛ لا تفاوت في ما بينهما، ولا ثغرة فيها يتطرق إليها ريب أو شبهة.

ينسب المسيح لذاته سلطان الله، ويرجع نسبه في ذاته إلى الله، فيثور عليه الشعب في الهيكل، فيتحداهم بهذا التصريح : « من منكم يُثبت عليَّ خطيئة ؟ إن كنت أقول الحق، فلِمَ لا تصدقوني ؟ من كان مِن الله يسمع أقوال الله. فإن كنتم لا تسمعونها، فلأنكم لستم من الله » ! (يوحنا ٨ : ٤٦ ـ ٤٧).

إعجاز بالأقوال. منذ خطبته التأسيسية، وإعلان شرعة ملكوت الله، يجعل نفسه المشترع الأعظم مثل الله في سيناء، ويطلق أمام الجماهير هذا التحدي : « سمعتم أنه قيل للأولين ... أما أنا فأقول لكم » ؛ ويرددها مراراً (متى ٥ : ٢١ و٢٧ و٣٣ و٣٨ و٤٣). ويطلب الولاء لنفسه في الإيمان والرجاء والمحبة، كالولاء لله : « من أحب أباه أو أمه أكثر مني فلا يستحقني! ومَن أحب

ابنه أو ابنته أكثر مني فلا يستحقني! ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني! ومَن قبلني فقد قبل الذي أرسلني ›› (متى ١٠ : ٣٧ ـ ٤٠).

ويطلق مثل هذه التصريحات المذهلة : ‹‹ أَنا نور العالم ›› ! ثم يشفي الأكمه أي الأعمى منذ مولده : ‹‹ أنا القيامة والحياة ›› ! ثم يقيم لعازر من بعد أربعة أيام من موته؛ ‹‹ قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن ›› ؛ ‹‹ أنا الصراط والحقيقة والحياة ›› ! فمثل هذه الأقوال، قائلها إِمَّا معتوه كافر، وإِمَّا الحق بالذات.

‹‹ ووقع عيد التجديد في أورشليم. وكان شتاء. وكان يسوع يتمشى ذهاباً وإِياباً في الهيكل في رواق سليمان. فتحلق اليهود حوله وقالوا له : ‹‹ حتّى مَ تريب أنفسنا ؟ إن كنت أنت المسيح فقله لنا جهراً ›› ! أجابهم يسوع : لقد قلته لكم ولا تصدقون! والأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي ›› . وبما أنه كان أكثر من مسيح بشر، أطلق هذا الإعلان الصارخ: ‹‹ أنا والآب واحد ›› ! ‹‹ حينئذ تناول اليهود، من جديد، حجارة لكي يرجموه! فأجابهم يسوع : لقد أريتكم أعمالاً حسنة كثيرة من عند أبي، فلأي عمل منها ترجموني ! أجابه اليهود : لسنا لعمل صالح نرجمك؛ بل للكفر! ولأنك، وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهاً ›› ! فاستشهد بالتوراة، وقال : ‹‹ فأنا الذي قدسه الآب، وأرسله إلى العالم تقولون لي : كفرت؛ لكوني قلت لكم : أنا ابن الله؛ إن كنت لا أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني. ولكن، إن كنت أعملها، ولا تريدون أن تصدقوني، فصدقوا هذه الأعمال، لكي تعلموا وتشهدوا أن الآب فيّ، وأني في الآب ›› (يوحنا ١٠ : ٢٢ ـ ٤٠).

وإعجاز بالأعمال. سلطان المسيح مطلق على أنواع الأمراض والعاهات : وعلى الطبيعة في البر والبحر والسماء؛ وعلى الموت والحياة؛ وعلى الغيب، غيب الله وغيب المخلوق؛ وعلى النفوس بغفران الخطايا ـ ولا يغفر الخطايا إِلاّ الله وحده ـ وعلى الدين كله، فهو أعظم من الهيكل والسبت (مرقس ٣ : ٤؛

لوقا ١٣ : ١٥؛ ١٤ : ٣) وأعظم من موسى ومن إبراهيم (يوحنا ٥ : ٤٦ ـ ٤٧؛ ٨ : ٥٦ ـ ٥٩)؛ فالطبيعة بأمره، والملائكة تخدمه (مرقس ١ : ١٣). ويعلن أن سلطانه سلطان الله ذاته : « لقد آتاني أبي كل شيء! وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ومن يريد الابن أن يكشف له » ؛ (متى ١١ : ٢٧). ولملء سلطان الله فيه، السلطان المطلق الشامل الكامل، أعطى منه لرسله الحواريين : « لقد أُوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض : فاذهبوا ... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » ! (متى ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠).

وإعجاز بالأحوال. وحده في العالمين والمرسلين دخل العالم بمعجزة ولادته من أم بتول! وحده في عماده، حلَّ عليه روح الله، وصوت الآب يقول : « هذا ابني الحبيب » ! وحده في تجلّيه ظهر مجد الله فيه من خلال بشريته، وتكرر صوت الآب له : « هذا ابني الحبيب » ! وحده في العالمين والمرسلين أجمعين ارتفع حياً إلى السماء، بينما كلهم أجمعون ينتظرون يوم يبعثون! وحده باسم الله سيكون ملك يوم الدين (متى ٢٥ : ٣١ ـ ٤٦).

وقد جمع الإعجاز بالأقوال والأعمال والأحوال في هذا التعريف بنفسه : « أنا الصراط! والحقيقة! والحياة! » (يوحنا ١٤ : ٦) وليس صراطاً كغيره، بل الصراط الأوحد : « لا يأتي أحد إلى الآب إلاّ بي » (يوحنا ١٤ : ٦). لا يأتي بالحقيقة من عند الله فقط، بل هو « الحقيقة » ! وهو الحقيقة التي تعطي الحياة : « أنا الحياة » .

نقول : قائل هذا القول، إما أنه الكفر بالذات، وإما أنه الحق بالذات!

هذا هو الإعجاز المطلق في التبليغ حيث الأحوال والأعمال والأقوال توحّد بين الرسول والرسالة، بالكلمة المعجزة ولسان الحال.

*

٤ـ الإنجيل إعجاز في البيان والتبيين

لم يصل إلينا الإنجيل في حرفه الأرامي الذي دعا السيد المسيح، بل في نصه اليوناني الذي أوحى به الله لكتبة الوحي الإنجيلي، فقد وعد المسيح رسله بالعصمة في حفظ الإنجيل ونقله وتفصيله. وإعجاز الإنجيل في البيان والتبيين، **لا يذوب في الترجمة.**

لقد بلغ الإعجاز الفني في الإنجيل مداه، الذي لا يجاريه فيه سواه. وقد أجمع الناس أنه ليس من كتاب منزل وغير منزل اقترنت فيه السهولة الفطرية المتناهية في التعبير، إلى السمو اللامتناهي في التفكير والتصوير. فأسمى الأسرار التي يمكن لمخلوق أن يصل إليها، بوحي الله وكشفه، يكشف عنها الإنجيل بأسلوب معجز يفهمه الأمي ويُسحر به العالم. فالناس يتلونه، مدى حياتهم؛ ولا يملّونه. وفي كل مرة يجدون متعة، ترفعهم من الأرض إلى السماء، نعمةً على نعمة.

إنه معجزة « **السهل الممتنع** » على الإطلاق. كتاب الشعب والعلماء.

نرى في الإنجيل المواقف التعليمية والتشريعية والصوفية والخطابية والمسرحية والشعرية والقصصية والجدلية. ويضيق بنا المقام لتبيانها كلها، فتقتصر على ما قلّ ودلّ، بالإشارات أكثر منه بالعبارات.

ففيه المواقف التعليمية والتشريعية والصوفية. وقد مرت بنا لُمَحٌ ولُمَعٌ منها، فلا نعود إليها. وفيها يظهر المسيح الإمام الأعظم، والمشترع الأعظم، ونجيَّ الله الأعظم.

وفيه المواقف الخطابية المتنوعة، مع الأفراد ومع الجماعات، في البيت وفي المجمع، في المدينة وفي البرية، على الجبل وفي البحر. تأمل المسيح، في زحمة الجماهير، يخاطبهم من سفينة في البحر! وتأمله، في حشد زاخر من أطراف

البلاد، يصعد بهم إلى بطاح الجبل يلقي عليهم شرعة الملكوت! وتأمله يعتزل الناس للصلاة، فيتبعه في خلوته نحو أربعة آلاف رجل سوى النساء والصبيان فيحدثهم ثلاثة أيام متتاليات، وهم ساهون عن الطعام والمنام، مأخوذون بسحر البيان (متى ١٥ : ٢٩ ـ ٣٩).

ولنا في خطب الإنجيل بحسب متى أمثال لخطب المسيح : في شرعة الملكوت (٥ ـ ٧)، في رسالة الملكوت (١٠) في طبيعة الملكوت، بأمثال خالدة (١٧) في أخلاق أهل الملكوت (١٨) في مصير الملكوت : نهاية العهد الإسرائيلي (٢٣) وبداية العهد المسيحي (٢٤ ـ ٢٥).

وفيه المواقف الجدلية المتنوعة. كانت دعوة المسيح تحدّياً لليهودية القومية المتزمّتة؛ فكان لا بدّ من الاصطدام والجدال. وهنا ترى براعة المعلم الإلهي في تنوّع الخطاب بحسب المخاطَبين، فهو يخاطب الناس على قدر عقولهم، من أبناء الشعب إلى علماء الشريعة. وقد نقل المؤتلفة جدالات المسيح الأولى الخمسة : في سلطان يسوع على الغفران، وفي مخالطة يسوع للعشارين والخطأة، وفي عادة الصوم الفريسي، وفي انتهاك حرمة السبت، وفي انتهاك حرمة السبت والمجمع معاً (مرقس ٢ كله). ثم جداله معهم في سنتهم (مرقس ٧ : ١ ـ ٢٣)، وفي وحدة الزواج (متى ١٩). وقد نقل لنا الإنجيل بحسب يوحنا جدالاته الكلامية مع علماء إسرائيل وأحباره في هيكل أورشليم، في سر شخصيته، بمناسبة أعياد الفصح والخيام وتجديد الهيكل، حيث يذهب يسوع من تصريح صارخ إلى تصريح صاعق، يحملهم على محاولة اغتياله مراراً في الهيكل. وينتهي الإنجيل بالجدل الأكبر الحاسم مع السلطات الإسرائيلية والأحزاب اليهودية في الأسبوع الأخير من دعوته، حيث يختم بالتحدي الذي أفحمهم جميعاً، فقرروا قتله في العيد نفسه : إنه ابن داود وربه معاً (متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٥).

وفيه المواقف الشعرية، الناعمة الساحرة، أو المثيرة العنيفة. وهي كثيرة

أسلوباً وتعبيراً وتصويراً. فمثل لها بوصف عناية الله بالإنسان، بعنايته تعالى بالأزهار وطيور السماء (متى ٦ : ٢٤ ـ ٣٤)؛ وبوصف اليوم الآخر وأشراطه وأحداثه في الكون كله (متى ٢٤ : ٢٧ ـ ٣٦). يختلي بعالم إسرائيل، نيقوديم، فيمثل له عمل الروح في البشرية، بعمل الريح في الطبيعة (يوحنا ٣ : ١ ـ ٨). وينفرد مع بنت الشعب السامرية فيرفع قلبها إلى عبادة الله بالروح والحق، لأن الله روح (يوحنا ٤ : ١٦ ـ ٢٦). بعد معجزة تكسير الخبزات في البرية، يرفع أذهان الشعب من الطعام الفاني إلى الطعام الذي يبقى للحياة الأبدية (يوحنا ٦ : ٢٧). وفي هيكل أورشليم، يستخدم إنارة الهيكل الباهرة في عيد الخيام، ليصرح لهم : « أنا نور العالم، من تبعني فلا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة » (يوحنا ٨ : ١٢) حيث يسكب أسمى الأفكار بأجمل التعـابير. وكم من الاستعارات الحاكية في أحاديثه: « أنا باب الخراف! .. أنا الراعي الصالح؛ الراعي الصالح يبذل حياته عن الخراف! أما الأجير، الذي ليس براع، وليست الخراف له، فإذا ما رأى الذئب مقبلاً، يترك الخراف ويهرب، فيخطفها الذئب ويبدّدها! وذلك لأنه أجير، ولا يهمه أمر الخراف! » (يوحنا ١٠ : ١ ـ ١٦).

وسنرى في درس أسلوب كل إنجيل **الفنون البيانية** التي يمتاز بها، وهي صدى لبيان يسوع، وإعجازه في البيان.

ونشير إلى بعض **الفنون الأدبية** في الإنجيل من قَصَصٍ وأمثال ورموز وحِكم وحديث ودراما وملحمة.

ففي الإنجيل قصَصٌ، وهو مثال القصة ـ والقصة هي تلك القطعة الفنية الصغيرة الرائعة المشبعة تعليماً وحياة. من ذلك أحداث المعجزات كلها. وقد نقل لنا الإنجيل بحسب يوحنا بعض **القصص الواقعي والرمزي معاً**، مثل قصة السامرية (يوحنا ٤)، والأكمه أي الأعمى منذ مولده (يوحنا ٩)، وقيامة لعازر

من القبر (١١) حيث ترى الأحداث تتطور، والمفاجآت تتشابك، وتخلق العقدة المثيرة، فتأتي النهاية المذهلة الرائعة.

وامتاز الإنجيل بضرب الأمثال، عبرة وذكرى لكل الأجيال. فيها المثل التعليمي الذي يكشف سراً، كأمثاله في طبيعة الملكوت (متى ١٣ : ١ ـ ٥٢). ومنها المثل القصصي الذي يصوّر مصير أهل الملكوت (متى ٢٤ : ٣٨ ـ ٢٥ : ٣٠). ومنها المثل التاريخي الرمزي الذي يمثل موقف إسرائيل من المسيح، وموقف المسيح من النبوة والكتاب (متى ٢١ : ٢٣؛ ٢٢ : ١٤).

فالمسيح سيد مَن خطب ومثّل وتمثّل.

وتفوّق الإنجيل بإرسال الرموز عملاً وقولاً. ففيه أعمال معجزة رمزية تكتسب برمزها مداها الأبعد، كالمعجزات السبع في الإنجيل بحسب يوحنا. وفيه تعابير رمزية تصف شخصية قائلها خير وصف؛ منها «أنتم ملح الأرض! أنتم نور العالم» (متى ٥ : ١٣ و١٤)؛ «أنا خبز الحياة» (يوحنا ٦ : ٣٥ و٤٢)؛ «أنا نور العالم» ! (يوحنا ٨ : ١٢)؛ «أنا باب الخراف! ... أنا الباب!» (يوحنا ١٠ : ٧ و٩)؛ «أنا الراعي الصالح» (١٠ : ١١)؛ «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يوحنا ١٥ : ١ ـ ٩)؛ «أنا الصراط والحقيقة والحياة» (١٤ : ٦).

وانفرد الإنجيل بإطلاق الأحكام حِكَماً ـ وهي نزعة كل معلم شرقي. منها التطويبات في مطلع الخطبة على الجبل (متى ٥ : ٣ ـ ١١)؛ وتأتي أحكام هذه الخطبة التشريعية حِكَماً دينية وأخلاقية. وفيها قوله : «لا تدينوا لئلا تُدانوا» ! (متى ٧ : ١) وقوله : «إِسألوا فتُعطوا! اطلبوا فتجدوا» ! (متى ٧ : ٧). ومن أقواله : «ليس التلميذ أفضل من المعلم! ولا العبد أفضل من سيده» ! (متى ١٠ : ٢٤)؛ «لا خفي إلا سيُظهر! ولا مكتوم إلاّ سيُعلن» ؛ (متى ١٠ : ٢٦)؛ «إن نيري لين وحملي خفيف» (١١ : ٣٠)؛ «من الثمرة تعرف الشجرة» ! (متى ١٢ : ٢٣).

والحديث على أنواعه أسلوب الدعوة الإنجيلية. وما نقله لنا الإنجيل من المعلم المحبوب يجعله أعظم محدث سيطر على محدثه، بإعجاز أسلوبه. فها عالم إسرائيلي يأتيه ليلاً يحدثه فيرجع مؤمناً (يوحنا ٣ : ١ ـ ١٥). وها سامرية بنت الشعب المعتزة بقوميتها، والنافرة منه كيهودي، تحدثه وهي تستقي ماء، فتعود مؤمنة داعية له (يوحنا ٤). وها لاوي العشار، عميل الأجنبي المستعمر المكروه من بني قومه، يستدعيه يسوع ويحدثه، فيصير متى الرسول. وها المجدلية، بنت الريف، وبائعة الهوى في المدينة، تراقبه، وتغتنم فرصة لتحدثه، فترجع مثال التائبة المحبة.

وما يجري مع الأفراد، يجري مع الجماعات. من قدر أن يحفظ لديه شعباً من أربعة آلاف رجل، سوى النساء والصبيان، مدة ثلاثة أيام متتاليات، في البرية، يصغون إلى حديثه، ساهين عن الطعام والمنام، مثل يسوع سيد المحدثين ؟! (متى ١٥ : ٢٩ ـ ٣٩). ومثل هذه المواقف كثير في الإنجيل.

وتبرز الدراما في السيرة الإنجيلية. ففي الإنجيل قصص أقرب إلى الدراما منه إلى القصص، مثل قصة كسيح بركة حسدا (يوحنا ٥)، ومثل قصة الأكمه أي الأعمى منذ مولده (يوحنا ٩) أو مثل قصة إحياء لعازر (يوحنا ١١) أو مثل قصة إحياء ابنة رئيس جامع كفرناحوم، وما يتخللها من إبراء المدمية التي تنزف دماً (متى ٩ : ١٨ ـ ٢٦). وسيرة الدعوة نفسها تصير في أسلوب يوحنا، دراما حية ذات وجهين : في الواجهة صراع عنيف بين المسيح وزعماء اليهود؛ وخلف الستار صراع أعنف بين المسيح وإبليس على سلطان العالم. صراعات يتخللها مضاعفات وتعقيدات عند كل معجزة وكل خطاب، ويرافقهما مواقف إيمان وجحود، وولاء وعداء، حتى النهاية المحتومة، الاستشهاد والقيامة.

واستشهاد المسيح ملحمة التاريخ والبشرية. تبرز قصة الاستشهاد في

الأناجيل الأربعة ملحمة الملحمات، من أحاديث الوداع على العشاء السري، إلى مشاهدة الصلاة والنزاع في بستان الزيتون والقبض على يسوع، إلى فصول المحاكمة الدينية والحكم بالإعدام على المسيح، إلى فصول المحاكمة المدنية وملابساتها التي تنتهي بتنفيذ الإعدام، إلى درب الصليب ومشاهده الحزينة، إلى صلب المسيح بين مجرمين، ومرور أفواج الشعب والسلطة عند إقدام الصليب معيّرين، إلى نزاع المسيح على الصليب مدة ثلاث ساعات، في ظلمة من الكون، وكلمات المسيح السبع الخالدات على الصليب، إلى الموت والدفن، حتى القيامة السعيدة ومشاهد ظهور المسيح المصلوب في مجد الله لرسله وأصحابه، حتى رفع المسيح إلى السماء، عن يمين الله.

إن استشهاد المسيح، في الإنجيل، مأساة الضمير العالمي في أروع ملحمة تاريخية عرفتها البشرية.

تلك هي بعض النماذج من إعجاز الإنجيل في البيان والتبيين.

*

إعجاز الإنجيل إعجاز في الرسالة والرسول. وقد لاحظ ذلك وتذوقه المرحوم الأديب الكبير العقاد، فوصفه خير وصف في (حياة المسيح ١٧٠ ـ ١٧٧).

« قال : إننا نفهم من أثر كلامه أنه كان مأنوس الطلعة، يتكلم فيوحي الثقة، وذلك الذي قيل عنه غير مرة إنهم أخذتهم كلماته لأنه يتكلم بسلطان وليس كما يتكلم الكتبة والكهان! » .

« وقد كان ولا ريب **فصيح اللسان**، **سريع الخاطرة**، يجمع إلى قوة العارضة سرعة الاستشهاد! ... »

« وكانت له **قدرة على وزن العبارة المرتجلة**، لأن وصاياه مصوغة في قوالب من الكلام الذي لا ينظم كنظم الشعر، ولا يرسل إرسالاً على غير نسق ..

ويغلب عليه إيقاع الفواصل، وترديد اللوازم، ورعاية الجرس، في المقابلة بين السطور » .

« **وذوق الجمال بادٍ في شعوره، كما هو بادٍ في تعبيره وتفكيره.** والتفاته الدائم إلى الأزهار والكروم والحدائق، التي يكثر من التشبيه بها في أمثاله، عنوان لما طبع عليه **من ذوق الجمال**، والإعجاب بمحاسن الطبيعة. وكثيراً ما كان يرتاد المروج والحدائق بتلاميذه ويتخذ من السفينة على البحيرة ـ بحيرة طبريا ـ منبراً يخطب منه المستمعين، على شاطئها المعشوشب، كأنما يوقع كلامه على هزات السفينة، وصفقات الموج، وخفقات النسيم. ولم يؤثر عنه أنه ألف المدينة كما يألف الخلاء الطلق، حيث يقضي سويعات الضحى والأصيل أو سهرات الربيع، في مفاجأة العوالم الأبدية، على قمم الجبال، وتحت القبة الزرقاء.

« لقد **كانت اللغة** التي حملت بشائر الدعوة الأولى **لغة صاحبها بغير مشابهة ولا مناظرة في القوة والنفاذ.** كانت لغة فذة في تركيب كلماتها ومفرداتها؛ فذة في بلاغتها وتصريف معانيها؛ **فذة في طابعها الذي لا يشبهه طابع آخر في الكلام المسموع أو المكتوب.** ولولا ذلك لما أخذ بها السامعون ذلك المأخذ المحبوب مع غلبته القوية على الأذهان والقلوب.

« كانت في **نمطها بين النثر المرسل والشعر المنظوم**، فكانت فناً خاصاً ملائماً لدروس التعليم والتشويق وحفز الذاكرة والخيال. هو نمط من النظم لا يشبه نظم الأعاريض والتفعيلات التي نعرفها في اللغة العربية، لأن هذا النمط من النظم غير معروف في اللغة الأرامية ولا في اللغة العبرية. ولكن أشبه ما يكون بأسلوب الفواصل المتقابلة، والتصريعات المرددة، التي ينتظرها السامع انتظاره للقافية، وإن كانت لا تتكرر بلفظها المعاد.

« وكان **أسلوبه** في إيقاع الكلام أسلوباً يكثر فيه الترديد والتكرير ...

أما أسلوب المعنى فقد اشتهر منه نمط الأمثال، في كل قالب من قوالب الأمثال ومنه القالب الذي يعول على الرمز، والقالب الذي يعول على الحكمة، والقالب الذي يعول على القياس، والقالب الذي يعول على التشبيهات. وكلها تتسم بطابع واحد، **هو طابعه الذي انفرد به بين أنبياء الكتب** الدينية بغير نظير ـ وإن كانوا قد اعتمدوا مثله على ضروب شتى من الأمثال ...

« وقد كانت هذه القدرة موفورة في معلم المسيحية. **وبحق سمي (المعلم)!** ونودي به في مختلف المجامع والمحافل ... ولم تكن كفاية المعلم الذي يبث الحياة الروحانية في النفوس، وينفث في الخواطر تلك الراحة التي تشبه راحة السريرة، حين تتناسق فيها الأنغام التي كانت متنافرة قبل أن تجمع وتصالح ...

« والواقع أيضاً أن الناس حين يستمعون إليه يرونه **غريباً وقريباً** في وقت واحد. غريباً لأنه كان يساورهم ولا يدركونه؛ وقريباً لأنهم تمثلوه بفضل **بلاغة القائل بعد استعصائه على الإدراك ... والأمر المحقق** إن سامعي ذلك العصر لم يعرفوا قط أريحية كتلك الأريحية التي كانت تشيع في اطوائهم، وهم يصغون بأسماعهم وقلوبهم إلى ذلك المعلم المحبوب، الذي **كان يناجيهم بالغرائب والغيبيات، مأنوسة حية**، يحسبون أنها حاضرة في أعماقهم لم تفارقهم ساعة، أو بعض ساعة، لفرط ما كان يغمرهم **من حضوره المشرق** ويستولي عليهم من **عطفه الطيب وحنانه الطهور.**

« وفي وسعنا أن نتخيل من ثم **فضل الرسول في الرسالة.** فلا رسالة في الحق بغير رسول. **ولا سبيل إلى قيام المسيحية بغير مسيح!** فإن مصدر الرسالة الروحية هو زبدتها وجوهرها، وهو الأصل الأصيل في قوتها ونفاذها. وكل ما عداه فروع وزيادات. لقد **كان لب الرسالة المسيحية في لب رسولها المسيح.**

ومن بعد فمن الحق أن نقول : إن معجزة المسيح الكبرى هي هذه المعجزة التاريخية التي بقيت على الزمن، ولم تنقض بإنقضاء أيامها في عصر الميلاد : رجل ينشأ في بيت نجار، في قرية خاملة، بين شعب مقهور، **يفتح بالكلمة دولاً تضيع في أطوائها دولة الرومان!** ولا ينقضي عليه من الزمن، في إنجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضم إقليم واحد، قد يخضع إلى حين، ثم يتمرد ويخلع النير! ولا يخضع كما **خضع الناس للكلمة بالقلوب والأجسام.** »

*

إنه إعجاز في الرسول والرسالة.

إنه إعجاز بسلطان الكلمة وسلطان المعجزة.

إنه إعجاز في المسيح، وفي المسيحية.

إنه إعجاز في البعثة، وفي انتشار الدعوة.

إنه إعجاز في تنزيلها وإعجاز في تبليغها.

إنه إعجاز في فنون القول، وفي ضروب العمل.

إنه إعجاز في بيانها وفي تبيينها.

إنه الإعجاز المطلق : إعجاز كلام الله، من « كلمة الله » ! حيث يصير كلام الله « كلمة الله » الذاتية، أي نطق الله في ذاته وفي خلقه.

هذا هو الإنجيل.

القِسم الأول :

الدّفـَاع عَن المَسِيْحيَّـة

توطِئَة وَإيضَاح

معنى الدفاع عن « المسيحية » في الإنجيل

إن الإنجيل بأحرفه الأربعة سيرة المسيح ودعوته، في كل منها. وكل إنجيل من **الأربعة**، **تاريخ**، **وتعليم**، **ودفاع** عن السيرة والدعوة.

لكن كل إنجيل من الأربعة يمتاز **بغرضه في عرضه على بيئته.** فميزناه عن سواه بتسميته من هدفه الأول.

إن هدف الإنجيل بحسب متى، في عرض سيرة المسيح ودعوته في البيئة الإسرائيلية، **بيان** « **مسيحية** » **يسوع** من سيرته ودعوته، كما يظهر من الاستشهاد المتواتر بالتوراة والأنبياء والمزامير.

فهو دفاع عن المسيحية، يعرضها في البيئة الإسرائيلية **بأسلوب كلامي.**

وإن هدف الإنجيل بحسب مرقس، بعرض السيرة والدعوة في البيئة الرومانية، **بيان** « **إلهية** » **يسوع المسيح**، من سلطانه الإلهي على الإنسان والطبيعة والكون، وعلى غيب الخالق والمخلوق.

فهو دفاع عن المسيحية، بعرضها في البيئة الرومانية **بأسلوب قصصي.** لذلك، في هذا القسم الأول، من مصادر الوحي الإنجيلي، في أسفار « العهد الجديد » سمينا الإنجيل بحسب متى أو الإنجيل بحسب مرقس :

« **الدفاع عن المسيحية** »

*

[Blank Page]

الكِتابْ الأوّل

الإنجيل بحسَب متّى

أو

الدّفاع عَن المسيحيَّة في البيئة الإسْرَائيليَّة

[Blank Page]

مقدمة : أولية الإنجيل بحسب متى

في المخطوطات جميعها تقريباً، كما في المطبوعات كلها، يأتي الإنجيل بحسب متى في طليعة أسفار «العهد الجديد» فما معنى هذه الأولية ؟

إنها أولية تاريخية : فهو الإنجيل الأول الذي دون؛ وربما أول كتابة في المسيحية.

وهذه الأولية التاريخية تعود إلى **لغته الأصلية،** وهي الأرامية. فهو الوحيد المنزل الذي كتب في لغة المسيح نفسها. ثم ترجم إلى اليونانية بعد الإنجيل بحسب مرقس، وبحسب لوقا، كما يظهر من وحدة التعابير بينه وبينهما التي استعان بها مترجمه.

ولا نذكر الإنجيل بحسب يوحنا لأنه آخر أسفار العهد الجديد نزولاً.

وهذه الأولية التاريخية بقيت آثارها في **الترجمة اليونانية.** نراها في الفارق بين موجز الدعوة الأولى بحسب متى : «توبوا فإن ملكوت السماوات قريب» (٤ : ١٧) ــ و«السماوات» مرادف «الله» في لغتهم ـ وموجزها بحسب مرقس : «لقد تم الزمان! واقترب ملكوت الله! فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (١ : ١٥). فمرقس يضيف إعلان كمال الزمان لحضور المسيح والملكوت، وإعلان الإنجيل دليل حضور المسيح والملكوت. ونراها في الفارق بين التعبيرين : «ملكوت السماوات» تعبير أرامي عند متى؛ و «ملكوت الله» تعبير يوناني عند مرقس. وكلمات المسيح الخالدات أقرب إلى الصيغة الأرامية، كما هي عند

متى اليوناني، منها عند مرقس ولوقا. فالأولية التاريخية ظلت محفوظة في الترجمة، وهذا من دلائل صحتها.

وربما قصدوا بها **أولية في التقدير** أيضاً، من حيث الشمول والاستيعاب لسيرة المسيح ودعوته، ومن حيث الأسلوب في البيان والتبيين للسيرة والدعوة.

وقد استأثر أكثر من غيره عند الأقدمين، بالاستشهاد والتفسير للمؤمنين.

فالإنجيل بحسب متى هو التدوين الأول، الذي اعترف به الرسل والمسيحيون من بعدهم **صورة صادقة لإنجيل المسيح**، وعقيدتهم في المسيح والمسيحية.

الفصْل الأول

تمهيْد لِلإنجيل بحسَب مَتّى

بحث أول : من هو كاتبه ؟

بحث ثانٍ : زمن تدوين الإنجيل بحسب متى

بحث ثالث : الإنجيل بحسب متى في لغته الأصلية ومصيره

بحث رابع : بيئة الإنجيل بحسب متى

[Blank Page]

في التمهيد لكل إنجيل، نستجمع المعلومات التاريخية والأثرية في الكاتب وسيرته وبيئته، وبيئة الإنجيل التي عرض فيها، مما يساعد على فهم الإنجيل حق فهمه.

بحث أول

من هو كاتبه ؟

١ـ كاتبه هو لاوي بن حلفى الملقب : متى الرسول

تنقل الآثار المسيحية كلها بالتواتر، وتؤيدها الكنيسة بالصوت الحي جيلاً بعد جيل بتلاوة الإنجيل في الصلاة الرسمية باسم متى الرسول، إن كاتب الإنجيل بحسب متى هو متى الرسول نفسه، لاوي بن حلفى، الجابي في كفرناحوم الذي تبع المسيح منذ الدعوة الأولى في الجليل. بالإجماع والتواتر وصحة الإسناد.

هذا البرهان من السنة الشفوية والمكتوبة بالإجماع والتواتر وصحة الإسناد، لا يُرد.

وصحة الإسناد تقوم على شهادة الرسل والتابعين لهم، وعلى تلامذة يوحنا الرسول في افسس وآسيا الرومانية. ومعروف أن يوحنا الرسول توفي في

آخر القرن الأول. وأكثر أساقفة الولاية الرومانية كانوا تلامذته أو من سامعيه. واسمهم في التاريخ[1] : « Presbytresasiates » أي الكهنة الشيوخ الأسيويون.

فمن الأساقفة تلامذة يوحنا الرسول، اثنان تركا لنا مؤلفات. وبواسطتها نصل عن طريقتين إلى الشهادة الرسولية لرسولية الإنجيل بحسب متى.

الطريقة الأولى، **بابياس**، أسقف هيرابوليس، من مقاطعة فريجيا التابعة لافسس. فهذا الأسقف العالم ترك لنا « **تفسيراً للأقوال الربية**[2] » من سنة ١٢٥ تقريباً. وهو تلميذ يوحنا الرسول، أو تلميذ تلميذه « يوحنا الكاهن[3] » إنه يفسر الإنجيل بحسب متى ويشهد أنه للرسول متى، بناءً على ما تسلمه من يوحنا الرسول. وما بين كتابه ووفاة يوحنا الرسول نحو خمس وعشرين سنة لا غير. فالإسناد الصحيح قائم بين الشاهد والرسول مباشرة، بالنقل الصحيح المتواتر.

والطريق الثانية، **بوليكربوس**، الأسقف الشهيد في سميرنه من ولاية افسس، وصديق بابياس. وهو أيضاً من تلامذة يوحنا الرسول. وعنه أخذ تلميذه **ايريناوس** عام ١٤٠ الذي رافقه إلى رومة عام ١٥٥، وصار أسقف ليون في فرنسا عام ١٧٨. فهو يذكر تلامذة يوحنا الرسول، « الكهنة والشيوخ الأسيويين » ويقول[4] : « وهذا أيضاً ما نقله بابياس، المستمع ليوحنا، وعشير بوليكربس الشيخ الجليل، في كتابه الرابع من كتبة الخمسة » في التفسير. فهو ينقل عن معلمه بوليكربوس شهادة الرسول يوحنا أن متى الرسول هو كاتب الإنجيل باسمه.

---

(١) كما يسميهم تلميذهم ايريناوس في كتابه : الرد على الهرطقات ك ٥ ف ٥ و٣٠ و٣٣ و٣٦.
(٢) هو أول من استعمل كلمة « تفسير » : ἐξήγησις ، exégèse
(٣) يوحنا الرسول كان يسمي نفسه أيضاً : « يوحنا الكاهن » كما في رسالتيه الثانية والثالثة.
(٤) الرد على الهرطقات ك ٥ ف ٣٣ ع ٤.

ولا ننسَ أن ايريناوس الأسقف العلامة هو من المشرق وأسقف ليون وعلى صلة متواصلة مع رومة التي يعتبرها « الأمينة الأولى على سنة الرسل ومعلمة الكنائس الأولى »[١] . فشهادته تمثل الشرق والغرب معاً، وتنقل بالإسناد الصحيح المتواتر شهادة الرسل أنفسهم.

ونسمع **شهادة آل بيت المسيح**، أساقفة أورشليم بمبدإ حق آل البيت، أبناء عم المسيح، يعقوب ثم سمعان الذي استشهد على أيام الإمبراطور ترايانس، والذين كتب متى الرسول الإنجيل بين ظهرانينهم، عند **هيجيسبس** (١١٠ ـ ١٨٠) اليهودي النصراني الذي طاف « المسكونة » أيضاً ووضع (مذكرات). فهو يذكر التسلسل الرسولي في رومة وأمهات الكنائس، خصوصاً في أورشليم، كرسي آل البيت، وينقل عن الجميع أن الرسول متى هو كاتب الإنجيل باسمه.

وفي مصر تتواتر الشهادة حتى العلامة **أوريجين** في القرن الثالث الذي ينقلها لنا في كتبه كلها. كذلك نسمع من أفريقيا شهادة الخطيب **ترتليانس**[٢] الذي يؤكد رسولية الإنجيل بحسب متى مثل رسولية الإنجيل بحسب يوحنا.

ونصل إلى مطلع القرن الرابع، إلى **أوسابيوس**، أسقف قيصرية فلسطين والقيّم على مكتبتها القيمة التي كانت تحتوي على مؤلفات الآباء والعلماء الأولين. فهو يجمع في كتابه **(تاريخ الكنيسة)** الشهادات الأولى كلها وينتقدها بروح علمية. وينقل عن كل واحد باسمه الشهادة المتواترة بالإجماع على أن متى الرسول هو كاتب الإنجيل باسمه[٣] .

---

(١) الرد على الهرطقات ك ٣ ف ٣ ع ٣.
(٢) مجموعة الآباء اللاتين ك ٢ ص ٣٦٣.
(٣) تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ٤ و١٤ و١٦؛ ك ٥ ف ٣٣ ع ٤.

تجاه هذا الإجماع بالتواتر، والإسناد الصحيح نقول : لا تُجمع أمّة المسيح على ضلال في الإنجيل مصدر إيمانها، كما في سنّتها الشفوية والمكتوبة معاً.

فلاوي بن حلفى، الجابي في كفرناحوم، متى الرسول، هو كاتب الإنجيل بحسب متى.

*

٢ـ ماذا نعرف عن متى وسيرته وشخصيته ؟

لكاتب الإنجيل الأول **اسمان** : متى ولاوي بن حلفى. وفي لوائح الرسل كلها يرد اسم متى وحده (متى ١٠ : ٢؛ مرقس ٣ : ١٨؛ لوقا ٦ : ١٥؛ الأعمال ١ : ١٣). وفي دعوته يسميه مرقس « لاوي بن حلفى » (٢ : ١٤) وكذلك لوقا (٥ : ٢٧). ومتى لا يذكر اسمه القومي، لاوي، بل الاسم الرسمي متى، لكنه يضيف إليه صفة « **العشار** » أي الجابي (متى ١٠ : ٣)؛ وهو وحده يذكر في لائحة الرسل هذه الصفة تمييزاً له وتحدثاً بنعمة ربه. وهذه الصفة، مع الوليمة التي أولمها ليسوع وتلاميذه، كما أجمع الأناجيل الثلاثة على ذكرها بعد دعوته (متى ٩ : ٩ ـ ١٣؛ مرقس ٢ : ١٥؛ لوقا ٥ : ٢٩) دليل ساطع على أن لاوي بن حلفى هو متى الرسول.

فهل يحمل رجل اسمين ؟ لقد جرت عادة اليهود، خصوصاً في زمن الاستعمار الروماني، أن يحمل الرجل منهم اسمين : الاسم القومي، ومعه اسماً رومانياً، مثل لاوي = متى، وسمعان = بطرس، وشاول = بولس، ويوحنا = مرقس. ونرى أن يسوع نفسه في الإنجيل يعطي أبرز تلاميذه لقباً رمزيّاً يذهب اسماً لهم أكثر من اسمهم، مثل سمعان الذي لقبه بطرس. ولاوي تسمى أيضاً متى، ترخيم (متتَّاتيا) أي عطا الله : فهو عطية الله للمسيح، وعطية المسيح لكنيسته.

كان لاوي بن حلفى، الملقب متى بين جماعة المسيح، **جابيا** وبلغتهم : عشاراً ـ للدولة الرومانية، في بلدته كفرناحوم، عاصمة الجليل.

وهذه الوظيفة تدل على شخصيته. فمن وظيفته نحكم أنه كان موالياً للدولة الرومانية، ولذلك مكروهاً من بني قومه : فالعشارون كانوا على قدم المساواة مع « الخاطئين » ، كناية عن الأمميين (متى ٩ : ١٠). وكان على قدر من الثقافة القومية والأجنبية أي الثقافة الهلنستية؛ فيعرف لغة قومه ولغة الدولة أي اللغة اليونانية، لغة الرومان أنفسهم في الإمبراطورية كلها. وبسبب وظيفته كان على جانب من الرفاهية في العيش، كما يظهر في الوليمة العظيمة التي أولمها حالاً بعد دعوته : « وصنع له لاوي وليمة عظيمة في بيته؛ وكان معهم على المائدة جمهور كثير من العشارين وسواهم » (لوقا ٥ : ٢٩) وبسبب وظيفته كان على قدر عظيم من الملاحظة لكل أمر.

وكانت وظيفته موضع كراهية عظيمة عند الشعب، خصوصاً عند الفريسيين الحزب القومي الديني المحافظ. فكانوا يسمون الجباة « خاطئين » أي عملاء الأجنبي. أما يسوع فقد رأى فيه ما يؤهله للدعوة والرسالة. وإنجيل متى شاهد عدل على فراسة المسيح العظيمة. فالإنجيل بحسب متى يوحي لنا بأن كاتبه كان يسمع ويعي؛ ويسبر أغوار الأعمال، ومفاهيم الأقوال؛ ويقدر أبعاد شخصية قائلها وعاملها.

وكانت **رسالة متى الأولى** لدى بني قومه، فإنه كتب الإنجيل ليهود فلسطين أولاً. ويكفيه فخراً في الرسالة المسيحية **أنه أوّل من دوّن الإنجيل.**

وتنقل الأخبار والآثار أن متى، بعد افتراق الرسل في المسكونة للدعوة، ذهب للتبشير بالمسيحية في « **الهند** » . وكانوا يفهمون الهند، بالهند نفسها، أو اليمن، طريق القوافل إلى الهند.

فتكون الجزيرة العربية قد سمعت بالدعوة المسيحية منذ عهد الرسل، ليس فقط عن طريق المتقين الذين اهتدوا يوم العنصرة (الأعمال ٢ : ١١)، بل بواسطة الرسل أنفسهم. وتنقل السيرة لابن هشام دعوة (**ابن ثلماء**) أي برتلماوس في الحجاز والجزيرة.

وفي عام ١٥٤٧ عُثر على صليب من الحجر في الملابار، بالهند، وعليه كتابة تقول : هنا قبر القديس الرسول توما. وقد أقام الصليب على القبر المطران أبروز أو أفروس عام ٨٢٥، في زمن هجرة النساطرة إلى جنوب الهند. فكان ذلك إحياء لذكرى قديمة موروثة. ولا يُستبعد أن يكون متى قد رافق توما إلى الهند نفسها، بناء على وصية يسوع : « وأرسلهم اثنين اثنين » (لوقا ١٠ : ١٠). فتكون **رسالة متى الأخيرة** قد تمت في اليمن حتى الهند.

ولا نعرف شيئاً عن تاريخ وفاته واستشهاده.

بحث ثان

زمن تدوين الإنجيل بحسب متى

إن الإنجيل بحسب متى، في لغته الأصلية **الأرامية**، كُتب قبل افتراق الرسل في العالم للدعوة المسيحية، بعد مؤتمرهم في أرشليم عام ٤٩ لتحرير المسيحية من اليهودية. **فهو من قبل السنة الخمسين**؛ أي من فجر المسيحية، ومن مهد المسيحية، ولما يمض على رفع المسيح من عشر إلى عشرين سنة.

يُستدل على صحة هذا التاريخ للنسخة الأرامية، حتى في الترجمة اليونانية، أن متى يركّز تعليم المسيح على أن **الإنجيل تكميل التوراة والنبيّين** (متى ٥ : ١٧) .فلو دوّن بعد مؤتمر الرسل عام ٤٩ لجاءَ مثل مرقس ولوقا بدون هذا التركيز.

نقل القديس العالم ايريناوس المشرقي، تلميذ بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول أن « متى كتب الإنجيل، بينما كان الرسولان بطرس وبولس يبشران بالإنجيل في رومة، ويؤسسان الكنيسة »[١] ، أي قبل السنة ٦٤ عام استشهاد بطرس في اضطهاد نيرون.

قد يصح هذا التاريخ على النص الأصلي الأرامي، وقد ينطبق على الترجمة اليونانية ونحن نرى أن الشهادة تتعلق بالترجمة اليونانية، بسبب تفرّق الرسل للدعوة بعد مؤتمرهم عام ٤٩، ومتّى كُتب ليهود فلسطين ولنصارى أورشليم قبل سفره.

---

(١) الرد على الهرطقات ك ١٤٣ ع ١.

وزمن تدوين **وترجمة الإنجيل إلى اليونانية** كان بحسب شهادة ايريناوس قبل استشهاد بطرس عام ٦٤. يدل على ذلك غموض نبوة المسيح في التفاصيل على خراب أورشليم والهيكل عنوان القومية والدين عام ٧٠ على يد الجيش الروماني بقيادة طيطس. فالنبوة تجمع في نظرة واحدة، فوق الزمن، خراب أورشليم ونهاية العالم : فلو أن الإنجيل ترجم أو دوّن في اليونانية، بعد تلك الحرب السبعينية، لرأينا فيه إشارات إلى تنفيذها برهاناً عظيماً على صحة رسالة المسيح. أما قوله : « فليفهم القارئ » (متى ٢٣ : ١٦) انما هو إضافة هامشية للتفسير أُقحمت على النص.

ودليل آخر على أن الإنجيل بحسب متى اليوناني قد كُتب قبل الحرب السبعينية كل تلك المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والدينية والطقسية في الهيكل التي تصف كلها بيئة أورشليم قبل الحرب السبعينية، وقد انهارت فيها. وليس في الإنجيل ما يدل على حالة ما بعد تلك الحرب.

قال بعضهم : إن مصادر الإنجيل بحسب متى اليوناني تدل على أنه **كُتب بعد مرقس ولوقا،** لأن المترجم استخدم بعض تعابير مرقس وبعض ترتيبات قصة السيرة منه، واستعمل القسم الخاص بلوقا (٩ : ١٥ ـ ١٨ : ١٤) أو مصدره، وفصّله في قصص السيرة كله.

نقول : أجمعت آثار السُنّة المسيحية على أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس، فهو من قبل استشهاده؛ على أن الإنجيل بحسب لوقا أيضاً هو من زمن أسر بولس في فلسطين ثم في رومة (٥٨ ـ ٦٣) لأن سفر الأعمال، وهو تتمة الإنجيل، ينتهي وبولس في أسره الأول برومة. فما بين العامين ٦٤ ـ ٧٠ متسع من الوقت لمحاولات الترجمة التي يذكرها بابياس للإنجيل بحسب متى الأرامي.

قال[١] : « جمع متى تعاليم الرب، باللغة العبرية (أي الأرامية التي يتكلم بها العبرانيون)، **وكل واحد يترجمها على قدر طاقته** » .

فهذه المحاولات، مع التحقيق البليغ الذي استحق إعجاب الجميع وفرض هذه الترجمة على الكنيسة فقبلتها من دون سواها ـ كلها لها متسع من الوقت لتتم قبل الحرب السبعينية.

فهل أشرف متى على ترجمة إنجيله ؟ قال بعضهم : إن الإنجيل بحسب متى اليوناني، في تأليفه ونظمه ولغته، أقرب إلى العبقرية اليونانية منه إلى العقلية السامية العبرية المفروضة في متى : فليس النص اليوناني من متى.

نقول : ليس من الضرورة لصحة النقل والوحي أن يقوم من نفسه بترجمة إنجيله. وجيروم نفسه في القرن الرابع يعلن أنه يجهل مترجم الإنجيل. لكن ليس من المستبعد أنّ **متى أشرف بنفسه على الترجمة**. هذا ما يرشح من تصريح ايريناوس الذي لم يعرف سوى النص اليوناني : « متى كتب الإنجيل، بينما كان الرسولان بطرس بولس يبشران بالإنجيل في رومة ويؤسسان الكنيسة » . وإن الكنيسة حدّدت وحي الإنجيل بحسب متى، في حرفه اليوناني، فينتج أن الحرف اليوناني ينتسب إلى متى.

سنرى في أسلوب الإنجيل بحسب متى اليوناني أنه قد احتفظ بأصالة الأصل الأرامي، إلى جانب الأصالة في النقل. وفي موضوعه وهدفه وأساليبه وتفكيره يظل متى في حرفه اليوناني ابن البيئة الإسرائيلية، أكثر منه ابن البيئة الهلنستية.

وهب أن الترجمة تمت بعد الحرب السبعينية، وكانت بتصرف، وبأسلوب يوناني أَكثر منه أرامياً، وأنه ليس لمتى الرسول يدٌ فيها، فقبولها منذ عهد الرسل في جميع الكنائس على الإطلاق من دون سواها برهان على **صحتها**

---

(١) عند اوسابيوس، تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ١٦.

الجوهرية. فالتنزيل بالمعنى، لا بالحرف، يكفي لصحة التنزيل. والترجمة بالمعنى لا بالحرف تكفي لصحة الترجمة الجوهرية.

على كل حال، إن الإنجيل بحسب متى، في حرفه اليوناني، قد تم تدوينه على عهد الرسل، فقبله وأشاعوا في الكنائس.

فرسوليته قائمة؛ وكذلك صحته وتاريخيته.

بحث ثالث

الإنجيل بحسب متى في لغته الأصلية ومصيره

من المتواتر عند مؤرخي المسيحية الأوائل، كما نقل اوسابيوس[1] أسقف قيصرية فلسطين، عن بابياس تلميذ يوحنا الرسول، وأول مفسر للإنجيل في مطلع القرن الثاني، بعد موت الرسول يوحنا بنحو ٢٥ سنة، أن « متى جمع تعاليم الرب **بالعبرية**، وترجمها كل واحد على قدر طاقته » .

فما معنى قوله : « **بالعبرية** » ؟ فإننا نعلم أن لغة اليهود، بعد جلاء بابل وفي زمن المسيح، كانت الأرامية بلهجتها الغربية أي السورية، لا العبرية.

(١) في (تاريخ الكنيسة) ك ٣ ف ٣٩ ع ١٦.

نجيب : إن متى كتب إنجيله لبني قومه اليهود، وبلغتهم، لغة المسيح. واحتفظ به النصارى اليهود، فصار يُعرف في الأوساط المسيحية باسم «**إنجيل النصارى**» من اسم أهله، أو «الإنجيل بحسب العبرانيين» من لغته وحرفه. ونعرف من القديس **جيروم**[1] ، الذي يعتبره الإنجيل بحسب متى نفسه، بحرفه الأصلي، أنه «**كان مكتوباً باللغة الأرامية، بأحرف عبرية**» وكان اليهود الناطقين بالأرامية يكتبون الكتب المقدسة بالحرف العبري، لأنه الحرف المقدس عندهم. فالإجماع على القول أن لغة الإنجيل بحسب متى الأصلية كانت «العبرية» ، يقصدون بها **كتابة أحرفه، لا لغته.**

والسؤال الآن : **أين هو الإنجيل الأرامي ؟ وما مصيره ؟**

شاع منذ الإسلام أن النصارى والمسيحيين اسمان مترادفان لمسمّى واحد. لكن في المسيحية الأولى لم يكن الأمر كذلك.

فمنذ عهد الرسل قام الصراع الأول بين أتباع المسيح على تحرير المسيحية من الموسوية واليهودية. فحمل لواء التحرير بولس الرسول، ولواء المحافظة على الموسوية مع المسيحية، **بإِقامة التوراة والإنجيل معاً**، النصارى اليهود بزعامة آل بيت المسيح، وعلى رأسهم يعقوب، أسقف أورشليم الأول. ولما استفحل الخلاف بين الفريقين، اجتمع الرسل وآل البيت والكهنة في مؤتمر أورشليم، عام ٤٩، وأفتوا بتحرير «المسيحيين» من الأمميين من شريعة موسى، وتركوا الخيار لأهل الكتاب من «النصارى» اليهود. فظل النصارى اليهود، مع آل بيت المسيح، يقيمون التوراة والإنجيل معاً، والختان والعماد معاً، والسبت والأحد معاً، والقربان والقبلة في الصلاة إلى أورشليم، لا إلى الشرق.

فما مضى عهد الرسل حتى **انقسم أتباع المسيح إلى سُنّة وشيعة:** سنة «المسيحيين» من الأمميين الذين يتبعون سُنة الرسل في مجمع أورشليم، وشيعة

---

(١) الرد على بيلاجيوس ٣ : ٢ قابل مجموعة الآباء اللاتين، ك ٢٣ ص ٥٧.

« النصارى » اليهود من الذين تشيّعوا لآل البيت فأمّروهم أساقفة عليهم، من دون الرسل، صحابة المسيح، أجمعين؛ وتشيّعوا للتوراة فأقاموها مع الإنجيل، وأحياناً على حساب الإنجيل.

ونقل لنا سفر أعمال الرسل اسم أهل السُنّة : « **المسيحيين** » (١١ : ٥) واسم « **شيعة النصارى** » (٢٤ : ٦).

وبما أن الإنجيل بحسب متى وضع في الأصل « للنصارى » من اليهود، وبلغتهم، فقد احتفظ به النصارى اليهود من دون سواه من الأناجيل التي وضعت في الأصل لغيرهم من « المسيحيين » الأمميين، وخصوصاً من دون رسائل بولس الذي اعتبروه عدوّهم الأكبر. فصار الإنجيل بحسب متى الذي احتكره النصارى اليهود من دون سواه يُعرف باسم « إنجيل النصارى » أو « الإنجيل بحسب العبرانيين » .

وترجم المسيحيون إلى اليونانية الإنجيل بحسب متى. **ومع الزمن أهملوا الإنجيل الأرامي،** لأنه ليس بلغتهم، وبسبب الشبهة التي أخذت تحوم عليه لتشيّع أهله.

وفي القرنين الخامس والسادس، أُعلنت المسيحية دين دولة الروم، فهاجر اليهود إلى دولة الفرس، وصاروا « الطابور الخامس » لهم بين الروم والعرب؛ ووقع النصارى اليهود بين نارين : نار بني قومهم اليهود، ونار بني دينهم المسيحيين، فهاجروا إلى الحجاز يحتمون بالعرب الأحرار، وكانوا فيه على أساس النهضة الجاهلية في الدين والأدب والتجارة. ونعرف من الصحيحين أن ورقة بن نوفل، « قس النصارى » بمكة، كان يترجم الإنجيل من « العبرية » إلى العربية أي يترجم لهم « إنجيل النصارى » . وبما أن النصارى ما كانوا يعترفون إلاّ بهذا الإنجيل، فشاع في مكة والحجاز أن الإنجيل واحد بحرف واحد.

ولما ظهر الإسلام جرف « النصارى » اليهود، وجرف « إنجيلهم » معهم.

بحث رابع

بيئة الإنجيل بحسب متى - الإنجيل الفلسطيني

ينقل علماء المسيحية بالتواتر، أمثال ايريناوس المشرقي في فرنسة واكلمنضوس اليوناني في مصر، وأوريجين المصري في فلسطين والمشرق، وأفسابيوس الأسقف العلامة، في قيصرية فلسطين، وجيروم اللاتيني في بيت لحم ويوحنا الفم الذهبي الانطاكي في القسطنطينية، أن الإنجيل بحسب متى كتب « **للمؤمنين من اليهود**[1] » .

وفي الواقع أنه « **الإنجيل الفلسطيني اليهودي** » في لغته وتعليمه وهدفه، مع الإشارات المتواترة إلى عالميته : فالقومية والعالمية تأتلفان فيه، كما كانت رسالة المسيح في الواقع.

وهذه البيئة اليهودية الفلسطينية، التي كانت قائمة قبل الحرب السبعينية الرومانية، هي التي تظهر آثارها في تعبيره وفي تفكيره.

---

(١) تجد شهادتهم في تاريخ الكنيسة لأفسابيوس، وفي مجموعة الآباء.

ايريناوس : تاريخ الكنيسة (ك ٥ ف ٨ ع ٢) = المجموعية اليونانية ٧ : ٨٤٤.
اكليمنضوس : تاريخ الكنيسة (ك ٣ ف ٣٤ ع ٦) = المجموعة اليونانية ٢٠ : ٢٦٥.
أوريجين : تاريخ الكنيسة (ك ٣ ف ٢٥ ع ٤) = المجموعة اليونانية ٢٠ : ٥٨١.
أفسابيوس : تاريخ الكنيسة (ك ٣ ف ٢٤ ع ٦) = المجموعة اليونانية ٢٠ : ٢٦٥؛ ٢٢ : ٩٤٢؛ ٢٣ : ٦١٣.
جيروم : المجموعة اللاتينية ٢٣ : ٦١٣.
الفم الذهبي : تفسير متى ١ : ٣ = المجموعة اليونانية ٥٧ - ٥٨ : ١٧.

١ـ في تعبيره يستعمل لغة قومه. فالبلاد هي « أرض إسرائيل » ، (٣٠ : ٢٠ و٢١)، و « مدن إسرائيل » (١٠ : ٢٣)؛ والشعب هو « إسرائيل الله » (٩ : ٣٣) و « بيت إسرائيل » (١٠ : ٦؛ ١٥ : ٢٤)؛ والله هو « إله إسرائيل » (١٥ : ٣١)؛ وأورشليم هي (المدينة المقدسة) (٤ : ٥)؛ وبنو إسرائيل هم « أهل الملكوت » الأوائل (٨ : ١٢).

وفي التعبير أيضاً، متى وحده يستعمل تعبير بني قومه، مثل « ملكوت السماوات » بدل « ملكوت الله » عند مرقس ولوقا، لأن « السماوات » عندهم مرادف لاسم الله؛ ومثل « الحل والربط » (١٦ : ١٩؛ ١٨ : ١٨) كناية عن ملء السلطان؛ ومثل أسماء « جهنم » (٢٣ : ٣٣) و « البرّ » أي الدين (٦ : ١ و٣٣)، ومثل « الشريعة والنبيين » (٥ : ١٨؛ ٢٢ : ٤٠) ومثل « اللحم والدم » كناية عن بشرية الإنسان (١٦ : ١٧) ومثل « إني بريء من دم هذا الصديق » كما يقولها بيلاطس بلغتهم الشرقية (٢٧ : ٢٤) ومثل « انقضاء الدهر » (٢٤ : ٣٠)؛ ومثل « الظلمة الخارجية، حيث البكاء وصريف الأسنان » مراراً، ومثل التحريف للاستهزاء في قلب اسم « بعل زبوب » أي « الله أكبر » إلى « بعل زبول » أي بعل الزبل (١٠ : ٢٥)، استهزاء بالبعل لا باسم الجلالة.

لذلك أيضاً، فهو لا يترجم لبني قومه، كما يفعل مرقس ولوقا للأميين، **التعابير اليهودية مثل** « راقا » (٥ : ٢٢)، « مأمون » (٦ : ٢٤). ولكنه يترجم التعابير العبرانية القديمة : « عمانوئيل » (١ : ٢٥)، جلجثة (٢٧ : ٣٣)، « ايلي! ايلي! لم شبقتاني » (٢٧: ٤٦).

وينقل لنا أحياناً **العادات اليهودية بدون تعريف بها،** كما يفعل مرقس ولوقا للغرباء. فهو ينقل مثلهم : « أهداب الثوب » (٩ : ٢٠ قابل لوقا ٨ : ٤٤؛ ١٤ : ٣٦؛ مرقس ٦ : ٦٥)؛ وصيغة القسم (١٥ : ٤ ـ ٦؛ ٥ : ٤٣؛ ٢٣ : ١٦ ـ ٢٢ وما يقابلها عندهما)؛ والوضوء قبل الأكل (١٥ : ٢ قابل مرقس

٧ : ٢ ـ ٥ الذي يفسر العادة)، والسعي وراء التحيات في الشوارع وأول المتكئات على الطعام (٢٣ : ٦ قابل مرقس ١٢ : ٣٨؛ لوقا ٢٠ : ٤٦ مع ١١ : ٤٣).

لكنه ينفرد في ذكر **العادات الخاصة،** مثل التقدمة إلى الهيكل (٥ : ٢٣)؛ عمل الكهنة في الهيكل يوم السبت بلا ذنب (١٢ : ٥)؛ حب الظهور عند الفريسيين والشعب (٦: ١ ـ ٦؛ ١٦ : ١٨)؛ حمل أقداس في الأهداب (٢٣ : ٥)؛ الرغبة في تهويد الدخلاء، كما سيفعل النصارى اليهود مع المسيحيين من الأمم (٢٣ : ١٥)؛ الضريبة للهيكل؛ الجزية لقيصر (٢٣ : ٢٣)؛ القبور المبيضة (٢٣ : ٢٧)؛ الأقداس للكلاب « أي للوثنيين » (٧ : ٦ و١١)؛ والجدل المتواتر بين مدرسة هلّيل ومدرسة شمعي في سبب أو أسباب الطلاق (١٩ : ٣).

وهو لا يفسر **أسماء الأمكنة** (٤ : ٢٤) مثل مرقس (٣ : ٨)؛ ولا **اللهجات القومية** (٢٦ : ٧٣) مثل مرقس (١٤ : ٧٠)؛ ولا معنى « أول أيام الفطير » (٢٦ : ١٧) مثل مرقس (١٤ : ١٢). فهو في تعبيره فلسطيني إسرائيلي.

*

٢ـ وفي تفكيره، يظهر كأن المسيح لا يتوجه إلاّ لإسرائيل، قبل وقوع القطيعة بينه وبين بني قومه، وإعلان المسيح نقل الملكوت منهم إلى غيرهم : فيظهر أن رسالة المسيح تقتصر « على الخراف الضالة من بيت إسرائيل » (١٥ : ٢٤)، ولا يذكر ذلك مرقس الذي يكتب للعالم الروماني، ولوقا الذي يكتب للعالم الإغريقي. وينقل وصيته إلى رسله في بعثتهم الأولى التدريبية بالذهاب « لا إلى الأميّين، ولا إلى السامريين، بل إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل » (١٠ : ٥).

ينقل لوقا : « المجد لله في العلى، والسلام على الأرض لأهل الرضى » (٢ : ١٤)

بينما متى يقول : « وتسمية يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم » (١ : ٢١).

كل هذا قد يدل على أن الدعوة قومية، مع أن الإشارات إلى عالميتها متواترة. ولكن هذه العالمية في دعوة المسيح ورسالته لا تظهر جليّاً عند متى إلاّ بعد رفض اليهود للمسيح : « إن ملكوت الله ينزع منكم ويسلَّم إلى أمة أخرى تؤدي ثماره » (٢١ : ٤٣)، « هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً ... حتى تقولوا : مبارك الذي أتى باسم الرب » (٢٣ : ٣٩)؛ وفي تسليم الرسالة والأمانة، بعد القيامة، إلى رسله : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (٢٨ : ١٩).

وهدف الإنجيل بحسب متى يظهر سر تفكيره : إنه يريد أن يبين لليهود أن يسوع الناصري هو « المسيح ابن داود ابن إبراهيم » (١ : ١) أي المسيح الموعود. ويبرز الوثائق التاريخية : سجل نفوس يسوع (١ : ١ ـ ١٧)؛ تكميل الشريعة لا نسخها (٥ : ١٧)؛ الدعوة لملكوت السماوات، وهي محور الإنجيل؛ تتميم النبوآت من المهد إلى اللحد؛ اجتراح المعجزات التي تجعل الشعب يصيح : « لم يظهر مثل هذا قط في إسرائيل » (٩ : ٣٣).

كأنه يقول : إن يسوع هو « المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » فكيف تتنكرون له وقد تبعه العالم : فهو يكمل الشريعة، ولا ينسخها (٥ : ١٧) يكمّل « البر » لا يتجاوزه (٧ : ١)؛ يذكر الشريعة بإجلال (٥ : ١٧ ـ ١٩؛ ١٢ : ٥)، ويسفّه مخالفيها (٧ : ٢٣؛ ١٣ : ٤١؛ ٢٤ : ١٢؛ ٢٣ : ٢٨). أهل الشريعة هم عنده « أبناء الملكوت » (٨ : ١٢)، وكتبتهم يخرجون من كنوز تراثهم « جدداً وعتقاً » فهم الفقهاء في ملكوت السماوات (١٣ : ٧٢). والأعياد لها عنده حرمتها فهو يصعد إليها؛ والسبت له حرمته (٢٤ : ٢٠)، وإن دعته الظروف أن يعلن أنه هو « رب السبت » أيضاً (١٢ : ٨) دليلاً على سلطانه الإلهي. ويذكرهم بإبراهيم ووليمة الملكوت معه (٨ : ١١). فهو في ظاهر تفكيره فلسطيني إسرائيلي.

*

وميزات الإنجيل البيانية، ثم خصائصه التعليمية، تظهر أيضاً بأجلى بيان آثار تلك البيئة اليهودية الفلسطينية التي كان منها وإليها، ثم انهارت في الحرب السبعينية الرومانية؛ وتشيّعت في « النصرانية » اليهودية التي دامت حتى الإسلام، وذابت فيه.

فكل تلك الإشارات والدلائل من البيئة، ما كانت لتُستعمل : لو كتب هذا الإنجيل بعد الحرب السبعينية التي قضت على إسرائيل أمة، ودولة؛ ولو وضع هذا الإنجيل أصلاً في اليونانية فزالت موجباته؛ ولو لم يشرف عليه الرسل، أو متى بذاته. إنه الإنجيل الفلسطيني حتى في ترجمته.

*

فكل هذه الأمارات الظاهرة على الإنجيل بحسب متى، في ترجمته اليونانية، دلائل على **صحته حتى في ترجمته.** قال أحد العلماء بالإنجيل[١] : « إنه في جوهره من متى الرسول، وإن كان المترجم قد تصرّف في ترجمته، فصارت « تفصيلاً أكثر منها ترجمة حرفية » .

ففي هذه الترجمة تظل الصفة الغالبة عليه أنه « الإنجيل الفلسطيني » ، « للمؤمنين من اليهود » : بيئته الظاهرة فيه تدل عليه، وتشهد له بصحة رسوليته.

وتلك الدلائل الذاتية تدعم شهادة السُنّة المسيحية المتواترة، وشهادة الكنيسة الرسمية بتلاوته في جميع الأزمان والأقطار باسم متى الرسول، وتعطي **البرهان القاطع** على صحة الإنجيل، وعلى صحة نسبته إلى متى الرسول.

---

(١) Léon Dufour, *Les Evangiles et l'Histoire de Jésus*:

« cet évangile remonte substantiellement à l'Apôtre Matthieu… toutefois l'œuvre originale de Matthieu fut profondément remaniée », p. 146.

« Matthieu semble, non la traduction, mais l'adaptation d'un original araméen », p. 195.

« Matthieu enfin ne nous parvient qu'à travers une refonte de l'ouvrage de l'Apôtre Matthieu », p. 323.

[Blank Page]

الفصْل الثـَاني

تحليل الإنجيل بحسَب مَتّى

توطئة : المبادئ التي يقوم عليها هذا التحليل

١ ـ الأصول في تخطيطه

٢ ـ الأساليب الفنيّة في عرضه

٣ ـ تفصيل موجز للإنجيل بحسب متى

توطئة : المبادئ التي يقوم عليها هذا التحليل

في الإنجيل بحسب متى أصول وأساليب بُني عليها في تخطيطه، كما سنرى. منها :

١ـ الأصول في تخطيطه

يتبع متى في تدوين الإنجيل قاعدتين أساسيتين : التخطيط البياني وهو الظاهر، والتخطيط التاريخي وهو الموري في الأول.

ففي **التخطيط البياني** يقسم الإنجيل إلى **سبعة أجزاء**، محورها تركيز الدعوة والسيرة على خمس خطب جامعة: شرعة الملكوت ـ رسالة الملكوت ـ ماهية الملكوت ـ سيرة أهل الملكوت ـ مصير الملكوت.

يتخلل هذا التخطيط البياني **تخطيط آخر تاريخي** يقسم السيرة والدعوة إلى **ثلاث مراحل. الأولى :** الدعوة الأولى الظافرة المظفرة (٤ : ١٤)؛ **الثانية :** انقسام الرأي العام في المسيح وتعليمه؛ يتبعه تغيير خطة يسوع في تعليمه : أسلوب الأمثال (١١ : ٢٠)؛ **الثانية :** عهد المؤامرات للإيقاع بيسوع واغتياله، فيه يكشف يسوع لتلاميذه حقيقة رسالته، ويؤسس عليهم « كنيسته » (١٦ : ٢١).

ويلتقي المخططان البياني والتاريخي في **فصل أول** : نشأة يسوع؛ وفي فصل أخير هو السابع : آخرة المسيح في استشهاد وقيامته.

فالتخطيط البياني هو المحور الظاهر الذي بُني عليه الإنجيل بحسب متى؛ والتخطيط التاريخي مورى ببراعة في التخطيط البياني.

٢ـ الأساليب الفنية في عرْضه

أساليبه الفنية في تفصيل الإنجيل وعرضه كثيرة. منها **خمسة ظاهرة** في الكل جملةً وفي الأجزاء تفصيلاً :

التقسيم إلى أجزاء، والجزء إلى فصلين، والفصل إلى مقاطع.

التبويب في الأجزاء والفصول والمقاطع.

العنوان بكلمة ظاهرة في أول الأجزاء والفصول والمقاطع.

التصدير بافتتاح المقطع واختتامه بتعبير واحد يجعله وحدة فنية صغرى مستقلة، في الوحدة الكبرى الجامعة.

الافتتاح والاختتام في الأجزاء والفصول بتعابير متقابلة تميّزها وتجعلها وحدات فنية متوسطة في الوحدة الكبرى الجامعة.

*

٣ـ تفصيل موجز للإنجيل بحسب متى

الفاتحة (١ : ١ ـ ١٨) نسب يسوع وحسبه ـ إنه وريث الملك والنبوة.

الجزء الأول (١ : ١٩ ـ ٢ : ٢٣) قصة المولد في سبع مشاهد : **وراثة الملكوت.**

يسوع هو الوريث الأعظم لملكوت الله في الملك والنبوة والكهنوت.

الجزء الثاني (٣ ـ ٧) شرعة الملكوت.

فصل أول (٣ ـ ٤) « ظهور » ابن البشر، في سبع مشاهد

فصل ثان (٥ ـ ٧) ابن البشر يعلن شرعة الملكوت (الدستور الإنجيلي).

يسوع هو المشترع الأعظم لملكوت الله.

الجزء الثالث (٨ – ١٠) رسالة الملكوت.

فصل أول (٨ ـ ٩) الرسالة بالأعمال المعجزة

فصل ثانٍ (١٠) دستور رسالة الملكوت.

يسوع هو الرسول الأعظم في ملكوت الله.

الجزء الرابع (١١ ـ ١٣) ماهية الملكوت.

فصل أول (١١ ـ ١٢) : الكشف عن سر الملكوت بالمواقف المعجزة.

فصل ثانٍ (١٣) الكشف عن سر الملكوت بالأمثال المعجزة.

يسوع هو المعلم الأعظم في ملكوت الله.

الجزء الخامس (١٤ ـ ١٨) سيرة أهل الملكوت.

فصل أول (١٤ ـ ١٧) يسوع يدعو إليها بأعماله.

فصل ثانٍ (١٨) يسوع يدعو إليها بأقواله ـ أخلاقية أهل الملكوت.

يسوع هو المثل الأعظم في ملكوت الله.

الجزء السادس (١٩ ـ ٢٥) مصير الملكوت.

فصل أول (١٩ ـ ٢٢) أحداث الأزمة الأخيرة الحاسمة.

فصل ثانٍ (٢٣ ـ ٢٥) حكم المسيح بنهاية العهد الإسرائيلي للملكوت، وبداية العهد المسيحي له.

يسوع هو سيد الملكوت، وملك يوم الدين.

الجزء السابع (٢٦ ـ ٢٧) تأسيس الملكوت.

استشهاد يسوع لتأسيس الملكوت ـ مأساة في سبعة فصول.

يسوع هو مؤسس ملكوت الله الأعظم.

خاتمة (٢٨) القيامة المجيدة، والرسالة المسيحية المعجزة لنشر ملكوت الله والمسيح.

يسوع هو « المسيح ابن الله الحي » الخالد في كنيسته، ملكوت الله والمسيح.

* * *

تحليل الإنجيل بحسب متى

فاتحة الإنجيل (١ : ١ ـ ١٧) الوثيقة القومية لمسيحية يسوع : نسبه وحسبه.

الجزء الأول : قصة المولد ـ وراثة الملكوت.

يسوع المسيح هو وريث الملك والنبوة الأعظم.

١ ـ الحبل المعجز (١ : ١٨ ـ ٢١) ـ دور مار يوسف.

٢ ـ المولد المعجز (١ : ٢٢ ـ ٢٥) ـ تتميم النبؤة.

٣ ـ زيارة المجوس (٢ : ١ ـ ١٢) ـ تتميم النبوآت؛ تكريم « الأميين » ليسوع منذ مولده.

٤ ـ هجرة يسوع طفلاً إلى مصر (٢ : ١٣ ـ ١٥) ـ دليل على احتضان « الأميين » للمسيحية.

٥ ـ استشهاد الأطفال في سبيل يسوع (٢ : ١٦ ـ ١٨) ـ تتميم النبوءة؛ ورمز استشهاد المسيحيين.

٦ ـ رجوع يسوع إلى وطنه (٢ : ١٩ ـ ٢١) ـ رمز لرجوع المسيح إلى قومه، وقومه إليه.

٧ ـ نشأة يسوع في الناصرة (٢ : ٢٢ : ٢٣) ـ تتميم معنى النبوءات في تسميته « الناصري » .

*

الجزء الثاني : شرعة الملكوت ـ يسوع المسيح هو المشترع الأعظم.

الفصل الأول : « ظهور » يسوع، بواسطة المعمدان.

١ ـ « ظهور » المعمدان يهيئ ظهور المسيح والملكوت (٣ : ١ ـ ١٢).

٢ ـ « ظهور » يسوع في عماده ـ سبب « ظهور » الله الثالوث (٣ : ١٣ ـ ١٧).

٣ ـ خلود يسوع قبل رسالته : صراعه مع إبليس على أهداف الرسالة (٤: ١ ـ ١١).
٤ ـ رسالة يسوع الأولى، على زمن المعمدان (٤ : ١٢).

٥ ـ هجرة يسوع إلى كفرناحوم، فتصير « مدينته » (٤ : ١٣ ـ ١٦).

إقامة يسوع في « جليل الأمم » دليل على قومية رسالته وعالميتها معاً.

٦ ـ دعوة يسوع الأولى في الجليل : البشرى بحضور ملكوت السماوات (٤ : ١٧ ـ ٢٢).

هنا يبدأ **القسم الأول التاريخي** من رسالة المسيح (٤ : ١٧).

٧ ـ جولة أولى عامة خاطفة؛ أشفية بالجملة؛ الجماهير تتبع يسوع (٤: ٢٣ ـ ٢٥).

الفصل الثاني : شرعة الملكوت (إعلان ظهوره في الدستور الإنجيلي).

مقدمة أولى : المثُل العليا لشرعة الملكوت : تطويب المحرومين (١ : ١ ـ ١٢).

مقدمة ثانية : أهداف الدستور الإنجيلي : يجعلنا نور العالم وملح الأرض (٥ : ١٣ ـ ١٦).

القسم الأول : الإنجيل تكميل الشريعة

المبدأ العام « ما أتيت لأنسخ بل لأكمل » (٥ : ١٧ ـ ٢٠).

١ ـ تكميل الشريعة في القتل (٥ : ٢١ ـ ٢٦)

٢ ـ تكميل الشريعة في الزنى (٥ : ٢٧ ـ ٣١)

٣ ـ تكميل الشريعة في الزواج (٥ : ٣٠ ـ ٣٢)

٤ ـ تكميل الشريعة في القسم (٥ : ٣٣ ـ ٣٧)

٥ ـ تكميل الشريعة في القصاص (٥ : ٣٨ ـ ٤٢)

٦ ـ تكميل الشريعة في المحبة الأخوية (٥ : ٤٣ ـ ٣٧)

خاتمة القسم : القاعدة الذهبية الأولى في الدستور الإنجيلي (٥ : ٤٨)

القسم الثاني : الإنجيل تكميل « البِرّ » أي أركان الدين والسلوك

المبدأ العام : إنما الأعمال بالنيات (٦ : ١)

١ ـ تكميل الدين في الزكاة (٦ : ٢ ـ ٤)

٢ ـ تكميل الدين في الصلاة (٦ : ٥ ـ ٨)

ـ استطراد أول : مثال الصلاة الكاملة، الصلاة الربية (٦ : ٩ ـ ١٣)

ـ استطراد ثان : تعليق أول على الصلاة ـ شرطها المغفرة للقريب (٦ : ١٩ ـ ٢٣)

ـ استطراد ثالث[1] : تعليق ثان على الصلاة ـ شرطها الإلحاح في الدعاء (٧ : ٧ ـ ١١)

١ ـ تكميل الدين في الصوم (٦ : ١٦ ـ ١٨).

٢ ـ تكميل السلوك في الزهد في الدنيا (٦ : ١٩ ـ ٢٣).

٣ ـ تكميل السلوك في الحذر من عبادة المال (٦ : ٢٤ ـ ٣٤).

٤ ـ تكميل السلوك في معاملة الناس بالحسنى (٧ : ١ ـ ٥).

ـ استطراد : الحذر من إعطاء الأقداس للكلاب (٧ : ٦).

خاتمة القسم : القاعدة الذهبية الثانية في الدستور الإنجيلي (٧ : ١٢).

خاتمة أولى للخطاب : ادخلوا من الباب الضيق ـ واحذروا الأنبياء الكذبة (٧ : ١٣ ـ ٢١).

خاتمة ثانية للخطاب : المسيحي الحقيقي: بالعمل لا بالقول؛ انه مؤسس على صخر (٧ : ٢١ ـ ٢٧).

حسن التخلص : أثر تعليم يسوع على الجماهير ـ سلطانه المعجز في التعليم (٧ : ٢٨ ـ ٢٩ + ٨ : ١).

*

الجزء الثالث : رسالة الملكوت ـ يسوع المسيح هو الرسول الأعظم.

الفصل الأول : الرسالة بالأعمال المعجزة.

مجموعة أولى : يوم مشهود في كفرناحوم ـ سلطان المسيح على الإنسان.

١ ـ سلطانه في إسرائيل : شفاء أبرص وإرساله إلى كاهن لأخذ البراءة (٨ : ٢ ـ ٤).

---

(١) قدمنا هذا المقطع لأنه ليس في مكانه. وقد يكون في مكانه تعليماً مستقلاً في الصلاة.

٢ ـ سلطانه لدى « الأميّين » : شفاء غلام النقيب الروماني في كفرناحوم (٨ : ٥ ـ ٣).

٣ ـ سلطانه لدى خاصته : شفاء حماة بطرس (٨ : ١٤ ـ ١٥).

ختام المجموعة : أشفية بالجملة ـ تتميم نبوءة أشعيا (٨ : ١٦ ـ ١٧).

مجموعة ثانية : رحلة حول البحيرة ـ سلطان المسيح على الطبيعة والأرواح.

مطلع : على الشاطئ الغربي : التجرد شرط لاتباع يسوع (٨ : ١٨ ـ ٢٢).

١ ـ في وسط البحيرة : تسكين عاصفة هوجاء بكلمة ـ سلطانه على الطبيعة (٨ : ٢٣ ـ ٢٧).

٢ ـ على الشاطئ الشرقي : شفاء مجنونين من الجدريين ـ سلطانه على الشياطين (٨ : ٢٨ ـ ٣٤).

٣ ـ الرجوع إلى « مدينته » : مخلع كفرناحوم ـ يسوع يتمتع بسلطان الله للغفران (٩ : ١ ـ ١٠).

ختام : خوف وحماس في الجماهير (٩ : ٨).

مجموعة ثالثة ـ جولة في أطراف كفرناحوم : سلطان المسيح على الحياة والموت.

مطلع: يوم آخر مشهود في كفرناحوم : دعوة متى الشعار وذيولها.

ـ الدعوة والوليمة مع العشارين والخاطئين (٩ : ٩ ـ ١٠).

ـ تشكك الفريسيين، ـ جواب يسوع : الرحمة أفضل من الذبيحة (٩ : ١١ ـ ١٣).

ـ تساؤل « المعمدانيين » ؛ جواب يسوع : نفوس جديدة لتعليم جديد (٩ : ١٤ ـ ١٧).

١ ـ المعجزة الكبرى : إحياء ابنة يائير، رئيس المجمع ـ شفاء المدمية المؤمنة (٩ : ١٨ ـ ٢٦).

٢ ـ « ابن داود » يشفي أعميَيْن (٩ : ٢٧ ـ ٣١).

٣ ـ شفاء مجنون أخرس (٩ : ٣٢ ـ ٣٣).

ختام : حماس الجماهير، وزندقة الفريسيين (٩ : ٣٣ ـ ٣٤).

خاتمة الفصل : جولة ثانية عامة في المدن والقرى ـ أشفية بالجملة (٩ :٣٥).

الفصل الثاني : رسالة الملكوت.

القسم الأول : للحاضر ـ الوصايا السبع للبعثة التدريبية في إسرائيل

١ـ هذه البعثة التدريبية محصورة بإسرائيل (١٠ : ٥ ـ ٦).

٢ ـ موضوعها : الدعوة للملكوت ـ المعجزات التي تؤيدها (١٠ : ٧ ـ ٨).

٣ ـ لا تتزوّدوا لرسالتكم، فالعامل يستحق طعامه (١٠ : ٩ ـ ١٠).

٤ ـ اختاروا في كل بلدة خير مضيف لكم (١٠ : ١١).

٥ ـ السلام على أهل البيت الذي يقبلكم (١٠ : ١٢ ـ ١٣).

٦ ـ من لا يقبلكم، انفضوا عليه غبار أرجلكم ـ تبرئة منه (١٠ : ١٤).

٧ ـ الويل لمن لا يقبلكم (١٠ : ١٥).

ختام : « كونوا حكماء كالحيات، وودعاء كالحمام » (١٠ : ١٦).

القسم الثاني : للمستقبل ـ الوصايا العشر للرسالة العامة في العالم.

مطلع : « احذروا من الناس » (١٠ : ١٧)

١ ـ حين الشهادة لا تهتموا بالدفاع عن أنفسكم : روح أبيكم ينطق فيكم (١٠ : ١٧ ـ ٢٠).

٢ ـ عند بعض الأهل والعالم أجمع، أثبتوا حتى النهاية (١٠ : ٢١ ـ ٢٢).

٣ ـ في زمن الاضطهاد، يمكنكم أن تهاجروا، ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة (١٠ : ٢٣).

٤ ـ عند التعييرات والمؤامرات، اقتدوا بي؛ ليس تلميذٌ أفضل من معلمه (١٠ : ٢٤ ـ ٢٦).

٥ ـ لا تخافوا من الجهر بالحقيقة كلها (١٠ : ٢٧).

٦ ـ لا تخافوا من القتل؛ أبوكم السماوي يعتني بكم ويحميكم (١٠ : ٢٧ ـ ٣١).

٧ ـ لا تخافوا من الشهادة لي بين الناس والأهل (١٠ : ٣٢ ـ ٣٣).

٨ ـ استعدوا للشقاق بسببي بين الناس والأهل (١٠ : ٣٤ ـ ٣٦).

٩ ـ يجب تفضيلي على الأهل والولد (١٠ ـ ٢٧).

١٠ ـ يجب بذل الذات وحمل الصليب لأجلي (١٠ : ٣٨ ـ ٣٩).

خاتمة أولى للخطاب : رسول المسيح صورة للمسيح (١٠ : ٤٠).

خاتمة ثانية للخطاب : أجر المعروف لأصغر الرسل (١٠ : ٤١ ـ ٤٢).

خاتمة الفصل كله : جولة عامة ثالثة ـ أشفية بالجملة (١١ : ١).

*

الجزء الرابع : ماهية الملكوت ـ يسوع هو المعلم الأعظم

الفصل الأول : الكشف عن سر الملكوت بالمواقف المعجزة

١ ـ وفد من المعمدان يستطلع أخبار يسوع (١١ : ١ ـ ١٩).

ـ سؤال المعمدان ـ جواب يسوع بالمعجزة النبوية (١١ : ٢ ـ ٦).

ـ استطراد أول : شهادة يسوع المعمدان ـ إِنه إيليا الموعود (١١ : ٧ ـ ١٥).

ـ استطراد ثان : حكم يسوع في أبناء جيله : تبرأت الحكمة من أهلها (١١ : ١٦ ـ ١٩).

٢ ـ نظرة يسوع في مصير دعوته، على مفترق الطرق (١١ : ٢٠ ـ ٣٠).

هنا يبدأ **القسم الثاني التاريخي** من رسالة المسيح (١١ : ٢٠)

ـ ويل للمدن الكافرة، حول البحيرة (١١ : ٢١ ـ ٢٤)

ـ سعداً للمؤمنين البسطاء (١١ : ٢٥ ـ ٢٦)

ـ سيد السلطان المطلق، والعلم المطلق، يدعو إلى « راحته » (١٢ : ٢٧ ـ ٣٠)

٣ ـ جدال في السبت مع الفريسيين (١٢ : ١ ـ ١٤)

ـ احتجاج الفريسيين ـ يسوع أعظم من الهيكل! يسوع رب السبت (١٢ : ١ ـ ٨)

ـ حيلة للإيقاع بيسوع في عمل معجزة يوم السبت (١٢ : ٩ ـ ١٣)

ـ المؤامرة الأولى لاغتيال يسوع (١٢ : ١٤)

٤ ـ أشفية بالجملة، بدون ضجة ـ تتميم نبوة أشعيا (١٢ : ١٥ ـ ٢١)

٥ ـ جدال في سلطان يسوع، مع الفريسيين (١٢ : ٢٢ ـ ٣٧)

مطلع : معنى معجزات يسوع في نظر الشعب، وفي نظر الفريسيين (١٢ : ٢٢ ـ ٢٤)

ـ رد يسوع الأول : معجزات يسوع دليل ظهور ملكوت الله (١٢ : ٢٥ ـ ٢٩)

ـ رد يسوع الثاني : الكفر بالنور تجديف على الروح القدس (١٢ : ٣٠ ـ ٣٢)

ـ رد يسوع الثالث : من الثمرة تُعرف الشجرة (١٢ : ٣٣ ـ ٣٥)

ختام : حساب الله على كل كلمة بطالة (١٢ : ٣٦ ـ ٣٧)

٦ ـ تعجيز يسوع بطلب آية من السماء (١٢ : ٣٨ ـ ٤٥)

الحادثة : طلب آية من السماء، مثل موسى (١٢ : ٣٨)

ـ رد يسوع الأول : آيته العظمى هي آية يونان في ذاته (١٢ : ٣٩ ـ ٤٠)

ـ رد يسوع الثاني : إنه أعظم من يونان؛ وأعظم من سليمان؛ (١٢ : ٤١ ـ ٤٢)

ـ رد يسوع الثالث : تصلب هذا الجيل في كفره يجعل آخرته شراً من أولاه (١٢ : ٤٣ ـ ٤٥)

٧ ـ القرابة الروحية والجسدية من يسوع (١٢ : ٤٦ ـ ٥٠)

الفصل الثاني : الكشف عن سر الملكوت بالأمثال

المناسبة : يوم آخر مشهود : يسوع يعلم من السفينة لازدحام الجمهور (١٣ : ١ ـ ٣)

١ ـ مثل الزارع : زرع الملكوت في النفوس كزرع الحنطة في حقول مختلفة (١٣ : ٣ ـ ٩)

ـ استطراد أول[١] : الباعث على التعليم بالأمثال (١٣ : ١٠ ـ ١٧)

ـ استطراد ثان : تفسير مثل الزارع للرسل، في خلوة (١٣ : ١٨ ـ ٢٣)

٢ ـ مثل الزؤان : عدو المسيح يزرع زؤاناً وسط الحنطة في الملكوت (١٣ : ٢٤ ـ ٣٠)

٣ ـ نموّ الملكوت : مثل حبة الخردل تصير شجرة (١٣ : ٣١ ـ ٣٢)

٤ ـ نموّ الملكوت : مثل الخميرة التي تخمّر العجين كله (١٣ : ٣٣)

---

(١) الاستطرادات الثلاثة تأتي منطقياً وبحسب القرائن بعد اليوم المشهود للتعليم بالأمثال. وقد يكون الإنجيلي اعتمد الاستطراد إشارة منه إلى **أن الأمثال تمت على ثلاث مراحل :** الأولى مثل الزارع مع دهشة الرسل لتغيير الأسلوب في التعليم ثم تفسير المثل لهم في خلوة؛ الثانية : ثلاثة أمثال مع الكشف عن معنى التعليم بالأمثال : إنه تتميم النبوءة؛ مع تفسير مثل الزؤان (١٣ : ٢٤ ـ ٤٣)؛ والثالثة : أمثال الكنز واللؤلؤة والشبكة، مع فائدة الأمثال للفقيه المسيحي (١٣ : ٤٤ ـ ٥٣).

حاشية : (١٣ : ٣٤ ـ ٣٥) التعليم بالأمثال تتميم النبوة[1] .

ـ استطراد ثالث : تفسير مثل الزؤان في البيت[2] (١٣ : ٣٦ ـ ٤٣)

٥ ـ قيمة الملكوت : أثمن كنز في حقل الدنيا (١٣ : ٤٤)

٦ ـ قيمة الملكوت : مثل اللؤلؤة اليتيمة بين لآلئ الخلق (١٣ : ٤٥ ـ ٤٦)

٧ ـ رسالة الملكوت : مثل شبكة كبيرة تجمع الجيد والرديء من السمك ليوم الفرز (١٣ : ٤٧ ـ ٥٠).

خاتمة : الفقيه المسيحي مثل رب بيت عنده كنز العهد القديم والعهد الجديد (١٧ : ٤٥ ـ ٤٦).

حسن **التخلّص** إلى الجزء التالي (١٣ : ٥٣).

*

الجزء الخامس : سيرة أهل الملكوت؛ يسوع المسيح هو المثل الأعظم.

الفصل الأول : يسوع يدعو إليها بتصرفاته.

مقدمة : فترة رحلات خارج الجليل للاعتزال.

تنكر أهل الناصرة ليسوع الناصري (١٣ : ٥٤ ـ ٥٨).

أولاً : الرسالة والعزلة الأولى ـ إلى القفر شرقيَّ البحيرة.

١ ـ **سبيلها :** استشهاد المعمدان إنذار ليسوع (١٤ : ١ ـ ١٢).

٢ ـ **أحداثها :** توطئة : أشفية بالجملة شرق البحيرة (١٤ : ١٣ ـ ١٤).

١) معجزة تكثير الأرغفة الخمسة (١٤ : ١٥ ـ ٢١).

---

(١) هذه الحاشية مكانها في ختام الخطاب كخاتمة أولى له.

(٢) هذه الكلمة « ترك الجموع وجاء إلى البيت » (١٣ : ٣٦) إشارة إلى أن الاستطرادات تفسير للتلاميذ **ثمّ في الخلوة، في البيت،** لا أثناء الخطاب على شاطئ البحيرة.

٢) يسوع ينفرد للصلاة، على جبل، في البرية (١٤ : ٢٢ ـ ٢٣).

٣) يسوع يمشي على الماء ويجعل بطرس يمشي مثله (١٤ : ٢٤ ـ ٣٢)

خاتمة : أهل السفينة يسجدون « لابن الله » (١٤ : ٣٣).

ثانياً : الرحلة والعزلة الثانية إلى نواحي صور وصيدا.

توطئة : رجوع يسوع إلى غرب البحيرة، في جنّيسارت ـ أشفية بالجملة (١٤ : ٣٤ ـ ٣٥)

١ـ سببها : جدال في السنّة مع كتبة وفريسيين من أورشليم (١٥ : ١ ـ ٢٠).

ـ الرد على الفريسيين : سنّتكم أبطلت الكتاب، بشهادة أشعيا (١٥ : ١ ـ ٩).

ـ إعلان للشعب : ليس من حرام في الطعام (١٥ : ١٠ ـ ١١).

ـ تفسير للرسل : النجاسة في الإرادة السيئة، لا في الطعام وعدم الوضوء (١٥ : ١٢ ـ ٢٠).

٢ـ حادث منفرد : شفاء ابنة الكنعانية (١٥ : ٢١ ـ ٢٨).

ثالثاً : الرحلة والعزلة الثالثة إلى الجنوب، في مغدات.

١ ـ يسوع في مغدات، جنوب البجيرة ـ أشفية بالجملة (١٥ : ٢٩ ـ ٣١).

٢ ـ حادث منفرد : معجزة تكثير الأرغفة السبعة (١٥ : ٣٢ ـ ٣٩).

رابعاً : الرحلة والعزلة الرابعة إلى الشمال في قيصرية (بانياس).

١ـ سببها : جدال في سلطان يسوع، مع الفريسيين والصدوقيين (١٦ : ١ ـ ٢).

ـ يطلبون آية من السماء لتعجيزه (١٦ : ١ ـ ٤).

ـ على الطريق : تحذير للرسل من خمير الفريسيين والصدوقيين (١٦ : ٥ ـ ١٢).

٢ ـ أحداثها العظمى : نقطة التحول في سيرة المسيح ودعوته.

١) في قيصرية فيلبس، شهادة بطرس لمسيحية يسوع الإلهية (١٦ : ١٣ ـ ٢٠).

هنا يبدأ **القسم الثالث التاريخي** من رسالة المسيح[١] .

٢) النبوة الأولى باستشهاد المسيح ورجوعه في ملكوته (١٦ : ٢١ ـ ٢٨).

ـ النبوة في استشهاد (١٦ : ٢١).

ـ احتجاج بطرس وجواب يسوع (١٦ : ٢٢ ـ ٢٣).

ـ تفسير للرسل : معنى الصليب في الحياة (١٦ : ٢٢ ـ ٢٦).

ـ تشجيع للرسل : رجوع المسيح العاجل والآجل (١٦ : ٢٧ ـ ٢٨).

٣) التجلي الإلهي على جبل الشيخ.

ـ الحدث الأعظم : تجلّي إلهية يسوع من خلال بشريته (١٧ : ١ ـ ٩).

ـ تفسير دور إيليا في شخص المعمدان (١٧ : ١٠ ـ ١٣).

٤) شفاء ولد مجنون، عجز الرسل بغياب المسيح عن شفائه (١٧ : ١٤ ـ ٢١).

خامساً : جولة عامة وداعية في الجليل.

١ ـ النبوة الثانية في استشهاده (١٦ : ٢٢).

٢ ـ الجولة العامة الوداعية في الجليل (١٦ : ٢٣ ـ ٢٧).

خاتمة الفصل : رجوع يسوع إلى كفرناحوم ـ ضريبة الهيكل (١٦ : ٢٤ ـ ٢٧).

الفصل الثاني : أخلاق أهل الملكوت.

---

(١) هذا القسم التاريخي يقسم إلى ثلاث مراحل، كل مرحلة تبدأ بنبوة عن استشهاد المسيح (١٦ : ٢١؛ ١٧ : ٢٢؛ ٢٠ : ١٧).

المناسبة : سؤال : مَن الأعظم في ملكوت السماوات (١٨ : ١).

القسم الأول : معاملة الأطفال سنّاً أو إيماناً بالحسنى.

١ ـ العطف على الأولاد سناً أو إيماناً (١٨ : ٥ ـ ٧).

٢ ـ جناية التشكيك والتشكك (١٨ : ٧ ـ ٩).

٣ ـ التضحية في سبيل الصغار، على مثال المسيح في طلب الخروف الضال (١٨: ١٢ ـ ١٤).

القسم الثاني : المعاملة الأخوية بالحسنى

١ ـ واجب المعاملة الأخوية والإصلاح الأخوي (١٨ : ١٥ ـ ١٧).

استطراد : قول منفرد مأثور : سلطان الحل والربط للرسل (١٨ : ١٨).

٢ ـ واجب الصلاة الجماعية ـ المسيح يكون فيها (١٨ : ١٩ ـ ٢٠).

٣ ـ واجب الغفران الأخوي، على مثال الملك الغفور (١٨ : ٢١ ـ ٣٥).

التخلص إلى الجزء التالي : يسوع يترك الجليل إلى اليهودية (١٩ : ١).

*

الجزء السادس : مصير الملكوت ـ يسوع السيد الملكوت وملك يوم الدين

الفصل الأول : الصعود إلى أورشليم ـ مصير الملكوت معلّق على مصير المسيح

أولاً : في شرق الأردن

توطئة : أشفية بالجملة منذ وصول يسوع (١٩ : ١ ـ ٣)

١ ـ جدال في الطلاق مع الفريسيين ـ إرجاع شريعة الزواج إلى أصلها (١٩ : ٣ ـ ١٢)

٢ ـ يسوع يبارك الأطفال وأمثالهم في الإيمان والحياة (١٩ : ١٣ ـ ١٥)

٣ ـ شاب غني يسأل عن طريق الحياة (١٩ : ١٨ ـ ٢٩)

ـ جواب يسوع للشاب : طريق الوصية، وطريق الكمال (١٩ : ١٦ ـ ٢٢)

ـ تفسير للرسل : خطر الغنى على الخلاص ـ مثل الجمل والإبرة (١٩ : ٢٣ ـ ٢٦)
ـ حوار مع بطرس : المكافأة الكبرى لأتباع يسوع (١٩ : ٢٧ ـ ٢٩)
٤ ـ إنذار عام بمصير إسرائيل : الأولون آخرون في مثل عمال الكرم (١٩ : ٣٠؛ ٢٠ : ١٦)

ثانياً : على طريق أورشليم

١ ـ النبوءة الثالثة في استشهاد المسيح (٢٠ : ١٧ ـ ١٩).

٢ ـ طلب الكرامة الأولى في ملكوت المسيح.

ـ ابنا زبدى، باسطة أمهما، يطلبانها ـ إنها عطاء من الله (٢٠ : ٢٠ ـ ٢٣)

ـ مخاصمة بين الرسل على المركز الأول ـ السيادة المسيحية خدمة وتضحية (٢٠ : ٢٤ ـ ٢٨)
٣ ـ في أريحا : ابن داود يشفي أعميين (٢٠ : ٢٩ ـ ٣٣)

ثالثاً : أحد الشعانين : يسوع يدخل إلى أورشليم والهيكل كالمسيح، دخول الفاتحين

توطئة : يسوع يطلب مركوب المسيح بحسب النبوة (٢١ : ١ ـ ٥)

١ ـ الدخول الظافر النبوي « المسيحي » إلى أورشليم (٢١ : ٦ ـ ١١)

٢ ـ احتلال الهيكل الرمزي ـ وتطهيره من تجار الدين (٢١ : ١٢ ـ ١٣)

٣ ـ احتجاج السلطة ـ المعجزات بالجملة تؤيد صوت الشعب (٢١ : ١٤ ـ ١٧)

رابعاً : اليوم الحاسم في صراع المسيح مع السلطات والأحزاب اليهودية، في الهيكل

توطئة : يسوع يلعن التينة العقيمة، رمز إسرائيل (٢١ : ١٨ ـ ٢٢)

الفصل الأول من الصراع : مع السنهدرين، في سلطان يسوع

المناسبة : سؤال السنهدرين ليسوع عن سلطانه للتعليم في الهيكل (٢١ : ٢٣)

١ ـ رد يسوع الأول : مصدر سلطانه من مصدر سلطان المعمدان (٢١ : ٢٤ ـ ٢٧)
٢ ـ رد يسوع الثاني : مثل اليهود والأمميين من الملكوت مثل الابنين (٢١ : ٢٨ ـ ٣٢)
٣ ـ رد يسوع الثالث : منزلة يسوع من تاريخ النبوة والملكوت، بمثل الكرامين القتلة (٢١ : ٣٣ ، ٤٢)

ختام : إعلان نزع الملكوت منهم ـ محاولة توقيفه (٢١ : ٤٣ ـ ٤٦)

ما بين الفصلين : تعليم للشعب في ضرورة الاستعداد للملكوت ـ مثل وليمة العرس (٢٢ : ١ ـ ١٤)

الفصل الثاني من الصراع : مع الأحزاب اليهود

المناسبة : مؤامرة الفريسيين مع سائر الأحزاب للإيقاع بيسوع (٢٢ : ١٥)

١ ـ الجدال مع الهيرودسيين : في جواز دفع الجزية لقيصر (٢٢ : ١٦ ـ ٢٢)

٢ ـ الجدال مع الصدوقيين : في حقيقة القيامة (٢٢ : ٢٣ ـ ٣٢)

٣ ـ مع الفريسيين وعلماء الشريعة : أولى الوصايا في الشريعة (٢٢ : ٣٣ ـ ٤٠)

ختام الصراع والجدال : المسيح هو ابن داود وربه معاً (٢٢ : ٤١ ـ ٤٥)

الفصل الثاني : مصير الملكوت ـ نهاية العهد الإسرائيلي، وبداية العهد المسيحي

القسم الأول : الخطاب في الهيكل (٢٣ كله) : الحكم بنهاية العهد الإسرائيلي للملكوت

المسيح سيد الملكوت يتصرف به، فينقله من أمة إلى أخرى.

١ ـ موجبات الحكم الثلاثة (٢٣ : ١ ـ ٧)

٢ ـ الحكم على العهد الإسرائيلي بسبع ويلات أو لعنات (٢٣ : ١٣ ـ ٣٢)

٣ ـ طريقة تنفيذ الحكم، في ثلاث نبوات

ـ النبوة الأولى : هلاك جبل الكافرين (٢٣ : ٣٣ ـ ٣٦)

ـ النبوة الثانية : هجر إسرائيل حتى يقول : أتى (٢٣ : ٣٧ ـ ٣٩)

ـ النبوة الثالثة : خراب الهيكل رمز خراب إسرائيل (٢٤ : ١ ـ ٢)

القسم الثاني : خطاب للرسل على جبل الزيتون ـ علامات النهاية والبداية المسيح سيد التاريخ، وملك يوم الدين

المناسبة : سؤال الرسل المزدوج (٢٤ : ٣)

أولاً : خراب أورشليم والهيكل

١ ـ « أول المخاض » ، طلائع الكارثة في سبع علامات (٢٤ : ٤ ـ ١٤)

٢ ـ « النهاية » أي الكارثة

ـ علامة النهاية : « رجاسة الخراب » قائمة في الهيكل (٢٤ : ١٥ ـ ٢٠)

ثانياً : رجوع ابن البشر في ملكوته

١ ـ رجوع ابن البشر

ـ الرجوع الأول خفي كالبرق (٢٤ : ٢٣ ـ ٢٨)

ـ الرجوع الثاني علني على سحاب السماء ـ علاماته أربع (٢٤ : ٢٩ ـ ٣١)

٢ ـ زمن رجوع ابن البشر

ـ زمن الرجوع الأول الخفي : قبل نهاية هذا الجيل (٢٤ : ٣٢ ـ ٣٥)

ـ زمن الرجوع الثاني العلني : علمه عند الآب وحده (٢٤ : ٣٦)

ثالثاً : الاستعداد الدائم لرجوع المسيح

١ ـ تحريض أول على السهر، من ثلاث حالات

ـ حالة الطوفان (٢٤ : ٣٧ ـ ٣٩)

ـ حالة العامِلَيْن في حقل (٢٤ : ٤٠)

ـ حالة اللتين تطحنان (٢٤ : ٤١)

خاتمة : « فاسهروا إذن » (٢٤ : ٤٢)

٢ ـ تحريض ثان على السهر بثلاثة أمثال

ـ مثل رب البيت (٢٤ : ٤٣ ـ ٤٤)

ـ مثل القيّم الأمين (٢٤ : ٤٥ ـ ٥١)

ـ مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (٢٥ : ١ ـ ١٢)

خاتمة : « فاسهروا إذن » (٢٥ : ١٣)

٣ ـ تحريض على العمل الصالح، بمثل الوزنات المؤتمنة (٢٥ : ١٤ ـ ٣٠)

خاتمة الخطاب : ابن البشر هو ملك يوم الدين (٢٥ : ٣١ ـ ٤٦)

*

الجزء السابع : تأسيس الملكوت؛ يوم المسيح

مأساة بسبعة فصول تتم في يوم واحد ـ يسوع هو « المسيح ابن الله الحي »

توطئة : المؤامرة والخيانة

١ ـ تصريح يسوع بتاريخ استشهاده : « بعد يومين » ! (٢٦ : ١ ـ ٢)

٢ ـ المؤامرة عند الحبر الأعظم لاغتيال يسوع بحيلة (٢٦ : ٣ ـ ٥)

٣ ـ تضميخ يسوع بالطيب في وليمة، يعلنه رمزاً لتحنيطه (٢٦: ٦ ـ ١٣)

٤ ـ خيانة يهوذا : يبيع معلمه بثلاثين من الفضة (٢٦ : ١٤ ـ ١٦)

الفصل الأول : في الساعة الأولى من الليل ـ العشاء السري

١ ـ تهيئة الفصح (٢٦ : ١٧ ـ ١٩)

٢ ـ إعلان الخائن عن أكل الفصح (٢٦ : ٢٠ ـ ٢٥)

٣ ـ القربان المسيحي هو دم العهد الجديد (٢٦ : ٢٦ ـ ٢٩)

٤ ـ نبوءة مزدوجة : هرب الرسل؛ جحود بطرس، مع تعيين ساعته (٢٦ : ٣٠ ـ ٣٥)

الفصل الثاني : في الساعة الثالثة من الليل ـ النزاع في بستان الزيتون

١ ـ الخلوة في بستان الزيتون (٢٦ : ٣٦ ـ ٣٨)

٢ ـ صلاة يسوع في نزاعه، ثلاث مرات (٢٦ : ٣٩ ـ ٤٦)

٣ ـ خيانة يهوذا وتوقيف يسوع (٢٦ : ٤٧ ـ ٥٠)

٤ ـ دفاع بطرس عن يسوع ـ جواب يسوع له، وكلمته للشعب المتآمر (٢٦ : ٥١ ـ ٥٦)

الفصل الثالث : في الساعة السادسة في الليل ـ المحاكمة الدينية عند الحبر الأعظم.

١ ـ التحقيق مع يسوع يفشل (٢٦ : ٥٧ ـ ٦١)

٣ ـ استحلاف الحبر الأعظم ليسوع ـ يسوع يعلن مسيحيته وإلهيته (٢٦ : ٦٢ ـ ٦٦).

٣ ـ إهانة يسوع في قاعة التحقيق (٢٦ : ٦٧ ـ ٦٨).

٤ ـ جحود بطرس ليسوع، بسبب جارية، أثناء التحقيق (٢٦ : ٦٩ ـ ٧٥). الساعة التاسعة من الليل : حبس يسوع!

الفصل الرابع : في الساعة الأولى من النهار ـ الحكم بالإعدام على يسوع.

١ ـ عند الصباح : شورى السنهدرين، والحكم على يسوع بالإعدام (٢٧ : ١).

٢ ـ تسليم يسوع موثوقاً إلى الوالي الروماني لتنفيذ الإعدام (٢٧ : ٢).

٣ ـ انتحار يهوذا (١٧ : ٣ ـ ٥).

٤ ـ شراء « حقل الدم » بثمن دم المسيح الذي مع الخائن (٢٧ : ٦ ـ ١٠).

الفصل الخامس : في الساعة الثالثة من النهار ـ المحاكمة المدنية عند بيلاطس.

١ ـ تحقيق الوالي مع يسوع : هل هو ملك اليهود ؟ (٢٧ : ١١ ـ ١٤).

٢ ـ محاولة الوالي إنقاذ يسوع بمقابلته مع ابن عباس المجرم (٢٧ : ١٥ ـ ٢١).

استطراد : في هذه الأثناء تحذير امرأة الوالي له (٢٧ : ١٩).

٣ ـ إعلان الوالي براءة يسوع (٢٧ : ٢٢ ـ ٢٥).

٤ ـ حكم الوالي بإعدام يسوع صلباً، بعد جلده وتكليله بالشوك (٢٧ : ٢٦ ـ ٣١).

الفصل السادس : في الساعة السادسة من النهار، صلب المسيح.

١ ـ على درب الصليب : سمعان القيرواني يحمل صليب يسوع (٢٧ : ٣٢).

٢ ـ صلب المسيح بين لصين (٢٧ : ٣٣ ـ ٣٨).

٣ ـ تعييرات الشعب والسنهدرين واللصين ليسوع (٢٧ : ٣٩ ـ ٤٤)

٤ ـ الظلمة على الأرض عند صلب المسيح، من الساعة السادسة إلى التاسعة (٢٧: ٤٥)

الفصل السابع : عند الساعة التاسعة من النهار : موت المسيح ودفنه

١ ـ نحو الساعة التاسعة : موت المسيح (٢٧ : ٤٦ ـ ٥٠)

٢ ـ أثر موت المسيح في الهيكل، والطبيعة، وعند الموتى (٢٧ : ٥١ ـ ٥٤)

٣ ـ شهود موت المسيح (٣٧ : ٥٥ ـ ٥٦)

٤ ـ دفن المسيح قبل غروب الشمس (٢٧ : ٥٧ ـ ٦١)

خاتمة المأساة العظمى : ختم القبر وحراسته (في سبت النور) (٢٧ : ٦٢ ـ ٦٦)

خاتمة الإنجيل : القيامة المجيدة والرسالة المسيحية المعجزة.

١ ـ القبر الخالي ـ برهان حسّي لقيامة المسيح (٢٨ : ١ ـ ٧).

٢ ـ ظهور المسيح للنسوة (٢٨ : ٨ ـ ١٠).

٣ ـ افتراء اليهود، وإشاعة الحراس (٢٨ : ١١ ـ ١٥).

٤ ـ ظهور المسيح في الجليل لرسله : تكليفهم بالرسالة المسيحية العالمية (٢٨ : ١٦ : ٢٠).

((ها أنا ذا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر))

فيسوع هو المسيح، ابن الله الحي

الفصل الثالث

أسْلوب الإنجيل بحسَب مَتّى

بحث أول : براعة التخطيط ـ الإدماج الفنّي

بحث ثانٍ : بلاغة التأليف ـ الاقتدار الفنّي

بحث ثالث : فصاحة الإنشاء ـ الانسجام الفنّي

بحث رابع : روعة البيان ـ الافتتان في البيان

[Blank Page]

إن الإنجيل بحسب متى يجمع بين فنون العبقرية اليونانية في ترجمته، وفنون العبقرية السامية العبرية الأرامية في لغته الأصلية، التي لم تذب في الترجمة.

نرى ذلك في براعة التخطيط، وبلاغة التأليف، وفصاحة الإنشاء، وروعة البيان.

بحث أول

براعة التخطيط ـ الإدماج الفني

يقول العالم (زاهن) أحد مفسريه : « تخطيط متى يسيطر على أجزاء الإنجيل كلها : فليس في الكتاب كله ما يشبهه في تأليفه » .

ففيه تخطيط بياني وتاريخي وتعليمي وقصصي. لكن يظهر على الكل، ويجمع الكل التخطيط البياني بحسب العدد المقدس « **سبعة** » في مجموعه، وفي تفصيل أجزائه.

وتداخل المخططات في التأليف يسمّى في البيان والبديع : **الادماج**؛ وهو « أن يدمج المتكلّم غرضاً بغرض[1] » . والادماج الفني ناحية من الإعجاز.

*

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٨٧.

١ـ التخطيط البياني :

هو ظاهرة الإنجيل البيانية الكبرى. يجمع الإنجيلي **تعليم المسيح** في خمس مجموعات يكوّن منها خمسة خطابات، في خمس وحدات فنية؛ ويقسم **سيرة المسيح** إلى خمسة أجزاء، كل جزء منها توطئة تاريخية للخطاب الذي يكملها، مع جزء أول في نشأة المسيح، وجزء سابع في آخرة المسيح واستشهاده. ويقدم للإنجيل **بفاتحة** في نسب يسوع وحسبه (١ : ١ ـ ١٧). ويختمه **بخاتمة** في قيامته وخلوده في كنيسته (ف ٢٨). فيتخطّى وجود المسيح ظهوره على الأرض، من قبل داود وإبراهيم (١ : ١) وإلى « عمانوئيل » (١ ، ٢٣)؛ ومن بعد إلى « منتهى الدهر » (٢٨ : ٢٠). فيأتي هذا التخطيط البياني في **سبعة فصول** مع مقدمة وخاتمة، تدل على كمال السيرة وكمال التعليم، بحسب صوفية العدد المقدس « سبعة » .

*

٢ ـ التخطيط التاريخي :

يتخلل ذلك التخطيط البياني الظاهر تخطيط تاريخي خفي لرسالة المسيح، يقسمها إلى ثلاثة أقساط، كل قسم منها يبدأ **بالتعبير ذاته**، لهداية القارئ : **القسم الأول :** « ومنذئذ شرع يسوع يدعو ويقول : توبوا فإن ملكوت السموات قريب » (٤ : ١٧) وفيه نرى ظهور المسيح الموعود، وملكوت الله المنشود. **والقسم الثاني :** « ومنذئذ شرع يسوع يقرّع المدن التي لم تتب وتؤمن به » (١١ : ٢٠) فيه نرى تردّد الجماهير، بتحريض المشاغبين، بين الإيمان والكفر، ولذلك ينتقل يسوع في طريقة التعليم من الإعلان إلى الأمثال. **والقسم الثالث:** « ومنذئذ شرع يسوع يبيّن لتلاميذه أنه ينبغي له ... أن يقتل ويقوم في اليوم الثالث » (١٦ : ٢١)، وتتواتر الأنباء بذلك من بانياس في الشمال،

حتى الطواف الأخير في الجليل (١٧ : ٢٢)، إلى الصعود الأخير الحاسم إلى أورشليم (٢٠: ١٧ ـ ١٩) حتى تحديد الزمن « بعد يومين » (٢٦ : ٢). في هذا القسم الثالث يتفرغ يسوع إلى تأسيس الكنيسة، وتسليم الرسل « أسرار الملكوت » ، فتتعرف على حقيقة المسيح المشهود، والملكوت المعهود. وذلك مع **مقدمة** في نشأة المسيح وظهوره، **وخاتمة** في قيامته وخلوده.

*

٣ ـ التخطيط التعليمي :

هذا التخطيط يُظهر سرّ الملكوت، وسرّ المسيح مؤسس الملكوت. لذلك فالتخطيط التعليمي يطابق التخطيط البياني، فهما بيان وتبيّن. يقسم التخطيط التعليمي جملة إلى قسمين : في الأول عرض الإنجيل على إسرائيل، فيرفض (٣ ـ ١٣)؛ وفي الثاني إنشاء الملكوت على نواة جماعته لتصير كنيسة المسيح التي تشمل العالم (١٤ ـ ٢٨).

يقسم تعليم المسيح تفصيلاً إلى خمس مجموعات أو خطب : شرعة الملكوت (٥ ـ ٧)، رسالة الملكوت (١٠)، طبيعة الملكوت وسره (١٣)، أخلاق أهل الملكوت (١٨)، مصير الملكوت (٢٣ ـ ٢٥). تلك **أصول** تعليم المسيح؛ **وفروعه** يفصلها في أقسام السيرة السبعة؛ تلك الخمسة؛ ثم في الأول، وراثة الملكوت؛ وفي الأخير، تأسيس الملكوت، باستشهاد المسيح وقيامته.

وهكذا تظهر **شخصية المسيح الحقيقية في نواحيها السبعة :** إنه وريث الملكوت الأعظم، والرسول الأعظم والمشترع، والنبي المعلّم الأعظم، والمثل الأعظم، وملك يوم الدين الأعظم، أي « المسيح ابن الله الحي » كما شهد أمام السنهدرين واستشهد.

وتظهر طبيعة الملكوت ومصيره؛ بنهاية العهد الإسرائيلي، وبداية العهد

المسيحي؛ ونقل الملكوت من اليهود إلى « الأميين » ، ومن القومية إلى العالمية، ومن المادية إلى الروحية، ومن الوعد إلى التتميم والتحقيق.

*

٤ ـ التخطيط القصصي الدراماتيكي

« وتنسجم تلك التخطيطات الثلاثة بتخطيط قصصي، في أسلوب دراماتيكي معجز. لقد تم الزمان، « وظهر » المسيح (٣ : ١٣) يتمّم الوعود والعهود التي قطعها الله على نفسه في الكتاب والنبيين. ونرى يسوع في سيرته وشخصيته يحقق النبوات واحدة واحدة، **ويمتاز متى في تعدادها وإظهارها.** لذلك نراه في صراع مستمر على جبهتين : **الصراع الخلفي** بين المسيح وإبليس على سلطان العالم؛ **وصراع ظاهر** بين يسوع وبني قومه على شريعتهم ومسيحيته الروحية.

يفتح إبليس الصراع في مطلع الرسالة (٤ : ١ ـ ١١) لتحويل يسوع عن رسالته الروحية إلى رسالة قومية يضيع فيها هو وقومه، فيخسر المعركة. ثم يستعين بأعوان له من قوم يسوع، لهم ظاهر العلم والتقى والدين، ليخرّب على يسوع، فينقسم الجمهور إلى أكثرية كافرة، وأقلية مؤمنة، هي البقية الباقية الناجية من إسرائيل. حينئذ يفاجئ المسيح جماعته، في **عقدة الدراما**، بالتصريح الصاعق عن قتل المسيح ابن البشر (١٦ : ٢١)؛ وتتوالى هذه التصريحات بين الفينة والفينة حتى اليوم الحاسم. يدخل المسيح عاصمة الدين والدولة دخول الفاتحين ويحتل الهيكل، ويطرد منه تجار الدين، ويفحم السلطات والأحزاب الدينية القومية في أروقته، فيعلن لعنة الله على الكافرين من بني قومه ونقل الملكوت لغيرهم (٢١ : ١ ـ ٤٦) فاعتقلوه وحاكموه وصلبوه بخيانة أحد أصحاب، وفرار البقية. ويموت المسيح مصلوباً بين لصين، في انتصار خصومه واستهزائهم. وتأتي الخاتمة المجيدة في قيامة المسيح وانتشار الرسالة المسيحية في العالم.

*

تلك المخططات الأربعة المتداخلة في **إدماج فني رائع** تظهر الإنجيل بحسب متى **سيرة معجزة، ورسالة معجزة، ومأساة معجزة، في بيان معجز** فهو يقسم تاريخ البشر إلى قسمين، المسيح محورهما؛ وتاريخ التوحيد إلى مرحلتين، مرحلة **التوحيد التوراتي**، في خارج الله، ومرحلة **التوحيد الإنجيلي** في توحيد الذات وتثليث الصفات الكيانية الذاتية في الله، والمسيح نقطة الدائرة في دين الله. وتجري أحداث سيرة المسيح فتشمل ما قبله وما بعده؛ في السماء وعلى الأرض؛ بين الله والملائكة والبشر والشياطين؛ والمسيح في سيرته ورسالته وشخصيته محور التاريخ والدين والحياة.

إنه إعجاز في التنزيل والتخطيط، في البيان والتبيين. إنه إعجاز الإدماج الفني في براعة التخطيط.

بحث ثانٍ

بلاغة التأليف ـ الاقتدار الفني

تلك المخططات الأربعة، البياني والتاريخي والتعليمي والقصصي، تتداخل فيما بينهما، وتنسجم بأساليب أربعة موازية، لتجعل من الإنجيل بحسب متى وحدة فنيّة معجزة في تنظيم أجزائها ونظم آياتها. وهذا ما يسمونه في البيان والبديع : **الاقتدار الفني**، وهو ناحية من الإعجاز أيضاً.

١ـ الأسلوب البياني

أسلوب الإنجيل بحسب متى يظهر بيانه من تقسيم السيرة والرسالة إلى سبعة أجزاء، مع فاتحة وخاتمة؛ وتقسيم الأجزاء الخمسة الوسط، في كل منها، إلى قسمين، في الأول الأعمال المعجزة التي تهيئ الأقوال المعجزة في الثاني وتدلّ عليها. في **الفاتحة** يطل « المسيح ابن داود، ابن إبراهيم » من أعماق التاريخ، بنسَبه وحسَبه، وريثَ الملك والنبوءة، والمواعيد والعهود، والملكوت والكهنوت.

وفي **الجزء الأول** يظهر ظهوراً خفيّاً مدهشاً بين حقارة الظاهر، وعظمة الباطن، في نشأته.

وفي **الجزء الثاني** يظهر ظهوراً علنياً، يؤلب الجماهير حوله في جولة خاطفة، تتبعه من كل فج عميق إلى الجبل حيث يعطي دستور الملكوت في روعة البيان وسحر الطبيعة ودهشة الجمهور : إنه سيد الملكوت والمشترع الأعظم.

وفي **الجزء الثالث** يبشّر بالملكوت في ثلاثة من الأعمال المعجزة تظهره سيد الإنسان والطبيعة والحياة وتعطي معنى رسالة الملكوت وشرعة الرسالة المسيحية : إنه الرسول الأعظم.

وفي **الجزء الرابع** يكشف عن سر الملكوت وطبيعته بالأعمال التوجيهية ثم بالأمثال البيانية : إنه النبي والمعلم الأعظم.

وفي **الجزء الخامس** يمثل بأعماله سيرة أهل الملكوت ويدعو إلى صوفيتها بأقواله : إنه المثل الأعظم.

وفي **الجزء السادس،** أحداث الأزمة الأخيرة التي تنبئ عن مصير الملكوت، بنهاية العهد لإسرائيل، وبداية العهد المسيحي، في خطاب حاسم، ناري في الهيكل (٢٣) نبوي على جبل الزيتون (٢٥) : إنه سيد الملكوت في تاريخه، وملك يوم الدين في مصيره.

وفي **الجزء السابع،** تأسيس الملكوت باستشهاد المسيح وقيامته، شهادة له إنه « المسيح ابن الله الحي » . وفي القيامة يؤيد الله الشهادة للسيرة والرسالة الشخصية.

ففي كل جزء تبرز عملاً وقولاً، بالكلمة والمعجزة، صفة من صفات الملكوت وميزة من ميزات المسيح مؤسس الملكوت، حتى تتم الصورة بأجلى بيان.

*

٢ـ الأسلوب التاريخي

الأسلوب التاريخي ينخرط وينسجم مع الأسلوب البياني. وأسلوب متى **التاريخي استدلالي** لا استقرائي، تحليلي لا تفصيلي، مثل مرقس ولوقا. إنه يستجمع السيرة والرسالة، الأعمال والأقوال، في وحدات فنية كلامية. لذلك لا يلتفت كثيراً إلى ظروف الواقع، من زمان ومكان وأشخاص وبيئات؛ ونحتاج إلى مرقس ولوقا لنتثبّت من ظروف الواقع؛ بل يكتفي بما قلّ ودلّ، كتاريخي فنان، يقدم فلسفة سيرة ورسالة، أكثر من تاريخ ووقائعه؛ لأن هدفه دفاع تاريخي عن صحة مسيحية يسوع، صحة تأسيس ملكوت الله في كنيسته، من سيرته ودعوته.

في **فاتحة الإنجيل** يعطي هوية يسوع، في نسبه وحسبه، لأنها الدليل الأساسي

على مسيحية يسوع، وبدونها لا يكون « مسيحاً، ابن داود، ابن إبراهيم » ، ولو كان إلهاً. ثم يصور **نشأة يسوع** في سبع لوحات موجزة كما وصفها الأنبياء.

وفي إطار المخطط البياني، يقسم تطور السيرة والرسالة إلى ثلاثة مراحل. في الأولى « منذئذ شرع يسوع يدعو ويقول : توبوا فإن ملكوت السموات قريب » (٤ : ١٧)، فيظهر يسوع سيد من قال وفعل، حتى « بهت الجموع من تعليمه » (٧ : ٢٨) قائلين : « لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل » ! (٩ : ٣٣). ولكن أهل العلم والتقوى، والكتبة والفريسيون، أخذوا يقولون : « إنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (١٢ : ٢٤)، مما أدى إلى تردد الجماهير بين الإيمان والكفر : عندئذ شرع يسوع يقرّع المدن » الكافرة (١١ : ٢٠)، وتبدأ المرحلة الثانية الوسط، فيتحول المسيح في تعليمه من التصريح إلى التمثيل، وفي حياته من المجابهة للخصم إلى العزلة، حيناً إلى الشرق وحيناً إلى الغرب، تارة إلى الجنوب وطوراً إلى الشمال، حتى ينفرد برسله ويطلعهم على حقيقة شخصيته ورسالته، ويتجلى ذلك في شهادة بطرس وتجلّي المسيح على الجبل. حينئذ يجسم ملكوت الله في كنيسته. التي يبنيها على بطرس : « ومنذئذ شرع يسوع يبين لتلاميذه أنه ينبغي له ... أن يقتل ويقوم في اليوم الثالث » (١٦ : ٢١). فتبدأ المرحلة الثالثة بتهيئة الرسل، نواة كنيسته، إلى الشك الأعظم في صلب المسيح! يهيئهم بالإشارات والتصاريح المتكررة (١٧ : ٢٢، ٢٠ : ١٧) حتى ظهوره المسيح الملك في دخول أورشليم، واحتلال الهيكل وطرد تجار الدين منه، والاصطدام الأخير الحاسم مع السلطات والأحزاب القومية، ممّا أدّى إلى الخاتمة المحتومة بمحاكمة يسوع على أنه « المسيح ابن الله الحي » ؛ والحكم عليه بالإعدام، وتنفيذ الحكم على يد الرومان بحجة أنه « ملك اليهود » !

فالإنجيل بحسب متى **فلسفة تاريخ** يسوع الناصري ورسالته، منها يظهر أنه

((المسيح)) : ((ابن داود)) و ((ابن الله)) معاً أي ((ابن البشر)) مؤسس ((ملكوت الله)) في كنيسته.

*

٣ـ الأسلوب التعليمي

الإنجيل بحسب متى ينزع منزع الحكمة في تجميع وتفصيل تعليم المسيح وفي إبراز معنى أحداث سيرته، وأحوال شخصيته. بينما يأخذ مرقس مذهباً نبويّاً شعبيّاً في عرضه، ولوقا مذهباً اجتماعياً في قصصه. **فأسلوبه التعليمي كلامي.**

يستجمع تعليم المسيح في خمس مجموعات، كل واحدة تبرز ناحية كيانية من **أصول** التعليم السامي، بينما **يوزع الفروع على** الأحداث بحسب تواردها، في تضاعيف السيرة. فتأتي الخطبة خاتمة لمرحلة من السيرة والرسالة في تطورهما؛ وصورة لصفة من صفات شخصيّة المسيح وماهية الملكوت. ويختم كل مرحلة بلازمة مردّده، فيها حسن التخلص من جزء إلى جزء : ((ولما فرغ يسوع من خطابه)) (٧ : ٢٨؛ ١١ : ١؛ ١٣ : ٥٣؛ ١٩ : ١؛ ٢٦ : ١). ومعها تصريح عن تأثير التعليم على التلاميذ والشعب وزعمائه وعلمائه، وردود الفعل المختلفة فيما بينهم. فيأتي التعليم مجموعاً ومفصلاً، في سيرة من القصص الدراماتيكي يزيده بياناً وتبييناً.

وإعجاز هذا الأسلوب أنه تعليم بالكلمة والمعجزة، بالرسالة والشخصية؛ حكمة في قصة، وقصة في حكمة؛ رسول في رسالة، ورسالة في رسول؛ تعليم مسيح الله في ملكوت الله.

*

٤ـ الأسلوب القصصي الدراماتيكي

قصة المسيح مع بني قومه دراما تمثل قصته مع بني الإنسان في كل زمان

ومكان. قصة مصير الدين والتوحيد في العالم. قصة مصير الرسول والرسالة في محور التاريخ، و « ملء الزمن » .

منذ المطلع نرى وجهاً لوجه أشخاص الدراما : المسيح والمعمدان وإبليس؛ ونور الله يطل على وجه المسيح من حين إلى حين، بينما ظلمة البشرية وظلمها يكتنفه مرحلة مرحلة حتى الخاتمة المؤلمة والمجيدة.

صورة المعمدان بعد تقديمها في لوحة واحدة (٣ : ١ ـ ١٢) غايتها إظهار يسوع في عماده (٣ : ١٣ ـ ١٧)، تظل تطلّ في مطلع كل قسم : بتوقيف المعمدان وحبسه ينسحب يسوع إلى الدعوة في الجليل (٣ : ١٢)؛ فيلمع اسم يسوع فيوجه المعمدان إليه، من سجنه، تلاميذ يستطلعون أخباره (١١ : ٢ ـ ٦). يستشهد المعمدان واستشهاده نذير بمصير يسوع (١٤ : ١ ـ ١٢). فيعتزل يسوع الجماهير، ويتردد إلى أطراف البلاد، وفي الخلوة يعلن يسوع لرسله حقيقة شخصيته ورسالته، ومعها معنى بعثة المعمدان : إنه صورة إيليا العائد ليشهد للمسيح (١٧ : ١ ـ ٢). وفي الموقف الأخير الحاسم في الهيكل يقارن يسوع بين سلطانه وسلطان المعمدان (٢١ : ٢٣ ـ ٢٧) فتجتمع الرسالتان في مصير واحد.

وإبليس يظهر خفياً وراء هيرودس في استشهاد أطفال بيت لحم، ويختفي عن مسرح الأحداث، كما يختفي المسيح ثلاثين سنة. ولما يظهر المسيح في عماده يتصدى له في الخلوة ليحوّله عن رسالته الروحية الفدائية إلى رسالة قومية زمنية سياسية، كما يريدها قوم يسوع، لينتصر عليه، فيرتد خائباً. حينئذ يبدأ الصراع، من وراء ستار، بين يسوع وأعوان إبليس، لتعطيل رسالة المسيح، فيزعمون أنه « برئيس الشياطين يخرج الشياطين » . يقومون على كل منعطف لتعجيز يسوع بجدالاتهم ومؤامراتهم لاغتياله. في الختام يبرز إبليس يدفع يهوذا الخائن إلى التعامل مع « أولاد الأفاعي » كما سماهم المعمدان (٣ : ٧) ويسوع

(٢٣ : ٣٣)، للقضاء على يسوع. فيستشهد ولكنه يبعث حيّاً، ((مسيحاً وربّاً)) في نور الله والقيامة والرسالة العامة لخلاص العالم.

تسير القصة، وتتعقد مرحلة مرحلة، من الحماس في البدء، إلى الانقسام في الوسط، إلى الكفر في النهاية. فتكون النهاية نهاية حكم الظالمين، وبداية عهد المؤمنين بالمسيح، نهاية العهد الإسرائيلي، في ملكوت الله، وبداية العهد المسيحي.

ويسير معنى القصة من المسيح الموعود، إلى المسيح المشهود، فالمسيح المنبوذ والمقتول؛ ومن الملكوت الموعود، إلى الملكوت المشهود، في قطيع المسيح الصغير، إلى الملكوت المفتوح على العالم وللعالم أجمع.

إنها قصة الدين والتوحيد، قصة الإيمان والكفر، قصة النور والظلمة، قصة المسيح والملكوت؛ تفصّل في لوحات متعاقبة متراكمة، يضع فيها المسيح حدّاً فاصلاً برسالته واستشهاده لنهاية العهد الإسرائيلي في الملكوت، وبداية العهد المسيحي للملكوت، بنقله من القومية إلى العالمية ومن الوقتية إلى الخلود في ختام هذا القصص الدراماتيكي.

تلك هي الأساليب الأربعة المختلفة المؤتلفة، يتداخل فيها ويتناغم بانسجام تام القصص والتعليم والتاريخ والبيان، في وحدة رائعة من الاقتدار الفني.

إنها بلاغة التأليف، في البلاغ والتبليغ، بإعجاز الاقتدار الفني.

بحث ثالث

فصاحة الإنشاء ـ الانسجام الفني

الإنجيل بحسب متى تاريخ وتعليم وقصص دراماتيكي، للدفاع عن مسيحية يسوع لدى بني قومه، في بيئته اليهودية. ومن هذه الغاية **تبرز صفات أسلوبه** الإنشائي في انسجامه؛ « والانسجام أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدراً كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة[١] » . ينسجم فيه التفكير والتعبير، واللغة والإنشاء، في وحدة الصف والهدف، للحجة والاحتجاج، على اليهود والعالمين، ولمسيحية يسوع الإلهية.

١ـ لغته

لا نعرف الإنجيل بحسب متى في لغته الأصلية التي نطق بها يسوع، وسجّلها متى، بل بالترجمة اليونانية، التي جمعت إلى أصالة النقل أصالة الأصل. فلغة متى أرقى من لغة مرقس، وأدنى من جزالة لغة لوقا. إن لغته اليونانية فصيحة، جزلة، تميل إلى الإيجاز، لا إلى الإسهاب مثل مرقس، أو الاعتدال مثل لوقا. لذلك، لولا الاحتفاظ ببعض التعابير والأساليب الأرامية التي تذكرنا بالأصل الأصيل. لا تشعر بالترجمة بل بالأصالة؛ حتى ظن بعضهم أن الإنجيل بحسب متى، موضوع باليونانية، لا منقول عن الأرامية.

*

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٨٧.

٢ ـ التعبير والتفكير

وجاءت أساليب التعبير والتفكير فيه جامعة للأساليب السامية العبرية الأرامية، وللأساليب اليونانية الأصيلة في التنظيم والتقسيم والتبويب والتسلسل كما سنرى.

ففي تعابيره يقول دائماً : « ملكوت السماوات » لا « ملكوت الله » كما يقول مرقس ولوقا، في أغلب الأحيان. ويفضل ترديد التعابير حتى خمس عشرة مرة، مثل تعبير « الظلمات الخارجية » (٨ : ١٢؛ ٢٢ : ١٣؛ ٢٥ : ٣٠)، « هناك يكون البكاء وصريف الأسنان » (٨ : ١٢؛ ١٣ : ٤٢ و٥٠؛ ٢٢ : ١٣؛ ٢٤ : ٥١؛ ٢٥ : ٣٠) وقد يأتي التعبير الواحد على ألسنة مختلفة، عن قصد أو غير قصد، فيسوع ويوحنا المعمدان يقولان : « إن ملكوت السماوات قريب » (٣ : ٢؛ ٤ : ١٧)؛ و « نسل الأفاعي » لليهود (٣ : ٨ و١٢، ٢٣ : ٣٣)؛ ويجب ترديد الحادث أو التعليم (٥ : ٢٩ = ١٨ : ٨؛ ١٠ : ٣٨ = ١٦ : ٢٤؛ ١٧ : ٢٠ = ٢١ : ٢١) للتقرير والترسيخ.

ويحتفظ التعبير اليوناني **برباعيات** التعبير الأرامي في نظمه، أو كما نقول في العربية **ثنائيات** متماثلة أو متقاربة أو متعارضة، عجز كل منهما مقابل لصدره ـ وهي سمة كلام المسيح كله تقريباً ـ كما وصل إلينا حتى اليوم في أسلوب الغناء الشعبي، الزجل؛ مما يدل على أن الأسلوب أصيل في اللغات الأرامية، وإنه فطرة فيها، حتى جاء عفو الخاطر على لسان يسوع. والاحتفاظ بأسلوب هذه الرباعيات الأرامية أو الثنائيات العربية في النص اليوناني دليل على الصحة مبنى ومعنى.

والتقسيم والتنظيم مجموعات، والتبويب والتسلسل ضمن المجموعات، وإبراز الأجزاء والأبواب ضمن عبارات التصدير والاختتام، كل هذا دليل العبقرية

اليونانية للمترجم العليم الخبير. ويدل عليها أيضاً بخواتم مرددة مركزة. فجمع متى بانسجام الأساليب الساميّة والإغريقية في التفكير والتعبير.

*

٣ ـ الإنشاء العام

أسلوبه الإنشائي يميل إلى **الإيجاز أكثر منه إلى التفصيل.** فهو يهمل التفاصيل التصويرية التي يعشقها مرقس، ولا يهملها لوقا. ويكتفي من القول في الأقوال والأحداث، بما قلّ ودلّ، رغم مجموعاته الطويلة الرائعة.

ويهمل **الربط اللفظية** والمعنوية التي يعشقها اليوناني، وكثيراً ما يكتفي بلفظة « حينئذ » التي يكررها تسعين مرة : فهي عنده إشارة لفظية للانتقال إلى موضوع آخر، لا دليل التوقيت والتزمين.

وأسلوبه الإنشائي في نقل **أقوال المسيح حكمي،** أكثر منه نبوياً مثل مرقس، أو ذي نزعة اجتماعية مثل لوقا. فكلمات يسوع عنده حكم خالدة مطلقة، تسمو على الزمان والمكان والبيئات والأشخاص. وهذا دليل أصالتها لأنها أسلوب الحكماء الساميين.

وأسلوبه في سرد الأحداث والوقائع أقرب إلى العبقرية اليونانية التي تميل إلى الإيجاز أكثر من التفصيل والأسباب، وإلى التنظيم أكثر من الاسترسال، وإلى التجميع أكثر من الاستقراء.

فهو ينقل **دعوة سامية** أرامية عبرية، بلغة إغريقية **وأسلوب إغريقي.**

*

٤ ـ إنشاؤه التاريخي

يقتصر من التاريخ على ما قلّ ودلّ، لا يسهب في تفصيل الأحداث مثل مرقس، ولا في تسلسلها مثل لوقا، بل يجمع أحداث السيرة والتعليم إلى مجموعات

تفيد حجة، وتكون دليلاً، لأن هدفه تعليمي وجدلي أكثر منه تاريخياً، وإن كان التعليم والجدل قائمين عنده على التاريخ والواقع اللذين لا قيمة للتعليم والجدل بدونهما في إثبات مسيحية يسوع.

فلا يضع الأعمال والأقوال دائماً في مواضعها؛ ونحن بحاجة إلى مرقس لمعرفة ظروف الواقع، وإلى لوقا لمعرفة تسلسل السيرة ـ ناهيك عن يوحنا ـ بل يجمع التعليم في خمس مجموعات، ظاهرةُ الجمع بادية عليها، من الاستطرادات؛ ويجمع أحداث السيرة في سبع مجموعات منظمة مقسمة مبوبة، لها دلالتها.

فالتاريخ عنده، في هذا التنسيق، دليل على صحة الرسول والرسالة.

*

٥ ـ إنشاؤه التعليمي

للإنجيل بحسب متى، مع التاريخ، غاية تعليمية. لذلك جمع تعليم المسيح، في أصوله، إلى خمس مجموعات، نرى فيها شرعة الملكوت، ورسالته، وسره، وصوفيته ومصيره؛ وفرّق الفروع، مثل فنّان، على أحداث السيرة. فهو يمتاز بالتجميع والتنسيق في التعليم.

وكل مجموعة تمتاز بالتقسيم والتبويب، مع مقدمات وخواتم، ومع ربط لفظية ومعنوية، لتأليف وحدة خطابية فنية، فتأتي المجموعة من حيث البيان والتبيين وحدة خطابية فنية، تقيم من ذاتها، الحجة على مسيحية يسوع في إنشاء ملكوت الله.

*

٦ ـ إنشاؤه الجدلي

للإنجيل بحسب متى هدف يعلنه منذ مطلعه : «سجلّ نسب يسوع المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم» (١ : ١). فهو يريد أن يبرهن من سيرة يسوع الناصري

ودعوته لملكوت الله أنه هو المسيح الموعود. لذلك تتواتر التطبيقات النبوية على السيرة والدعوة والمعجزات جملة وإفراداً لبيان صحة الدعوة والشخصية.

ولكنه يفعل ذلك بأدب جم : يعرض، ولا يفرض! يأتي التصريح من معرض التلميح. فالأعمال والأقوال والأحوال ناطقة من تلقاء ذاتها، فلا حاجة به إلى أساليب الجدل لإقامة الحجة والبرهان : فالواقع غني عن البيان. وحججه من النبوة، والكلمة، والمعجزة، والشخصية الفريدة الوحيدة تأتي دلائل ناطقة، لا تحتاج إلى أساليب البرهان، لإقامة دعائم الإيمان.

فالإنجيل بحسب متى تاريخ في تعليم، وتعليم في تاريخ، وكلاهما حجة الحقيقة والواقع، ودليل البرهان والبيان.

*

٧ ـ إنشاؤه البياني

لقد قيل : خير القول، ما قلّ ودلّ؛ وهذا هو إنشاء متى البياني وهذان الإيجاز والإعجاز، في نقل الأعمال والأقوال، وفي وصف الأفعال والأحوال، وما أكسب إنشاءه البياني **صفة الرسمية، وسمة القدسية.** فليس له حيوية مرقس الشعبي العبري، ولا سلاسة لوقا السوري الإغريقي.

فإنشاؤه البياني كنسي أكثر منه شخصياً : كأننا نسمع من خلال شهادته صوت كنيسة المسيح المعاصرة له تعلن إيمانها، أكثر من صوته الشخصي ينقل خبرته ليسوع؛ فهو الشاهد العيان، الذي ينقل أيضاً شهادة الإيمان.

*

وهي شهادة **أمّة في فرد**، وشهادة **فرد في أمة.**

نسمع فيها، ونشاهد فيها، مسيح الإيمان، من خلال مسيح التاريخ. نسمع

المسيح التاريخي، الحي الخالد في كنيسته، وكأنه تجرد من ظروف الزمان والمكان، والبيئة والحدثان، ليعلّم ويعمل فوق الزمان والمكان.

وتجريد يسوع المسيح في سيرته ودعوته من ملابسات الظرفية والزمانية والمكانية، التي نجدها في مرقس ولوقا ويوحنا، ـ تجريداً نسبياً ـ أَبرز شخصية المسيح **بهالة القدسية والخلود**، التي تتجاوز المكان والزمان.

فيسوع الناصري، ابن مريم، هو ابن داود، ابن إبراهيم : وهو أيضاً ابن البشر، وابن الله؛ سيد النبوة والطبيعة والبشرية؛ ((المسيح ابن الله الحي)) مؤسس ملكوت الله في كنيسته.

لقد قيل : الإنشاء هو الشخصية! وإنشاء الإنجيل بحسب متى يُظهر شخصية السيد المسيح، وشخصية شاهده الأمين متى.

تلك هي فصاحة إنشائه في إعجاز انسجامه الفني.

بحث رابع

روعة البيان ـ الافتنان في البيان

لقد جمع الإنجيل بحسب متى روعة الفنون الأدبية السامية والإغريقية في بيانه. وأن من البيان لسحراً، يفوت من ينعى عليه في الغرب أساليبه السامية، ومن ينعى عليه في الشرق أساليبه الإغريقية.

والافتنان في البيان ناحية أخرى من الإعجاز في البيان. « وهو الإتيان في كلام بفنّين مختلفين كالجمع بين الفخر والرثاء ... وهناء وعزاء[١] » .

هذا في التعبير؛ ويقابله في التفكير : **التفويت،** « وهو إتيان المتكلم بمعان شتى من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أختها، مع تساوي الجمل[٢] » وهذان الافتنان والتفويت مصدر روعة البيان في فنونه الأدبية، ومصدر من مصادر إعجاز الإنجيل.

*

١ـ فنّ « الوجوه والنظائر[٣] »

إنه أسلوب يجمع أقوالاً متفرقة مختلفة، بسبب القرائن اللفظية أو المعنوية

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٨٧.
(٢) السيوطي : الإتقان ٢ : ٨٩.
(٣) يسمونه باللغة الأجنبية : Mots – agrafes .

القائمة فيما بينها. عرفه أحدهم[1] : « الوجوه هي اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان. والنظائر كالألفاظ المتواطئة؛ وهي تقع في الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة » . فالوجوه في الألفاظ المشتركة، والنظائر في المعاني المشتركة.

وهو فن متواتر مضطرد في الإنجيل بحسب متى.

خذ مثلاً خطبة المسيح التأسيسية على الجبل، ففيها آيات دخيلة من زمن آخر، استدعتها وحدة التعبير أو التعليم، فاستطرد إليها بقرائن لفظية أو معنوية. فشريعة « لا تقتل » كملها بشريعة « لا تغضب » (٥ : ٢١ ـ ٢٢) : ومثل لها بتحريم المسبّة (٥ : ٢٢). ثم استطرد إلى وجوب المصالحة، فالاتفاق مع الخصم (٥ : ٢٣ ـ ٢٦). وتطوير شريعة « لا تزن » بتحريم النظر الشهواني (٥ : ٢٧ ـ ٢٨)، استطرد إلى تعثير العين واليد (٥ : ٢٩ ـ ٣٠) ثم إلى تحريم الطلاق (٥ : ٣١ ـ ٣٢). وتطوير شريعة « لا تحنث » بتحريم القسم (٥ : ٣٣ ـ ٣٥)، استطرد إلى تحريم القسم بالرأس ثم إلى الاكتفاء بالقول الصدق (٥ : ٣٦ ـ ٣٧). وفي تكميل يسوع لأركان الدين « والبرّ » من صدقة وصوم وصلاة (٦ : ١ ـ ٦) استطرد من وصف الصلاة الكاملة إلى تحريم الثرثرة في الصلاة (٦ : ٧ ـ ٨) ثم إلى تقديم « الصلاة الربية » مثالاً على الصلاة الكاملة (٦ : ٩ ـ ١٣) وهي في زمن آخر كما نعرف ذلك من لوقا؛ ثم إلى التعليق على ضرورة الغفران للغير، شرطاً لصحة الصلاة.

وفن « الوجوه والنظائر » ساعد متى في تجميع آيات الإنجيل في وحدات فنيّة، بقرائن لفظية أو معنوية، قد لا تظهر في الترجمة. وهو أسلوب قامت عليه هذه الخطب الجامعة المانعة التي يمتاز بها الإنجيل بحسب متى، وقد تختلف

*

---

(١) السيوطي : الإتقان ١ : ١٤٢.

فيها الآيات زمناً أو موضوعاً، ولكنها تأتلف فنّاً وبياناً. وهو أسلوب إنشائي بياني عام فيه، يزيده بياناً.

٢ ـ فن التصدير

وهو فن « ردّ إعجاز الكلم على صدوره » ، كما يقول أهل البيان والبديع[١] . يقوم على ترديد كلمة أو تعبير في آخر الآية، أو المقطع من الخطاب، قد ورد في مطلعه. فيجمع الكلم أو المقطع من الخطاب، أو القسم منه، أو الخطاب كله، ما بين لفظتين أو تعبيرين متماثلين، وذلك، تسهيلاً للحفظ أو للذاكرة، وللبيان أيضاً.

ويقرب منه : « **التسهيم** » ، حيث أول الآية يدل على آخرها.

والتصدير فن انفرد به متى وتميّز به؛ بينما ينفر منه لوقا، ذو الذوق الإغريقي، ولا يعرفه مرقس في بيانه الشعبي.

مثال ذلك، في التطويبات : « طوبى للمساكين فإن لهم ملكوت السماوات .. طوبى للمضطهدين فإن لهم ملكوت السماوات » (٥ : ٣ ـ ١٠) فجمع المقطع الرائع في وحدة فنية، بترديد كلمة واحدة. وهذا الأسلوب يجعل الطوبى الأخيرة (٥ : ١١ ـ ١٢) دخيلة من زمن آخر، كما لاحظ ذلك القديس اغسطينوس. وهناك أمثلة عديدة: « لا تكنزوا لكم كنوزاً ... فحيث يكون كنزك يكون قلبك » (٦ : ١٩ و٢١) ـ « احذروا من الأنبياء الكذبة : من ثمارهم تعرفونهم ... فمن ثمارهم إذن تعرفونهم » (٧ : ١٥ و١٦ و٢٠).

ـ « لِمَ نحن والفريسيون نصوم ؟ .. وعندئذ يصومون » (٩ : ١٤ و١٥).

---

(١) يسمونه باللغة الأجنبية : les inclusions .

- « لِمَ يفعل تلاميذك ما لا يحل في السبت ؟ .. فإن ابن البشر هو أيضاً ربّ السبت » (١٢ : ٢ و٨).

- « جيل شرير فاسق يطلب آية ... هكذا يكون من أمر هذا الجبل الشرير » (١٢ : ٣٩ و٤٣).

- « لِمَ تلاميذك يتعدّون سنة الشيوخ ؟ إنهم لا يغسلون أيديهم عند الأكل ... أمّا الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان » (١٥ : ٢ و٢٠).

- « إياكم وخمير الفريسيين والصدوقيين ... إنه يكلمهم عن تعليم الفريسيين والصدوقيين » (١٦ : ٦ و١٢).

- « مَن الأعظم في ملكوت السماوات ؟ .. ذاك هو الأعظم في ملكوت السماوات » (١٨ : ١ و٤).

- « هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل علة ؟ .. يزني من طلّق امرأته إلاّ لعلة الزنى » (١٩ : ٣ و٩).

- « عندئذ قدم إليه أطفال ليضع يده عليهم ... ومضى بعد أن وضع يد عليهم » (١٩: ١٣ و١٥).

- « كثيرون من الأولين يكونون آخرين ... هكذا يكون الآخرون أولين » (١٩ : ٣٠ و٢٠ : ١٦).

- « قائلين : بأي سلطان تفعل هذا ؟ ... ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا! » (٢١ : ٢٣ و٢٧).

- « وسلمه إلى كرامين (أولين) وسافر ... ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين » (٢١: ٣٣ و٤١).

- « داود ابنه يدعوه ربّاً ... فكيف يكون داود ابنه » (٢٢ : ٤٣ و٥٤)

فهذا النوع من فنون البيان في التصدير ـ والتسهيم ـ يكسب الإنجيل بحسب متى روعة فنية، ويساعد على تنظيمه وحدات فنية مستقلة بذاتها، مرتبطة فيما بينها بقرائن لفظية أو معنوية كالعقد الفريد؛ ويزيدها النظم رباعيات أرامية، أو ثنائيات بحسب العربية، رونقاً وإعجازاً.

*

٣ ـ فن الاستطراد

وهو الانتقال من معنى إلى آخر قريب منه. وقد ساعد على تجميع تعليم متشابه من أزمنة مختلفة أو مواقف متنوعة. والاستطراد يقع في الأفكار المتقاربة، بينما « الوجوه والنظائر » تقع في الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة.

وأسلوب الاستطراد متواتر في الإنجيل بحسب متى. نجد مثلاً في وفادة يوحنا المعمدان أن بعضاً من تلاميذه، وهو في السجن، يستطلعون أخبار يسوع ويسألونه « أأنت الآتي أم ننتظر آخر » ؟ فأجابهم بمعجزات المسيح الموعود التي أجراها أمامهم (١١ : ٢ ـ ٦). ثم استطرد إلى مدح المعمدان : « لم يقم في مواليد النساء أعظم منه » ! (١١ : ٧ ـ ١٣)؛ وإلى الكشف أنه هو « إيليا المزمع أن يأتي » (١١ : ١٤)؛ ثم إلى مقارنة رسالته برسالة المعمدان (١١ : ١٦ ـ ١٩).

مثل آخر، في لعن المسيح لمدن البحيرة التي كفرت به (١٢ : ٢٠ ـ ٢٤) ثم يستطرد إلى إيمان الودعاء به كالأطفال، بخلاف الزعماء والحكماء (١٢ : ١٥ ـ ٢٦) ويستطرد إلى تفرّده بالكشف عن الآب (١٢ : ٢٧) ثم إلى دعوة الكادحين إليه (١٢ : ٢٨ ـ ٣٠).

وفي الجدال على نصرة بعل زبول للمسيح في صنع المعجزات (١٢ : ٢٢ ـ ٢٩) يستطرد إلى التجديف على الروح القدس الذي يؤيد المسيح في صنع

المعجزات (١٢ : ٣٠ ـ ٣٢) ثم يستطرد إلى تطبيق هذا المثل « من الثمرة نعرف الشجرة » عليهم وعليه (١٢ : ٣٣ ـ ٣٧).

وبعد مثل الزارع (١٣ : ١ ـ ٩) يستطرد إلى سبب التعليم، بأمثال (١٣ : ١٠ ـ ١٣) وإلى نبوّة أشعيا عن تصلّبهم (١٣ : ١٤ ـ ١٥) ثم إلى تفضيل الرسل على الأنبياء والأولياء لمشاهدتهم المسيح (١٣ : ١٦ ـ ١٧). ثم يستطرد إلى تفسير مثل الزارع (١٣ : ١٨ ـ ٢٣) قبل الانتقال إلى سائر الأمثال. ونفهم من مطلع تفسير مثل الزؤان (١٣ : ٣٦) أن التفسير كان على انفراد بعد الرجوع إلى البيت.

كذلك بعد الخطاب في اليوم الآخر لإسرائيل والعالم (٢٤ : ١ ـ ٣٦) يستطرد إلى التحريض بأمثال على السهر (٢٤ : ٣٧؛ ٢٥ : ١٣) وعلى العمل (٢٥ : ١٤ ـ ٣٠) ثم يعود إلى وصف اليوم الآخر ويوم الدين (٢٥ : ٣١ ـ ٤٦).

وهذا الأسلوب في الاستطراد قد يكون أسلوب يسوع نفسه مثل كل معلم شعبي وقد يكون أسلوب الإنجيلي لتجميع التعليم المتقارب، كما يظهر من مقارنة متى بمرقس ولوقا.

*

٤ـ فن التضمين

أسلوب التضمين هو **إدراج كلام آخر في أثناء الكلام الوارد** « لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم[١] » . وهو من أنواع البيان والبديع. من ذلك ذكر الطلاق في كلامه عن الزنى (٥ : ٢٧ ـ ٣٢)؛ وذكر معنى دور المعمدان (١١ : ١٤) في تفصيل مدحه (١١ : ٧ ـ ١٥)؛ وذكر سلطان يسوع المطلق،

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٩٠.

وسلطانه الفريد في معرفة الله (١١ : ٢٧) في معرض إعلان وحي الله للبسطاء ودعوتهم إلى نير المسيح (١١ : ٢٥ ـ ٣٠).

ومنه نوع آخر، وهو « **حكاية قول الآخرين** » أثناء الكلام كما في وصف محاكمة المسيح الدينية أمام السنهدرين، والمدنية أمام الوالي الروماني.

ومنه نوع آخر، وهو « إقحام قول في كلام » بوسع أبعاده ومعانيه، مثل قصة شفاء غلام القائد الروماني في كفرناحوم (٨ : ٦ ـ ١٣) أقحم فيها متى قول المسيح في الآتين من المشرق والمغرب يتكئون مع الآباء في ملكوت الله بينما أبناء الملكوت يلقون في الظلمة الخارجية (٨ : ١١ ـ ١٢)، فتصير المعجزة دليلاً على دخول الوثنيين في ملكوت الله بإيمانهم بالمسيح.

كذلك في جدال الفريسيين للمسيح في السبت والعمل فيه، يجادلهم يسوع بمثل داود وبمثل عمل الكهنة في الهيكل يوم السبت (١٢ : ١ ـ ٨) ويقحم قول المسيح في مناسبة أخرى : « إن ههنا أعظم من الهيكل » (١٢ : ٦)، ويظهر ذلك من التصدير في المقطع (١٢ : ٢ مع ٨).

وهو أيضاً أسلوب متواتر في الإنجيل بحسب متى.

*

٥ ـ فن التقسيم والتبويب

أسلوب **التقسيم** والتبويب ميزة أخرى في الإنجيل بحسب متى. فهو يقسم سيرة المسيح ورسالته إلى سبعة أقسام، ويقسم تعليم المسيح إلى خمسة أقسام (ف ٥ ـ ٧؛ ١٠؛ ١٣؛ ١٨؛ ٢٤ ـ ٢٥). ويقسم كل قسم إلى جزئين، الأول أحداث السيرة التي تهيئ الثاني في التعليم. وفي جزء الأحداث يقسمها إلى مراحل، كل مرحلة، فيها « **تصريح** » أي فاتحة بتعليم موجز، وخاتمة بتعليم موجز؛ ويقسم كل جزء إلى أبواب.

هكذا في الدعوة لملكوت الله (٨ : ١ ـ ٩ : ٣٨) ففي الجزء مجموعة أولى يعطي فيها ثلاث معجزات لها علاقة مع كاهن ثم قائد أجنبي ثم رسول يختمها بموجز لأشفية بالجملة (٨ : ١ ـ ١٧) يعلّق عليها بتعليم في ضرورة التجرد لاتباع يسوع (٨ : ١٨ ـ ٢٢). وفي مجموعة ثانية يقص ثلاث معجزات يظهر فيها المسيح سيد الطبيعة وسيد الشياطين وسيد المرض والخطيئة (٨ : ٢٣ ـ ٩ : ٨) ويعلق عليها بسلطان يسوع في دعوة الخاطئين ومؤاكلتهم، لتقريبهم إلى الله (٩ : ٩ ـ ١٣). وفي مجموعة ثالثة يستفتحها بجدال في الصوم (٩ : ١٤ ـ ١٧) ثم يقص ثلاث معجزات : إحياء ابنة يائير، وشفاء أعميين، وشفاء مجنون أخرس (٩ : ١٨ ـ ٣٤). ويختم بذكر الأثر المختلف لأعمال يسوع، لدى الشعب، ولدى علمائه من الفريسيين (٩ : ٣٣ ـ ٣٤) واستعلاء يسوع عليهم بالدعوة في جميع المدن والقرى، وإجراء الأشفية بالجملة (٩ : ٣٥).

مثل آخر من الجزء الثاني في شرعة الرسالة المسيحية للملكوت (٩ : ٣٦ ـ ١١ : ١). يستفتح بمقدمتين : ضرورة العملة للرسالة (٩ : ٣٦ ـ ٣٨) ثم اختيار الرسل الاثني عشر وبعثتهم التدريبية (١٠ : ١ ـ ٥). ويأتي الخطاب التوجيهي في سبع وصايا للحاضر، في الرسالة الخاصة (٩ : ٥ ـ ١٥) مع خاتمة (٩ : ١٦)؛ ثم في عشر وصايا للمستقبل في الرسالة العامة (٩ : ١٧ ـ ٣٩) مع هذه الفاتحة : « احذروا من الناس » (٩ : ١٧)! وهذه الخاتمة : « من وجد نفسه بذلها، ومن بذل نفسه، من أجلي، وجدها » (٩ : ٣٩). ويختم بخاتمتين : الرسول المسيحي صورة المسيح (٩ : ٤٠ ـ ٤١)، مكافأة المعروف للرسل (٩ : ٤٢).

وفي التخطيط المفصل المحكم للإنجيل بحسب متى سنرى فن التقسيم للكل، وفن التبويب في كل قسم وجزء، مما يجعل من الإنجيل كله وحدة فنية رائعة، كالعقد الفريد.

*

٦ـ فن التكرير أو الترديد

إنه فن من أساليب البيان في اللغات السامية، حُفظ في ترجمة الإنجيل إلى اليونانية، وهو ليس من ذوقها ومن ذوق من ينتسب لها. لذلك قد يعده غيرنا عجزاً، ونعده نحن إعجازاً: « وهو من محاسن الفصاحة، خلافاً لبعض من غلط فيه. وله فوائد منها التقرير، ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه، ومنها التعظيم والتهويل[١] » .

والتكرير على نوعين : منه ما كان متصلاً، في فصل واحد، كتكرير اللازمة، أو كقوله: « حيث لا يموت دودهم ولا تطفأ النار » ـ وهذا ما يسمى (التكرير) حصراً؛ ومنه ما كان مفصولاً أي « ما وقع فيه الفصل بين المكرّرين » وهذا ما يسمى (**الترديد**).

يرد الترديد في التعابير. ومن أمثلته :

ـ ترديد التعبير في بدء الدعوة : « ومنذئذ شرع يسوع يدعو » (٤ : ١٧)؛ وفي تطوير الدعوة : « ومنذئذ شرع يسوع يقرّع المدن الكافرة » (١١ : ٢٠)؛ وفي تحويل الدعوة (١٦ : ٢١). وهذا الترديد يظهر أقسام الدعوة الثلاثة التاريخية.

ـ ترديد صفة التخلّص من قسم إلى قسم في ختام كل قسم : « ولما فرغ يسوع من خطابه » (٧ : ٢٨)، « ولما فرغ يسوع من وصيته » (١١ : ١)؛ « ولما فرغ يسوع من ضرب هذه الأمثال » (١٣ : ٥٣)؛ « ولما فرغ يسوع من هذا الكلام » (١٩ : ١)؛ « ولما فرغ يسوع من هذا الكلام كله » (٢٦ : ١). وهذا الترديد اللفظي المقصود يظهر أقسام الدعوة الخمسة الفنية. ويرد الترديد في التعابير لتقرير وترسيخ الفكرة أو الصورة :

---

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٦٦

- « لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الشريعة » (٥ : ١٧) = « لا تظنوا أني أتيت لألقي على الأرض سلاماً بل سيفاً » (١٢ : ٣٤).

« وإذا بأبرص تقدم وسجد له » (٨ : ٢) = « وإذا بأحد الرؤساء تقدم وسجد له » (٩ : ١٨).

- « أما أبناء الملكوت فيلقون (٨ : ١٢) = والزرع الجيد هم أبناء الملكوت » (١٣: ٣٨).

- « في الظلمة الخارجية » (٨ : ١٢) كذلك في (٢٢ : ١٣؛ ٢٥ : ٣٠).

- « فعلم يسوع أفكارهم » (٩ : ٤) كذلك (١٢ : ٢٥).

- « إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل » (١٠ : ٦) كذلك (١٥ : ٢٤).

- « ويجلدونكم في مجامعهم » (١٠ : ١٧) كذلك (٢٣ : ٣٤).

ـ « في ذلك الزمان » (١١ : ٢٥) : تكرار يعني أنه لا يقصد التوقيت أو التسلسل التاريخي.

- « يضيئون كالشمس » (١٣ : ٤٣) = « يضيء كالشمس » (١٧ : ٢).

ـ « ما خلا النساء والأولاد » (١٤ : ٢١) كذلك (١٥ : ٣٨) ترديد لا غنى عنه لإيضاح المعنى.

- « حينئذ فهموا » (١٦ : ١٢) = « حينئذ فهم التلاميذ » (١٧ : ١٣).

- « ابن الله الحي » (١٦ : ١٦) كذلك (٢٦ : ٦٣)؛ التصريح السري يصير علنيّاً.

- « خافوا جدّاً » ـ الرسل (١٧ : ٦) مثل « خافوا جداً » ـ حراس القبر (٢٧ : ٥٤).

- « فحزنوا جداً » ـ الرسل (١٧ : ٢٣) كذلك (١٨ : ٣١).

- « وذهب التلميذان وفعلا ما أمرهما به يسوع » (٢٠ : ٦) مثل قوله « وفعل التلاميذ كما أمرهم يسوع » (٢٦ : ١٩).

*

وقد يبلغ الترديد حد التواتر :

- موجز دعوة المعمدان ويسوع ورسله : « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » (٣ : ٧؛ ٤ : ١٧؛ ٩ : ٧).

- « يا نسل الأفاعي » على لسان المعمدان (٣ : ٧) ولسان يسوع (١٢ : ٣٤؛ ٢٣: ٣٣).

- يتواتر الوصف : « هناك يكون البكاء وصريف الأسنان » (٨ : ١٢؛ ١٣ : ٤٢ و٥٠ : ٢٢ : ١٣؛ ٢٤ : ٥١؛ ٢٥ : ٣٠).

- التعبير الجامع لأسفار الكتاب : « الشريعة والنبيّين » (٥ : ١٧؛ ٧ : ٢٢؛ ٢٢ : ٤٠؛ ١١ : ١٣).

- « الذي يعمل إرادة أبي الذي في السماوات » (٧ : ٢٠؛ ١٢ : ٥٠).

- يختم خطب يسوع الخمسة بقوله الواحد : « ولما فرغ يسوع من خطابه » (٧ : ٢٨؛ ١١ : ١؛ ١٣ : ٥٣؛ ١٩ : ١؛ ٢٦ : ١).

ففي الترديد المتواتر تركيز للتقييم والتبويب، كما للتعليم والخطابة.

*

ويرد الترديد في التعليم، للتقرير والتوضيح :

- « إن عثّرتك عينك ... يدك » (٥ : ٢٩ - ٣٠) = (١٨ : ٨ - ٩).

- نسخ الطلاق (٥ : ٣٢) = (١٩ : ٩).

- المثل « من الثمرة تعرف الشجرة » (٧ : ١٦ - ١٨) = (١٢ : ٣٣ - ٣٥).

ـ العبرة : « كل شجرة بلا ثمرة تقطع » على لسان المعمدان (٣ : ١٠) ويسوع (٧ : ١٩).

ـ دينونة سادوم (١٠ : ١٥) = (١١ : ٢٤).

ـ « سيبغضكم الجميع من أجل اسمي » (١٠ : ٢٢) = (٢٤ : ٩).

ـ « من يصبر إلى المنتهى يخلص » (١٠ : ٢٢) = (٢٤ : ٣).

ـ حمل الصليب على أثر المسيح (١٠ : ٣٨) = (١٦ : ٢٤).

ـ « من أحب نفسه يبذلها » (١٠ : ٣٩) = (١٦ : ٢٥).

ـ « من له يعطى فيزداد » (١٣ : ١٢) = (٢٥ : ٢٩).

ـ « من له إيمان مثل حبة الخردل » (١٧ : ٢٠) = (٢١ : ٢١).

ـ « الأولون يكونون آخرين » (١٩ : ٣٠) = (٢٠ : ١٦).

ـ « الأكبر فيكم يكون لكم خادماً » (٢٠ : ٢٦) = (٢٣ : ١١).

ـ « لا تعرفون متى يأتي سيدكم » (٢٤ : ٢٢) = (٢٥ : ١٣).

*

وقد يرد الترديد في الأحداث :

ـ شفاء أعميين في كفرناحوم (٩ : ٢٧ ـ ٣١) وأعميين في أريحا (٢٠ : ٢٩ ـ ٣٤).

ـ شفاء مجنون أخرس في كفرناحوم (٩ : ٣٢ ـ ٣٤) وفي خارجها (١٢ : ٢٢ ـ ٢٤).

ـ الرد مرتين على طلبهم معجزة من السماء، بآية يونان (١٢ : ٣٨ ـ ٣٩) = (١٦ : ١ ـ ٢).

ـ تكثير الأرغفة الخمسة (١٤ : ١٥ ـ ٢١) وتكثير الأرغفة السبعة (١٥ : ٣٢ ـ ٣٩).

*

وقد يرد الترديد **كلازمة معجزة للتحدي** في مواقف يسوع العملية :

يفصّل متى نحو ثلاثين معجزة، ويوجز أعمال يسوع المعجزة فترة بعد فترة بموجز عن المعجزات التي تمت في الفترة ولا يفصلها، وهذا يظهر **اقتداره الإلهي** على المعجزات كأنها تنبع منه بالفطرة (متى ٤ : ٢٤؛ ٨ : ١٦؛ ٩ : ٣٥؛ ١١ : ٥؛ ١١ : ٢٥؛ ١٢ : ١٥؛ ١٣ : ٥٨؛ ١٤ : ١٤؛ ١٤ : ٣٥؛ ١٥ : ٣٠؛ ١٩ : ٢؛ ٢١ : ١٤). تلك عشر موجزات ونيف لمعجزات بالجملة، على فترا متواترة لها المعنى البعيد في التعريف بشخصية المسيح.

والآن نقول : إن لهذا التكرير والترديد **أهدافاً بعيدة.** منها إنه يجمع بين دعوة المعمدان ودعوة المسيح؛ ومنها إنه ترديد للتقرير والإيضاح كما في بعض التعاليم الجديدة على البيئة اليهودية، مثل قضية الطلاق والجدال في سنّة اليهود، أو الحلال والحرام في المآكل. ومنها تشابه الأعمال لتشابه الأحوال في المواقف المختلفة. وأسلوب متى في الإيجاز حيناً والتفصيل حيناً قد يفسر بعض الترديدات. وقد تتكرر المواقف فيتكرر الجواب معها مثل طلب اليهود من المسيح معجزة من السماء. وقد يكون الترديد مقصوداً لذاته للتقرير والترسيخ كوصف عذاب جهنم.

هذا كله يوحي بأن الترديد في الإنجيل ليس من الابتذال؛ بل من **الاقتدار، الذي هو باب من الإعجاز.**

*

٧ـ أسلوب الأعداد الرمزية المقدسة

كان للأقدمين شغف بأعداد يعتبرونها رمزية مقدسة، خصوصاً عند اليهود. نرى ذلك في الكتاب؛ ونراه في الإنجيل بحسب متى كما نراه في سفر الرؤيا. وهم يرون في الأعداد سرّاً وصوفية.

فجاء نظم الإنجيل أحياناً بحسب هذا الأسلوب.

من ذلك، العدد ثلاثة : تجارب المسيح الثلاث (متى ٤ : ١ ـ ١١)؛ التحريمات الثلاثة (٦ : ١٩ ـ ٧ : ٦)؛ الإنباء بقتل المسيح وصلبه ثلاثاً (١٦ : ٢١؛ ١٧ : ٢١؛ ٢٠ : ١٨)؛ صلاة المسيح في بستان الزيتون ثلاث مرات؛ جحود بطرس ليسوع ثلاث مرات.

ويجمع التعليم في ثلاثة أبواب : الزكاة والصلاة والصوم (٦ : ١ ـ ١٨) زكاة النعناع والشبث والكمون (٢٣ : ٢٣) وأثقل ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة (٢٣: ٢٣).

ومن ذلك العدد سبعة، وهو أقدس الأعداد عندهم، لذلك اعتمده يسوع والإنجيلي في التطوبيات السبع ـ ما زاد فهو دخيل من زمن آخر كما يدل عليه فارق النظم، بحسب القديس اغسطينوس (ف ٥ : ٣ ـ ١٠)؛ وسبع طلبات « ابانا » (٦ : ٩ ـ ١٧)؛ وسبعة أمثال الملكوت (١٣ : ٣ ـ ٥١)؛ والحكم على الفريسيين والعهد اليهودي بسبع ويلات (٢٣ : ١٣ ـ ٣٦).

وبسبب قداسة العدد سبع فقد قسم متى الإنجيل إلى سبعة أجزاء تفصل بينها خمس خطب ليسوع.

*

٨ ـ فن الإيجاز والأطناب

قال بعض العلماء[١] : « الإيجاز والأطناب **من أعظم أنواع البلاغة**، حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم أنه قال : البلاغة هي الإيجاز والأطناب. كما أنه يجب على التبليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز، **فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن** يفصّل ويشيع :

(١) السيوطي : الإتقان ٢ : ٥٣.

يرمون بالخطب الطوال وتـارة وحي المـلاحظ ، خيفة الرقبـاء

والإيجاز هو أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف. **والإطناب** أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليق بالبسط » .

ويمتـاز الإنجيـل بحسـب متـى بفـن الأطنـاب فـي خطبـة الخمسـة عـن ماهيـة ملكـوت السماوات، وبفن الإيجاز في المقاطع التي ينشرها ما بين الأحداث.

بذلك يمتاز على الإنجيل بحسب لوقا في « فن المساواة » ، ميزة الأدب اليوناني؛ وعلـى الإنجيل بحسب مرقس في « فن الإسهاب » الشعبي. مثلاً : شفاء المقعد يتطلب (١٢٦) كلمة في متـى؛ و (١٩٦) كلمـة فـي مـرقس؛ و (٢١٢) فـي لوقـا، لاخـتلاف المقاصـد. وشـفاء مجنـون الجدريّين (١٣٦) كلمة في متى؛ و (٢٥٣) في مرقس؛ و (٢٩٣) في لوقا.

والخطب الخمس الطوال في متى تمتاز في الأطناب عن زميليه؛ ومع ذلك فهي تمتاز أيضاً بالإيجاز لتبويبها أبواباً مختلفة متوازية، فيأتي الأطناب فيها بإيجاز، في تزاوج ممتاز.

*

٩ـ فنون أخرى[١]

يضـيق بنـا المقـام لـذكر الفنـون الأخـرى مـن البيـان والبـديع فـي الإنجيـل بحسـب متـى، استيفاء لبدائعه. فنسمي بعضها :

١) فن « العنوان » وهو الإتيان بلفظ في مطلع الكلام ويأتي الخطاب تفصيلاً لـه. وهو كثير في الإنجيل بحسب متى : « كتاب نسب يسوع » (١ : ١)؛ « أمّا مولد يسوع المسيح فكـان هكذا » (١ : ١٨)؛ « في تلك الأيام ظهر يوحنا المعمدان » (٣ : ١)؛ « حينئذ ظهر يسوع » (٣ : ١٣)؛ « حينئذ اقتاد الروح

---

(١) قابل السيوطي : الإتقان ٢ : ٨٣ الخ ..

يسوع إلى البرية ليجربه إبليس ›› (٤ : ١)، ‹‹ لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الناموس أو الأنبياء ›› (٥ : ١٧) ثم التفصيل، ‹‹ احترزوا أن تنعوا بركم قدام الناس ›› (٦ : ١) ثم التفصيل. وكل الإنجيل بحسب متى يأتي بكلمة في مطلع قصصه أو خطبه، عنواناً للتفصيل التالي.

٢) ‹‹ **فن المبالغة** ›› ، وهو أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ للمعنى مثل قوله : ‹‹ لا يدخل غني ملكوت الله حتى يلج الجمل في سم الخياط ›› ؛ وهو أسلوب فطري في الشرقي، ويحسبه الغربي عيباً! وفي الإنجيل أمثلة عديدة منه.

٣) ‹‹ **فن التنكيت** ›› أو الكناية، وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره ممّا يسدّ مسده، لأجل نكتة في المذكور ترجع مجيئه على سواه. مثال ذلك تسمية يسوع نفسه ‹‹ ابن البشر ›› بدلاً من المسيح، لأنها أستر لاقتصاد المسيح، في وحيه، تحسباً من ثورة الشعب على المستعمر؛ ولأنها تورية لنبوة دانيال في المسيح النازل من السماء. كذلك تلقيب الشعب يسوع ‹‹ ابن داود ›› كناية عن المسيح. أو كقول المسيح لرسله عن اليهود : ‹‹ ها أنا أرسلكم كغنم بين ذئاب ›› (١٠ : ١٦)؛ وقوله مثل بني قومه : ‹‹ لا تعطوا الأقداس للكلاب ›› (٧ : ٦).

٤) ‹‹ **فن الجمع** ›› بين شيئين أو أشياء متباعدة، في حكم واحد، كقوله : ‹‹ لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال ›› ! (٦ : ٢٤).

٥) ‹‹ **فن المشاكلة** ›› وهو ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً؛ كقوله : ‹‹ سمعتم أنه قيل : أحبب قريبك وابغض عدوك ›› (٥ : ٤٣) لا يقول الكتاب ببغض العدو، ولكن جاء اللفظ مشاكلة لما قبله. أو كقوله. ‹‹ اني أُريد رحمة لا ذبيحة ›› ! فالكتاب يفرض الذبائح، ولكن هنا يقصد تفضيل الرحمة على الذبيحة، فورد التعبير بهذه الصيغة على سبيل المشاكلة. أو كقوله : ‹‹ لا تزنِ ... من نظر إلى امرأة بشهوة فقد زنى بها في قلبه ›› : ليس النظر زنى بحد ذاته، ولكن لتقبيحه ورد عن طريق المشاكلة.

٦) « **فن التورية** » [١] وهو ذكر لفظ لـه معنيـان، إمّـا بالاشـتراك أو التواطؤ أو الحقيقـة والمجاز، أحدها قريب والآخر بعيد، ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلـة. وهو أسلوب متـواتر فـي الإنجيل استخدمه يسـوع والإنجيلـي لتطبيـق جميـع النبـوءات فـي المسـيح وملكوت الله، على نفسه وكنيسته. منها اسم « ابن البشر » يُقصد به كل إنسـان، ويـورى بـه عـن المسيح في نبوءة دانيال. كذلك نبؤة أشعيا: « هوذا عبدي الذي اخترته، حبيبي الذي ارتضيته » (١٢ : ١٨). واسم « عمانوئيل » أيضاً (١ : ٢٣) حقيقته إضـافة معنويـة إلـى الله، وفـي الواقـع إضافة حقيقية كما حقق الخَبر الخُبر. وقد أورى عن كنيسته بكل أوصاف الملكوت فـي الكتـاب؛ كمـا فـي الأمثـال : الـزارع والـزرع، حبـة الخـردل، الخميرة، الكنـز، اللؤلـؤة، الشبكة (ف ١٣). كذلك الكرم، ورب الكرم (٢١ : ٣٣) الملك، وعرس ابنه (٢٢ : ٢) الرجل المسافر وعبيده (٢٥ : ١٤) ...

فتلك الفنـون وغيرهـا مـن البيـان والبـديع، والمحسّـنات اللفظيـة والمعنويـة تزيـد الإنجيـل روعـة وإعجـازاً. وإذا كـان المجـاز فـي الكـلام محـور البيـان والبـديع، وكـلام المسيح أكثـره فـي الوصف مجاز، فالمسيح سيد المجـاز والإعجـاز فـي إنجيلـه. وبقـاء فصـاحتها فـي الترجمـة دليـل روعتها في الأصل.

*

١٠ ـ نظم الإنجيل : رباعيات أرامية أو ثنائيات عربية

كلام المسيح في الإنجيل، خصوصاً بحسب متى، وهو أقرب إلى الأصل الأرامي، لـيس نثـراً مرسـلاً، ولا شـعراً موزونـاً مقفّـى، كالشـعر العربـي الفصـيح، بـل هـو نظـم خـاص بـالنظم العبري والأرامـي، بفواصـل متماثلـة أو متقاربـة، **رباعيـات** أراميـة تصـير **ثنائيـات** فـي العربيـة. ويسمونه عند الأجانب Parallélisme

---

(١) قال الزمخشري : « لا ترى في البيان أدق ولا ألطف من التورية » (الإتقان ٢ : ٨٣).

أي النظم المتوازي. وهو نظم الأنبياء والمزامير والإنجيل. وعليه الشعر العربي باللغة العامية، فإن شعراءَنا ينظمون الشعر بلغة عربية عامية، لكن بنظم أرامي، بسبب البيئة التي ورثوها عن أجدادهم.

وهذا النظم يزيد البيان والبديع في الإنجيل إعجازاً. مثال ذلك :

« طوبى للمساكين ـ روحاً[1] ـ فإن لهم ملكوت السماوات

طوبى للوديعين　　　　فإنهم الأرض يرثون

طوبى للباكين　　　　فإنم يعزون

طوبى للجائعين ـ والعطاش إلى البرّ ـ فإنهم يشبعون

طوبى للراحمين　　　　فإنهم يرحمون

طوبى للطاهرين ـ قلباً ـ　　　　فإنهم الله يعاينون

طوبى للمسالمين　　　　فإنهم أبناء الله يدعون

طوبى للمضطهدين ـ من أجل البرّ ـ فإن لهم ملكوت السماوات »

نلاحظ في النظم فن التصدير، الذي يفتتح النشيد ويختمه بتعبير « ملكوت السماوات » فيغلق عليه فيصير وحدة فنية مستقلة.

كذلك النشيد الذي يليه :

« أنتم ملح الأرض!　　　　إذا فسد الملح فبمَ يصلحونه ؟

إنه لا يصلح لشيء　　　　بل يطرح بعيداً والناس يدوسونه!

---

(١) الكلمات الزائدة في الوسط هي من الإنجيلي في الترجمة، تفسيراً للمعنى، كما يتضح من لوقا.

أنتم نور العالمين! لا تخفى مدينة على جبل

ولا يوقد سراج تحت مكيال بل على منارة ليضيء لأهل المحل))

فليضء نوركم للعالمين ليروا أعمالكم الصالحات

وهكذا فهم يحمدون أباكم الذي في السماوات[١]))

فهذا النظم في الإنجيل يزيد بيانه روعة في فنونه.

والافتنان في البيان من الإعجاز وجمع الفنون البيانية والبديعية، والإنشائية والخطابية، والأسلوبية والتخطيطية، يزيد الإنجيل إعجازاً على إعجاز.

ثم يأتي التعليم في سموه فيزيده كمالاً في إعجازه.

(١) لاحظ ترديد اللازمة في آخر كل مقطع، يجمع الوحدات المستقلة في وحدة فنية شاملة.

الفصْل الرّابع

شهَادَة الإنجيل بحسَب مَتّى

توطئة : إِنه ثلاث شهادات في واحدة

بحث أول : دعوة المسيح في الإنجيل بحسب متى

بحث ثان : الإنجيل ما بين العهد القديم والعهد الجديد

بحث ثالث : الإنجيل ما بين القومية والعالمية

بحث رابع : إنه إنجيل ((مسيحية)) يسوع

بحث خامس : إنه إنجيل ((إلهية)) يسوع المسيح

بحث سادس : إنه ((إنجيل الملكوت))

بحث سابع : إنه إنجيل ((الكنيسة))

القول الفصل : إنه دفاع عن المسيحية، بتاريخ السيرة، وكلام الدعوة

[Blank Page]

توطئة

شهادة ثلاث في واحدة

لقد خُتم الوحي التوراتي عند « الذين أتيناهم الكتاب والحكمة والنبوة » ، بنبؤة دانيال في المسيح « ابن البشر » الآتي على سحاب السماء، ليؤسس على الأرض « ملكوت الله » .

فلمّا ظهر يسوع الناصري اتخذ لنفسه لقب « ابن البشر » وكانت دعوته إلى « ملكوت الله » .

فشهادة الإنجيل بحسب متى أن يسوع الناصري هو « ابن البشر » ، مؤسس « ملكوت الله » على الأرض، في كنيسته.

وشهادته ثلاث في واحدة للرسول والرسالة : إنها شهادة الشاهد العيان، متى الرسول، مع شهادة أمة المسيح، في بيئة المسيح والإنجيل.

*

١ـ إِنه شهادة بيئة المسيح والإنجيل

نقدر أن نسمي الإنجيل بحسب متى : « الإنجيل الفلسطيني » الذي ترجم للمسيحيين من « الأميين » بأسلوب إغريقي لم تذب فيه الأساليب العبرية الأرامية، التي ظلت بادية عليه. فجمع إلى أصالة النقل أصالة الأصل.

فقد رأينا بشهادة علماء المسيحية بالتواتر، أنه كُتب « للمؤمنين من اليهود » ، ومن ورائهم لليهود أنفسهم، ليبين لهم أن يسوع الناصري (٢ : ٢٣) هو

« المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » (١ : ١) وأن كنيسته التي ظهرت وانتشرت بقيامته هي ملكوت الله الموعود، تأليفاً لليهود الكافرين، وتأييداً للنصارى منهم المؤمنين. والبيئة التي تبرز من خلال هذه الشهادة، هي البيئة اليهودية الفلسطينية، قبل الحرب السبعينية، بأمتها ودولتها الهرودوسية الموالية للرومان، وحياتها الدينية المركزة على الهيكل وطقوسه وأعياده، وأحزابها الدينية القومية، وآمالها في الاستقلال المنشود، والاستعلاء المعهود على الأمم كلها على يد المسيح الآتي. وقد إنهار هذا كله، بحسب نبوة المسيح، في الحرب السبعينية : فهذه شهادة ذاتية تؤيد شهادة الكنيسة وعلمائها.

فالإنجيل بحسب متى شهادة صادقة، من بيئته اليهودية الفلسطينية.

٢ـ إنه شاهدة أمة المسيح، وصحابته الذين « كانوا معه »

وهو أيضاً شهادة صادقة من **أمة المسيح في بيئته.** نرى فيه أن ملكوت الله الموعود هو كنيسة المسيح من صحابته المؤمنين به. وهذه الصحابة والتابعين لهم بإحسان حفظوا الإنجيل الشفوي ورتبوه أجزاء متساوية، مفصلة تفصيلاً محكماً، صقلها الترديد والتلاوة، حتى جاءت مصقولة في متى. وينفرد متى في وصف تكوين الكنيسة، وصلاحيات الرسل فيها (١٨: ١٨) وتمييز بطرس بالرئاسة عليهم : فهو وحده « صخرة الكنيسة » (١٦ : ١٨ ـ ١٩) الذي يخصه يسوع بالتفاتته مع المقرّبين ابن زبدى في التجلي والنزاع؛ وأحياناً وحده من دون الجميع، كالمشي على الماء (١٤ : ٢٨ ـ ٣١) ودفع الضريبة للهيكل (١٧ : ٢٤ ـ ٢٧). فهذه الأمة التي عايشت المسيح هي التي تشهد في الإنجيل بحسب متى. **فهو** « **إنجيل الكنيسة** » بكل معنى الكلمة. إنه شهادة أمة المسيح، أكثر من شهادة فرد، شهادة أمة المسيح في بيئة المسيح.

*

٣ـ إنه شهادة شاهد عيان ممتاز

تأتي شهادة بيئة المسيح، وشهادة صحابة المسيح الذين اصطفاهم من تلاميذه «ليكونوا معه ويرسلهم للدعوة» (مرقس ٣ : ١٤)، على لسان وقلم شاهد عيان ممتاز، متى الرسول، الذي هو لاوي العشار، الجابي لحساب رومة، المثقف بثقافة بني قومه، وبثقافة الدولة التي استخدمته عندها. دعاه المسيح فلبى الدعوة في ظروف مثيرة. ورافق المسيح منذ البدء ببصر تلميذ حبيب معجب، وبصيرة عليم خبير يعرف أن يحفظ أحكام الإنجيل وأحداث سيرة المسيح، كما تعود أن يحفظ أسماء المكلّفين بالجزية والخراج، وأرقام جبايتها، وجمع في رفقة المسيح، إلى ثقافته المدنية، ثقافة دينية من الكتاب والإنجيل، يشهد له فيها تطبيق التوراة والأنبياء والمزامير على سيرة المسيح ودعوته. فالإنجيل بحسب متى هو شهادة الشاهد العيان، الصحابي الأليف، والخبير العليم، الصادق الأمين. **إنه الإنجيل بحسب متى الرسول.**

فالإنجيل بحسب متى شهادة فرد ممتاز في أمة، وشهادة أمة في فرد، وشهادة الفرد والأمة في بيئة المسيح.

فشهادته ثلاثة في واحدة.

بحث أول

دعوة المسيح وإعجازها

«وبعدما ألقي يوحنا (المعمدان) في السجن، أتى يسوع إلى الجليل يدعو **بإنجيل الله**. قال : لقد تمّ الزمان! واقترب ملكوت الله! فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » ، أي بهذه البشرى (مرقس ١ : ١٤ ـ ١٥). فالإنجيل «بشرى» بأن زمان ملكوت الله الموعود قد أتى. وملكوت الله هو « إنجيل الله » .

ومتّى يجعل دعوة المسيح في صلة مع دعوة المعمدان؛ فكلاهما يقول : «توبوا : فإن ملكوت السماوات قريب » (متى ٣ : ٢؛ ٤ : ١٧). لكن المعمدان يبشر به؛ بينما المسيح يدعو إليه، ويعلن أن الزمان لحضوره قد تمّ، وأن الإنجيل إعلان بحضوره : «وكان يطوف الجليل كله، يعلم في مجامعهم، ويدعو **بإنجيل الملكوت**؛ ويشفي كل مرض وكل سقم في الشعب ... فتبعته جموع كثيرة من الجليل والمدن العشر (بين عمَّان ودمشق) وأورشليم واليهودية وعبر الأردن. فلما رأى الجموع صعد بهم إلى الجبل. ولمّا جلس، أحاط به تلاميذه، ففتح فاه وجعل يعلّمهم » (متى ٤ : ٢٣؛ ٥ : ١).

فإنجيل الله وإنجيل الملكوت واحد؛ فما هي دعوة المسيح فيه ؟

كان **البلاغ الأول** للمسيح، من على جبل، وعلى رؤوس الأشهاد والجماهير، أن الإنجيل تحرير للمحرومين في الأرض (٥ : ٧ ـ ١٢) ليجعلهم «ملح الأرض» و «نور العالم» (٥ : ١٣ ـ ١٦). وهذا ما نادى به في جامع الناصرة (لوقا

٤ : ١٤ ـ ٢٢)، مستشهداً بتتميم نبوة أَشعيا فيه (أشعيا ٦١ : ١ ـ ٢)؛ وختمها بقوله: «اليوم تمت على مسامعكم هذه الكتابة » !

والبلاغ الثاني أن الإنجيل تكميل التوراة : « لا تظنوا أني أَتيت لأنسخ الشريعة والنبيين! إني لم آتِ لأنسخ بل لأكمل! » (٥ : ١٧). ويقسم خطابه إلى تكميل الشريعة الأصلية في « الكلمات العشر » (٥ : ١٨ ـ ٤٨)؛ ثم تكميل « البرّ » أي أركان الدين والسلوك في الحياة (٦ : ١ ـ ٧ : ١٢). فنرى أن هذا التكميل يقوم على تطوير الدين من حالة العبودية لله بالفطرة، كما في كل دين على الأرض، إلى حالة النبوة «للآب الذي في السماوات » ؛ وعلى تطوير الشريعة من المادية إلى الروحية ومن الظاهرية إلى الباطنية، وعلى جعل المحبة لله وللقريب روح التشريع الإنجيلي.

*

١ـ الكشف الأول في الإنجيل : أبوة الله.

فالجديد في دعوة المسيح هو التركيز على أبوة الله، أَبوة عامة البشر في المسيح، وأبوة خاصة للمسيح نفسه.

فهو يختم ويختصر تكميل الشريعة بقوله : «فأنتم إذن كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل » (٥ : ٤٨).

إنه يوجه أنظار السامعين إلى اعتبار الله أباً لهم في أحكام الشريعة التي ينفذون، وفي أركان الدين الذي يقيمون : «احترزوا أن تصنعوا برّكم قدام الناس لكي ينظروا إليكم، وإلا فلا أجر لكم عند أبيكم الذي في السماوات » (٦ : ١).

فالصدقة تُعمل تجاه الله أبينا : «فإن تصدّقت، فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفية، **وأبوك** الذي يرى في الخفية هو يجازيك » (٦ : ٤).

والصلاة تُوجه إلى الله بصفته أبينا : «وصلِّ إلى **أبيك** في الخفية **وأبوك** الذي يرى في الخفية هو يجازيك» (٦ : ٦).

والصوم هو لله، بصفته أبينا : «لكي لا تظهر للناس صائماً بل **لأبيك** الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك» (٦ : ١٨).

والاهتمام بأمور المعيشة يجب أن يرتكز على عناية الله بنا بصفته أبينا الذي يسهر علينا سهر أب عزيز مقتدر : «فلا تقلقوا قائلين : ماذا نأكل ؟ ماذا نشرب ؟ ماذا نلبس ؟ فهذا كله يطلبه الأميون؛ **وأبوكم السماوي** عالم بأنكم إلى هذا كله محتاجون» (٦ : ٣١ - ٣٢). فالله تعالى يعتني بنا عناية أبوية أفضل من عنايته بطيور السماء «التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى اهراء؛ وأبوكم السماوي يقوتها! أفلستم أنتم أفضل بكثير منها ؟» (٦ : ٢٦)؛ وأفضل من عنايته بزنابق الحقل التي لم يلبس سليمان في مجده كله كواحدة منها (٦ : ٢٩). يكفي، مع السعي المحمود، أن نسأل الله أبانا السؤال المعهود : «فكم بالأحرى **أبوكم السماوي** يمنح الصالحات للسائلين» ! (٧ : ١١).

فما بين أسماء الله الحسنى لا يرى الإنجيل سوى «الأب الذي في السماوات» إنه ميزة دعوته، وهدف رسالته.

والصلاة في كل دين هي روح الدين. والمسيح علم تلاميذه والبشرية «الصلاة الربية» ، **صلاة «أبانا» التي هي «فاتحة»** كل صلاة عند المسيحيين. فلا يوجهها إلى - «الله الأحد، الله الصمد» ، كما عند أهل الكتاب؛ ولا يوجهها إلى «الرحمان الرحيم، رب العالمين، ملك يوم الدين» ، كما عند غيرهم؛ وإنما يوجهها، ويأمر بتوجيهها إلى أبينا الذي في السماوات : «وأنتم فصّلوا هكذا : أبانا الذي في السماوات ...» (٦ : ٩).

الصلاة روح الدين، والصلاة الربية هي روح الدعوة المسيحية. وهذه

الدعوة أن «الله الأحد، الله الصمد» ، «الرحمان الرحيم، رب العالمين، ملك يوم الدين» هو فوق كل هذا «أبونا الذي في السماوات» .

فإنجيل الله، وإنجيل الملكوت، في الكشف الأخير، عند كمال الزمان، وختام النبوة والكتاب، **إن الله «أب»** .

*

ثم يكشف لنا الإنجيل شيئاً فشيئاً **معنى هذه «الأبوة»** في الله.

فنرى أن الله **أب بالتبني** ـ بواسطة المسيح ـ لأبناء البشر الذين يؤمنون به ويحبونه. وأنه **ابن بالذات**، بطريقة كيانية ذاتية، فوق تصوّر المخلوق، «للمسيح ابن الله الحي» (متى ١٦ : ١٦).

فالمخلوقون يصيرون أبناء الله نسبياً، مجازاً، بالتبني؛ أما السيد المسيح فهو «الابن» على الإطلاق، والله الآب بالنسبة إليه هو «الأب» على الإطلاق، في وحدة كيان، ووحدة عمل، ووحدة سلطان، ووحدة علم : «لقد آتاني أبي كل شيء! ولا أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له» (١١ : ٢٧).

لقد تحفظ يسوع في إعلان «مسيحيته» لئلا يستثير الشعب في وجه السلطان الروماني؛ وتحفظ أكثر وأكثر في إعلان «بنوته» الذاتية من الله الآب، في بيئة التوحيد الخالص لإيلافهم واتقاء ثورتهم. لكن لمَّا حان الأوان أعلنهما بصراحة وبدون تحفظ، كما سنرى.

ففي الأسبوع الحاسم الأخير، أيام القول الفصل، أعلن للأمة كلها، للسلطات، والأحزاب الدينية، والشعب المتجمهر من أطراف الوطن، وأشتات المهاجر، للفصح، عيدهم الكبير وحجّهم الأكبر، أنه «ابن داود وربه معاً» (متى ٢ : ٣٥ ـ ٣٧)، أي «المسيح، ابن الله الحي» كما شهد بطرس والرسل منذ سنة.

وفي محاكمة المسيح الدينية، على هذه الدعوة، أمام المجلس اليهودي الأعلى، وبعد فشل التحقيق، استحلفه الحبر الأعظم : « أأنت المسيح، ابن الله ؟ فقال له يسوع : أنت قلت! وأيضاً أقول لكم : إنكم منذ الآن تبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله)، وآتياً على سحاب السماء » ! (متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤). فقد أيّد شهادته بنبؤة دانيال. فقضى الجميع عليه « إنه يستوجب الموت » ! لم يحكموا عليه بالإعدام لادّعائه أنه المسيح، فكثيرون قبله وبعده قالوها وما كفروهم؛ إنما هم كفروه وأعدموه، بسبب دعوته، كما اتضح أخيراً من شهادته لنفسه في المحكمة، إنه « ابن الله » . واستشهد في سبيل شهادته. فأيد الله الشهادة والاستشهاد بقيامة المسيح ورفعه حيّاً إلى السماء، عن يمين الله الآب، على عرش الجلالة.

فالإنجيل هو الكشف والإعلان لأبوة الله، في ذاته، وفي خلقه.

*

أجل لم تكن دعوة الإنجيل لأبوة الله جديدة على الإطلاق.

ففي الدول السامية وأديانها الوثنية كان الإله القومي عندهم بمثابة أب لهم. لكن على **طريق الشرك.** فإله الساميين، « إيل » كان أباً « للبعل » من إلهة صاحبة، بولادة حسية جنسية؛ والملك كان يعتبر ابن الإله القومي. هكذا كان إله سوريا، الإله « حداد » وملك سوريا « ابن حداد » . وهذا كله في مزيج غريب من التوحيد والشرك.

وعند بني إسرائيل، أهل التوحيد الخالص، كان « يهوه » أباً لإسرائيل، وأباً خصوصاً لداود وذريته المالكة على عرشه، وأباً للصالحين منهم؛ لكن بصفته « إله الآلهة » وعلى **سبيل المجاز.** والكتاب كله **تجريد وتنزيه** لمعنى الأبوة في الله، في خالص التوحيد.

فأنبياء الكتاب يُسمّون الملائكة « أبناء الله » (التثنية ٣٢ : ٨؛ مزمور ٢٩ : ١؛ ٨٩ : ٧؛ أَيوب ٢ : ٦). ويسمون الأمراء والقضاة « أبناء الله » (المزمور ٨٢ : ١ و٦). وما ذلك إلاَّ على سبيل المجاز لأنهم أهل التوحيد الخالص. قلْ « **يهوه أحد** » (التثنية ٦ : ٤). فلا حرج أن يقولوا على سبيل المجاز : « أيها الشعب الأحمق، الذي لا حكمة له : أبهذا تكافئ **الله الذي ولدك**، الذي فطرك وأَبدعك » (التثنية ٣٢ : ٦). إن القرائن صريحة، فالله أب لإسرائيل ومليكه على سبيل الخلق. ثم صار أباً لهم خصوصاً على طريق الاصطفاء، في سيناء (الخروج ٤ : ٢٢؛ ٦ : ٦) ـ وتبرز أبوة الله خصوصاً عند الأنبياء (أشعيا ١ : ٢؛ هوشع ١١ : ١ ـ ٤؛ إِرميا ٣ : ١٩ ـ ٢٠؛ ٣١ : ٢٠)؛ وعند أَهل الزبور، الذين يحيون منها في صلاتهم، فأبوة الله عندهم فوق كل أبوة (مز ٢٧ : ١٠؛ ١٠٣ : ١٣). وأشعيا العظيم ينادي بها، عن طريق الخلق (٦٤ : ٧)، وعن طريق الاصطفاء (٤٣ : ١ ـ ٧)، في كامل التنزيه والتجريد، كما سمع الملائكة ينشدون : « قدوس! قدوس! قدوس! » (٦ كله)، وتقديس الله في لغة الكتاب يعني تجريده عن المخلوق وتنزيه على المخلوق.

فأبوة الله في الكتاب قائمة على سبيل المجاز. ونبوة الملائكة والملوك والصالحين منه تعالى هي بنوة مجازية، على ضوء التوحيد الخالص.

وفي مؤلفات الربَّانيين نجد الصيغة نفسها التي استعملها السيد المسيح : « أَبانا الذي في السماوات » .

لكنها أبوة مجازية، قومية، محصورة في إسرائيل، في « قوم أبناء الله » (المزمور ٧٣ : ٥)، على هامش صفات التوحيد والجبروت.

أمَّا دعوة الإنجيل فهي **التركيز على أبوة الله**، فوق كل صفاته، وفي كل أفعاله، من الخلق إلى الاصطفاء، إلى تنزيل الإنجيل، إلى رسالة المسيح.

وهي التركيز على **شمول** أبوة الله، حتى محبة الأعداء : « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين، وينزل الغيث على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥). فأبوة الله تشمل العالمين.

فما كان شركاً عند « الأميين » ، ومجازاً عند أهل الكتاب، صار في المسيح **حقيقة واقعية، بالاشتراك في بنوة المسيح الابن :** « أما جميع الذين قبلوه، فقد آتاهم السلطان أن يصيروا أبناء الله » (يوحنا ١ : ١٢). هذا ما يسميه بولس : « أن يكونوا **مشابهين لصورة ابنه** » (رو ٨ : ٢٩).

لذلك كان أمر المسيح : « لا تدعوا أحداً على الأرض أباً : فإن أباكم واحد وهو الذي في السماوات » (متى ٢٣ : ٩).

هذا هو الكشف الحق عن ذات الله بالنسبة إلى خلقه : إنه أب لهم.

والكشف الأكبر هو أبوة الله في ذاته، لابنه الوحيد، المتأنس في يسوع المسيح. فهو يسمي الله بالنسبة إلى البشر : « أباكم » (متى ٥ : ٤٥؛ ٦ : ١؛ ٧ : ١١)؛ لكن بالنسبة إلى ذاته فهو يقول « أبي » على الافراد والإطلاق (٧ : ٢١؛ ١١ : ٢٧)، ويناديه في صلاته « أبّا » أي « يا أبي » - كما نقول : « بابا » (متى ٢٦ : ٣٩ و٤٢ و٤٤). فهو « الآب » على الإطلاق، والمسيح هو « الابن » على الإطلاق (متى ١١ : ٢٧). ودليل ذلك أن « الابن » له السلطان المطلق في الكون مثل الله الآب، كما أعلن ذلك في دعوته (متى ١١ : ٢٧)، وبعد قيامته : « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض » (٢٨ : ١٨).

فالحقيقة الأولى في الإنجيل أن الله أب، لا على طريق الشرك، ولا على سبيل المجاز فقط، بل في الحقيقة والواقع : في ذاته، ومع خلقه.

ففي خلق الإنسان، خلقه الله بحسب التوراة : « على صورته، كمثاله » ؛ أمَّا في الإنجيل، فعلى « صورة ابنه » ، في وحدة حياته معه.

*

٢ـ **الكشف الثاني** في الإنجيل هو **بنوة الإنسان لله**، في المسيح.

إن أبوة الله للإنسان، بحسب الإنجيل، تجرّ حتماً بنوة الإنسان لله. والجديد في الإنجيل هو التركيز، في علاقة الإنسان بالله، على هذه البنوّة.

أجل إن بنوة الإنسان للإله فكرة ساميّة قديمة. لكنها كانت قومية، مبنية على الشرك : فهي بنوة قوم من إلههم القومي. وكانت تتجسم تلك البنوة القومية الشركية من الإله القومي في ملكهم الذي يصير بالتأليه « ابن الإله فلان » ، وربما بولادة بشرية جنسية.

أما عند بني إسرائيل فقد كان بنوة الإنسان لله، يهوه، مبنية على التوحيد الخالص. فهي **مجازية**. ولكنها تظل **قومية**، محصورة في بني إسرائيل، شعب الله المختار بالاصطفاء والعهد في سيناء (الخروج ٤ : ٢٢؛ هوشع ١١ : ١؛ إرميا ٣ : ١٩؛ الحكمة ١٨ : ١٣) . فجميع إسرائيل أبناء الله، والله أبوهم على سبيل المجاز (التثنية ١٤ : ١؛ المزمور ٧٣ : ١٥)؛ وإسرائيل هو « ابني البكر » (الخروج ٤ : ٢٢؛ ٣٤ : ٦؛ أشعيا ٥٤ : ١٠؛ أرميا ٣١ : ٣٠). فهم ينشدون في الزبور أناشيد الحمد لله أبينا (مز ٣١ : ٤٤؛ ١٤٩ كله).

وهذه البنوة الإسرائيلية من الله تتجلّى خصوصاً، باصطفاء خاص من الله، في داود الملك وذريته المالكة المصطفاة على العالمين. فقد أعلن الله لداود عن ابنه المصطفى: « أصير له أباً، وهو يكون لي ابناً » (٢ صموئيل ٧ : ١٤؛ المزمور ٨٩ : ٢٧).

وفي إعلان هذه البنوة الملكية من الله، نقل الزبور صيغة البابليين في إعلان بنوة ملكهم من إلههم : « أنت ابني! وأنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧). لكن على ضوء التوحيد الخالص. فصار لقب « **ابن داود** » عندهم لقباً ملكيّاً إلهيّاً. وبما أن المسيح الموعود هو « ابن داود » ، فصار أيضاً لقب « ابن داود » كناية عن

المسيح، كما في المزمور (٢ : ٧). بهذه الصفة يراه أشعيا النبي في مولد « عمانوئيل » (٧: ١٤؛ ٩ : ١).

والإنجيل يؤكد أولاً بنوة المسيح الشخصية **الذاتية** من الله الآب، كما سنرى في بحث لاحق.

ثم يؤكد البنوة الإنسانية الشاملة **المعنوية**، في المسيح، لله تعالى.

فهو يعلم البشرية جمعاء أن تسمّى الله في صلاتها : « أبانا الذي في السماوات » .

وعلى أساس هذه البنوة الإنسانية الشاملة من الله، يجب أن يعامل الناس بعضهم بعضاً حتى مع الأشرار والظالمين منهم : « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات، فإنه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين، وينزل الغيث على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥).

فلا قومية في هذه البنوة! ولا تمييز بين الصالحين والظالمين في الحق عليها، إلاَّ إذا أصروا على ظلمهم حتى النهاية، حينئذ تتحول النعمة إلى لعنة (متى ٢٥ : ٤١).

وتأخذ بنوة الإنسان من الله الآب كل معناها في المسيح. فما خلق الله الإنسان إلاَّ لهذه البنوة : « والذين سبق فعرفهم، سبق أيضاً فحدّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه » (رو ٨ : ٢٩). ويتم ذلك بالإيمان : « أمّا جميع الذين قبلوه فآتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، بالإيمان باسمه » (يوحنا ١ : ١٢).

بهذا الإيمان ونعمته يشترك الإنسان في حياة الله بالمسيح : « وأنا إنما أتيت لكي تكون لهم الحياة، وتكون لهم بوفرة » (يوحنا ١٠ : ١٠)، « فكما أن الآب الذي أرسلني هو الحي وأنا أحيا بالآب، فالذي يأكلني (بالإيمان والقربان) يحيا هو أيضاً بي » (يوحنا ٦ : ٥٧).

فالمسيح هو الذي نزل إلينا بالبنوة الإنسانية الحقة من الله. والإنجيل هو إعلان هذه البنوة الإنسانية الشاملة لله في المسيح.

إنه هو « الابن » على الإطلاق؛ وبتجسده واستشهاده الفدائي، وقربانه الحي؛ يشركنا ـ من دون شرك ـ حقيقة لا مجازاً فقط، كما في العهد القديم، ببنوته، وبالتالي في حياه من الله الآب، ولله الآب.

وعلى هذه البنوة الإنسانية لله تعالى، في المسيح، طوَّر الإنجيل الدين كله من علاقة عبد بربه، إلى علاقة ابن بأبيه السماوي.

*

٢ـ الكشف الثالث في الإنجيل هو **الأخوة الإنسانية**

والجديد في الإنجيل هو أيضاً التركيز على الأخوة **الإنسانية**، وبنائها على **شرعة المحبة.**

كل الديانات تقول : « إنما المؤمنون أخوة » **!** لكنها تنقل الأخوة **من القومية إلى الدين،** وتحصرها في أهل الدين الواحد، لا تتعداهم إلى سواهم. فيظل الغريب عن الدين عدواً في الدين لا تصح موالاته.

والعهد القديم بني الأخوة الدينية على شرعة المحبة : « أحبب قريبك كنفسك » (التثنية ٦ : ٤ ـ ٦). لكن هذا القريب كان الأخ في القومية والدين.

فجاء الإنجيل وجعل الأخوة الإنسانية، في المسيحية، مطلقة شاملة، وبناها على شرعة المحبة السامية الكاملة، في تقويمات سبعة.

أول تقويم لعقيدة الأخوة الإنسانية، وشرعة المحبة الأخوية، كان في معنى « القريب » الذي يجب أن نحبه. فالقريب، بحسب الإنجيل، هو كل إنسان، حتى عدوّ القومية والدين، كما شرع في « مثل السامري » ، الذي هو بالنسبة إلى اليهودي عدو الدين والقومية.

ومنذ الشرعة التأسيسية على الجبل، يقول السيد المسيح : « سمعتم أنه قيل :

أحبب قريبك! وابغض عدوك! أما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم، وصلّوا لأجل مضطهديكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات » (متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٥).

والتقويم الثاني هو بناء الأخوة الإنسانية، لا على القومية أو الدين، بل على المحبة الشاملة : إن الوصية الأولى والعظمى هي محبة الله، أبينا السماوي، والثانية التي تشبهها هي: أحبب قريبك كنفسك! على هاتين الوصيتين تقوم الشريعة والنبيون » (متى ٢٢ : ٣٧ ـ ٣٩). فشرعة المحبة هي روح الأخوة الشاملة. وإعجاز الإنجيل أنه جعل محبة الإنسان من محبة الله، لا تقوم إحداهما بدون أخرى. هذا هو المبدأ المسيحي الأساسي.

والتقويم الثالث في قوله : « على هاتين الوصيتين تقوم الشريعة والنبيون » . فقد جعل المحبة لله والقريب روح التشريع في الإنجيل، وروح السلوك المفروض في الحياة. فلم يكتف الإنجيل بتطوير العدل إلى الرحمة، بل بتطوير الرحمة إلى المحبة. فطوَّر الشريعة الموسوية من العدل إلى الرحمة، ومن القصاص إلى السماح : « سمعتم نه قيل : عين بعين! وسن بسن! أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرير! بل من لطمك على خدّك الأيمن، فقدّم له الآخر أيضاً » (متى ٥ : ٣٨ ـ ٣٩) إن اللطف أفعل من العنف في كسب الخصم! وذلك مثل قوله : « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة : ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، أمثال هؤلاء « يدرأون بالحسنة السيئة » . وربط المسيح معاملة الله لنا بمعاملتنا لقريبنا حتى في ظلمه لنا : « فإنكم إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم؛ ولكن إن لم تغفروا للناس زلاتهم، فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ ـ ١٥). ويستعمل كلمة « الناس » ، لا « القريب » للدلالة على شمول المسامحة.

والتقويم الرابع هو نقل « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » من المفروض

إلى المرغوب. فجعل حساب اليوم الآخر ليس فقط على الأحكام المفروضة في معاملة الناس، بل على إهمال الإحسان لأهله : « حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا، يا مباركي أبي، رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم : لأني جعت فأطعمتموني! وعطشت فسقيتموني! وتغربت فآويتموني! وعريت فكسوتموني! ومرضت فعدتموني! وحُبست فأتيتم إليّ! ... الحق أقول لكم : إن كل ما صنعتموه إلى واحد من هؤلاء، إلى أصغرهم، فإليَّ قد صنعتموه » (متى ٢٥ : ٣٤ ـ ٤٠).

والتقويم الخامس، في هذا المبدإ نفسه : المعاملة مع الناس هي معاملة مع الله.

والتقويم السادس هو جعل الله في معاملته الناس مثالاً للناس في معاملة بعضهم بعضاً: « لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات : فإنه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين، ويُنزل الغيث على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥).

والتقويم السابع، في شرعة : « أحبب قريب كنفسك » . إن المسيح حمل المحبة الأخوية الإنسانية إلى حد التضحية بالذات، على مثال محبة المسيح وتضحيته بالاستشهاد : « أعطيكم وصية جديدة : أن يحب بعضكم بعضاً؛ وان يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا » (يوحنا ٣ : ٣٤)؛ « هذه هي وصيتي : أن يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا! ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل حياته عن أحبائه » (يوحنا ١٥ : ١٣). وذلك لأن **المبدأ العام** في نظرتنا إلى أخينا الإنسان هو : « إن كل مَن يعمل مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي » (متى ١٢ : ٥٠). بهذا المبدإ المزدوج تخطى الإنجيل كل القيود والحدود إلى الأخوة المسيحية الإنسانية المطلقة الشاملة.

هذا هو دين البنوة والمحبة، في دعوة المسيح.

*

فالدعوة لأبوة الله للإنسان، ولبنوة الإنسان من الله، في المسيح يسوع؛ ولأخوة الإنسان للإنسان فوق القوميات والمذاهب؛ ولشرعة المحبة لله والقريب، الإنسان كله، هي جوهر الدعوة المسيحية، ومحور الإنجيل، الذي جدّد الدين كله، في « عهد التجديد » ، فنقله من علاقة عبد بربه، إلى علاقة ابن بأبيه السماوي، كما أوجزه بولس في قوله : « لما بلغ ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ـ مولوداً تحت الشريعة، ليفتدي الذين تحت الشريعة ـ وننال التبنّي. والدليل على انكم أبناء، كون الله أرسل إلى قلوبنا روح ابنه ليصرخ فيها : « أبّـا » أي يا أبي. فأنت إذن **لست بعد عبداً**، بل أنت ابن! وإذ أنت ابن فأنت أيضاً وريث الله » (غلا ٤ : ٤ ـ ٧)؛ « والذين قبلوه آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله » (يوحنا ١ : ١٢).

هذا هو إعجاز الإنجيل في التعليم، على كل دين. فكل دين يترك الإنسان على فطرته، في حال عبوديته لله تعالى؛ ودين المسيح وحده ينقل الإنسان من حالة عبد إلى حالة ابن، في المسيح، في علاقته بأبيه السماوي. وبما أن الصلاة روح الدين « فأنتم صلوا هكذا (منفردين ومجتمعين) :

« أبانـا الـذي في السماوات » (متى ٥ : ٩)

هذا هو « إنجيل الله » ، وهذا هو « ملكوت السماوات »

*

بحث ثانٍ

الإنجيل ما بين العهد القديم والعهد الجديد

نزل الإنجيل في البيئة الإسرائيلية، المبنية على التوحيد التوراتي والشريعة الموسوية. وما كان دور الأنبياء، بعد موسى، سوى تذكير الشعب بضرورة إقامة التوحيد والشريعة، وإذكاء إيمانه بالمسيح الموعود، والرجاء بملكوت الله الآتي معه.

فماذا كان موقف المسيح في دعوته من هذا العهد القديم كله ؟

في خطبته الأولى التأسيسية على الجبل يعلن **هذا المبدأ العام** على رؤوس الإشهاد والجماهير: « لا تظنوا أني أتيت لأنسخ التوراة والنبيين! إِني لم آت لأنسخ بل لأكمل » (متى ٥ : ١٧). هذا هو موقف الإنجيل من الكتاب. فالإنجيل هو تكميل الكتاب :

١ـ في التوحيد

إن فاتحة بني إسرائيل في صلاتهم « الثماني عشرة » دعاءً، التوحيد بحرفه التوراتي: « الله أحد » (التثنية ٦ : ٤) والنبوي، على لسان أشعيا : « الله الصمد » . على هذه الصلاة نشأ يسوع، وصلّى هذه الصلاة في كل السبوت، أثناء دعوته. ولمّا سئل عن أعظم وصية في الشريعة، أجاب بصلاة الفاتحة

المأخوذة عن التوراة : « الأولى هي : « اسمع يا إسرائيل : إن الله إلهنا هو الله أحد » (مرقس ١٢ : ٢٩).

فالتوحيد الإنجيلي هو التوحيد التوراتي بحرفه.

والتكميل الذي جاءَ به الإنجيل هو الأبوة الذاتية في الله، والبنوة الذاتية في الله، والبنوة الذاتية فيه، والروحية الذاتية فيه : ذات واحدة، بصفات ذاتية ثلاث تجعل الله الأحد، الأب والابن والروح القدس؛ بكشف شخصي في المسيح، لحياة الحي القيوم في ذاته. هذا هو تكميل التوحيد في الإنجيل : لا نسخ فيه، ولا تبديل، بل تكميل.

على كل حال، لا يذكر المسيح في مبدإِ التكميل التوحيد التوراتي، لأنه الحقيقة الخالدة.

٢ ـ في الشريعة

إن المسيح يذكر مبدأ التكميل، ويطبقه، بالنسبة إلى الشريعة الموسوية (متى ٥ : ٢١ ـ ٤٧) ولأركان الدين أي « البِرّ » (٦ : ١ ـ ٧ : ١٢).

بالنسبة إلى الشريعة يطبق الإنجيل مبدأ التكميل على وصايا الله العشر، أو ما تسميه التوراة « الكلمات العشر » ؛ وهي التنزيل الموسوي على لوحين من حجر، في سيناء؛ فينقلها من المادية إلى الروحية، ومن الظاهر إلى الباطنية، ومن العبودية إلى حرية أبناء الله.

وبما أن شرعة المحبة لله والقريب هي الناحية من شرعة سيناء الحجرية، والتي يعتبرها السيد المسيح قوام الشريعة والنبيين (متى ٢٢ : ٤٠)، كمّلها الإنجيل بنقل المحبة من القومية والدين إلى العالمية، حتى عدو الدين والقومية (متى ٥ : ٤٣ ـ ٤٧)، وجعل نفسه في استشهاده مثالاً لها.

فيظهر أن الإنجيل يحصر الشريعة الموسوية الأساسية، سلباً في الكلمات العشر، وإيجاباً في شرعة المحبة لله والقريب. **وشريعة سيناء هذه لم ينسخها الإنجيل** ـ وهل ينسخ شرعة الطبيعة التي كونها الله ؟ ـ بل أبلغها إلى كمالها، بتطويرها من المادية إلى الروحية، ومن الظاهر إلى الباطنية، ومن الحسية إلى النية؛ كأنه يقول : إنما الأحكام والأعمال بالنيات.

وهذا هو الأساس الذي يفصل في الخلاف الأكبر الظاهري الذي نراه بين الإنجيل، وبين بولس وابلّس ويوحنا الذين يدعون إلى نسخ الشريعة.

٣ـ في « البرّ » أو أركان الدين

أركان الدين خمسة : الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج إلى الهيكل، بيت الله، و « البرّ » هو إقامتها.

فالإنجيل يعتمدها أيضاً أركاناً للدين؛ فلا ينسخها؛ بل يكمّلها. رأينا تكميل الشهادة للتوحيد، بالتثليث المسيحي في التوحيد الخالص الذي يكشف لنا عن حياة الحي القيوم في ذاته.

والتكميل في الصلاة والصدقة والصوم هو تطويرها من الأعمال المادية والطقوس الخارجية، إلى الروحية والنية البنوية. يجب أن نقوم بها تجاه الله بصفته أبينا الذي في السماوات، ولوجهه الكريم. ويسوع يركّز التكميل على هذه الخاتمة المتواترة : « وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك » (متى ٦ : ٤ و٦ و١٨).

ولا يذكر الإنجيل شرعة الحج إلى هيكل أورشليم، لأنها دليل القومية في الدين. وفي حديث المسيح مع السامرية تعديل لتشريع التوراة : « إن الساعة آتية، فيها تعبدون الآب، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم ... إن الله روح،

والذين يعيدونه، فبالروح والحق ينبغي أن يعبدوه » (يوحنا ٤ : ٢٠ ـ ٢٤). إن عالمية الدعوة المسيحية غير مرهونة بزمان ومكان.

٤ ـ في التشريع الاجتماعي

في التشريع الاجتماعي كان التكميل الإنجيلي رجوعاً، من فوق الشريعة الموسوية، إلى الأصول الإلهية التي وضعها الله للدين.

كانت الموسوية ديناً ودولة في قومية واحدة. فأعلن المسيح أولاً تمييز الدين عن الدولة: « أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » (متى ٢٢ : ٢١) فلا دولة في الدين، والدين لكل دولة. ثم أعلن أنه لا قومية للدين، فهو فوق كل قومية، ولكل قومية : « اذهبوا في العالم أجمع، وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥)؛ « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (متى ٢٨ : ١٩).

في الزواج كان الطلاق مباحاً وتعدد الزوجات مباحاً، وكلاهما بلا حد. فأعلن المسيح وحدة الزواج، ومنع الطلاق على الإطلاق؛ وحرَّم الفراق إلاّ في حالة الزنى. ونادى بالرجوع إلى أساس الخلق : « في البدء لم يكن الأمر هكذا ... فما جمعه الله لا يفرقه إنسان » (متى ١٩ : ١ ـ ١٢).

وكانت للشريعة أحكامٌ في الميراث. وبما أن الميراث تابع لتطور البشرية، فلم يشأ المسيح الحكم فيه على أحكام جامدة (لوقا ١٢ : ١٤)، فجعل قضية الميراث من الشرع المدني الذي يتكيف مع الأيام، لا من الشرع الديني الذي لا تبديل فيه.

٥ـ في السُنّة اليهودية

أقام فقهاء اليهود السُنّة من عندهم، مع الكتاب من عند الله. وكان أهل السنة يسمون الكتاب : « القرآن » ، بالعبرية « مِقرا » ، وبالأرامية « قريانا » أي

قرآن الكتاب. ويسمون السنّة : « الفرقان، بالعبرية « فرقى » ، وبالأرامية « فرقانا » أي فرقان الكتاب أو تفسيره. ثم انقسموا أيام المسيح إلى ثلاث مدارس : الصدوقية، والفريسية، والأسينية التي نعرفها اليوم من مخطوطات قمران. وقد ذكر المدارس الثلاث المؤرخ اليهودي يوسيف. كان الصدوقيون يقولون بالكتاب من دونه السنّة؛ والفريسيون بالكتاب والسنّة؛ وكان للاسينيين كهنوتهم وسنّتهم على خلاف مع الفريقين.

فكان موقف المسيح من السنّة جازماً وصريحاً، مع احترام علم العلماء في الكتاب حتى في حملته عليهم (متى ٢٣)

وقع الجدال بين المسيح وأهل السنّة من اليهود أي الفريسيين وعلمائهم « الكتبة » أي الفقهاء **مراراً** : في الصوم غير المفروض في الشريعة (متى ٩ : ١٤ ـ ١٧)، في قطف سنبل يوم السبت للأكل عند الحاجة إليه (متى ١٢ : ١ – ٧)، في الامتناع من غسل الأيدي قبل تناول الطعام (متى ١٥ : ١ ـ ٩). حينئذٍ اغتنم المسيح الفرصة وأعلن لهم أن **سنّتهم « وصايا الناس » والكتاب « وصايا الله »** ، مستشهداً بقول أشعيا النبي : « إنهم يعبدونني باطلاً، إذ إنهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس » (٩ : ٨). فقد تفسّر السُنّة الكتاب ولكن لا تنسخه، ولا تقوم مقامه.

وفي حملة المسيح الأخيرة على الفريسيين أخصام الدعوة المسيحية، « عندئذ كلّم يسوع الجموع وتلاميذه، قال : لقد جلس الكتبة والفريسيون على كرسي موسى : **مهما قالوا لكم فاعملوا به، واحفظوه!** لكن لا تسلكوا بحسب أعمالهم : فإنهم يقولون ولا يفعلون! يحزمون أحمالاً ثقيلة، ويضعونها على أكتاف الناس، ولا يريدون هم أن يحرّكوها بإحدى أصابعهم » (متى ٢٤ : ١ ـ ٤). وفي هذا النطق الكريم تلقين لكل سلطة : أن تيسّر ولا تعسّر في أحكام الدين؛ وأن لا تحمّل شعب الله « أحمالاً ثقيلة » من السنّة. وحتى في هذه الحالة يدعو المسيح إلى احترام السلطة : « مهما قالوا لكم فاعملوا به واحفظوه » .

فلم ينسخ المسيح السنّة، لكنه ألزمها حدَّها : إنها ((وصايا الناس)) تجاه الكتاب، ((وصايا الله)) .

٦ ـ في ملكوت الله

اقترن ملكوت الله الموعود بمجيء المسيح ابن داود الموعود. وبعد سقوط دولة بني داود وجلاء بابل، تركّز أمل الأمة المنشود على ملكوت الله الآتي. وأنبياء الجلاء، خصوصاً أشعيا الثاني، أخذوا يصفون ملكوت الله الموعود وصفاً ينعش الأمل في الأمة. أخيراً جاء دانيال ووصف قيام ملكوت الله على أنقاض ممالك العالم. فتوهم الشعب وعلماؤه أن ملكوت الله، بالمسيح الموعود، **ملكوت أرضي قومي** به يسود إسرائيل العالم.

ولما ظهر المسيح كان الاستعمار الروماني جاثماً على قلب إسرائيل بقضّه وقضيضه. وكانت الحركات التحررية تُصفّى بالسيف والدم. فوُجد المسيح بين نارين في إعلان ملكوت الله الحق : نار بني قومه الذين شوّهوا معنى ملكوت الله، ونار الرومان المستعمرين الذين يرون في كل حركة دينية إسرائيلية مقاومة لقيصر.

فأعلن حضور ملكوت الله، برهاناً على ((مسيحيته)) . لكنه فصّل معناه الحقيقي **بأمثال** تقرب المعنى، ولا تستثير الشعب أو السلطة الحاكمة. وسنرى أوصاف ملكوت الله بحسب الإنجيل، وتكميل الإنجيل للكتاب في هذا الموضوع.

٧ـ في المسيح الموعود

تدرّج يسوع في إعلان ((مسيحيته)) للشعب، تحفظاً من استثارتهم. وإن كان يعلنها للخاصة من حين إلى حين. ولم يكن مخطئاً في نظرته إلى شعبه. فإنهم عندما تحققوا أنه المسيح، حاولوا أن يخطفوه و ((يجعلوه ملكاً عليهم))

فاضطر رسله أن يسبقوه إلى الضفة الأخرى من البحيرة (متى ١٤ : ٢٢ ـ ٢٣)، « واعتزل في الجبل وحده » ليصلي (يوحنا ٦ : ١٥).

كان يسوع هو المسيح الموعود، لكنه لم يكن المسيح القومي السياسي الذي يتوهمون. وكان المسيح المشهود أكبر في الحقيقة من الموعود : إنه « المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦: ١٦). وسنرى أوصاف المسيح في عرْف الإنجيل، وتكميل الإنجيل للكتاب في هذا الموضوع.

*

هذا هو الإنجيل ما بين العهد القديم والعهد الجديد : ليس الإنجيل **نسخاً** للكتاب، الشريعة والنبيين؛ لكن « **تكميلاً** » له، بحسب تعبير المسيح نفسه.

والمشكل الأكبر أن بولس الرسول يعلن **توريةً نسخ الشريعة بالإنجيل :** « فلِمَ الشريعة إذن ؟ إنها إنما أُضيفت بسبب المعاصي حتى مجيء « النسل » الموعود ... **فالشريعة إذن كانت المربي لنا** الذي يرشدنا إلى المسيح، لكي نبرّر بالإيمان : فبعد إذ جاء الإيمان لسنا بعد تحت مُربٍّ » ، بحاجة إليه! (غلا ٣ : ١٩ و٢٢).

وابلّس، في الرسالة إلى العبرانيين، يجعل النسخ شاملاً لمؤسسات العهد القديم كلها، استناداً إلى نبوءة أرميا (٣١ : ٣١ و٣٤)، ويستنتج : « فبقوله : « عهداً جديداً » أعلن الأول عتيقاً؛ والحال أن ما عتق وشاخ هو على شفا الزوال » (عبر ٨ : ٦ ـ ١٣). ويفلسف نسخ العهد القديم بتغيير الكهنوت، من الكهنوت اللاوي إلى الكهنوت المسيحي على طريقة ملكي صادق : « **إن تحوّل الكهنوت يجرّ حتماً تحوّل الشريعة** » (عبر ٧ : ١٢).

ويوحنا الرسول يقارن بين الشريعة والإنجيل، فيقول : « إن الشريعة أنزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » (١ : ١٧). فالنعمة والحقيقة تكميل وتبديل للشريعة الموسوية، وتسامٍ يغني عنها.

فهل من تعارض بين موقف المسيح في الإنجيل، وموقف رسله في تفصيل الإنجيل ؟

نرى من تطبيق يسوع مبدأ التكميل على الشريعة، أنه **حصر الشريعة في « الكلمات العشر »** التي نزلت على موسى في سيناء، كما فهمتها التوراة نفسها : « وأقام (موسى) هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلة، لم يأكل ولم يشرب ماء، فتكب على اللوحين كلام العهد « الكلمات العشر » (الخروج ٣٤ : ٢٨)؛ « فكلمكم الرب من وسط النار ... وأنبأكم بعهده الذي أمركم أن تعملوا به، الكلمات العشر، التي كتبها على لوحين من حجر، وأمرني الرب في ذلك الوقت بأن أعلمكم رسوماً وأحكاماً تعملون بها في الأرض التي أنتم سائرون إليها لترثوها » (التثنية ٤ : ١٢ ـ ١٣) : فموسى نفسه يميّز بين المنزل عليه، وبين المفوّض بتعليمه : « انظروا أني قد علمتكم رسوماً وأحكاماً كما أمرني الرب إلهي لتعملوا بها في الأرض التي أنتم صائرون إليها لترثوها » (التثنية ٤: ٥). فالشريعة المنزلة هي « الكلمات العشر » ، وسائر الرسوم والأحكام موحاة لموسى باسم الرب: « في ذلك الوقت قال لي الرب: انحت لك لوحين من حجر كالأولين، واصعد إليَّ إلى الجبل؛ واصنع لك تابوتاً من خشب؛ فأكتُبَ على اللوحين الكلمات التي كان على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما، وضعْهما في التابوت. فصنعت تابوتاً من خشب الصنت ونحتّ لوحين من حجر كالأولين، وصعدت الجبل واللوحان في يدي. فكَتَبَ عليهما كالكتابة الأولى، **الكلمات العشر التي كلمكم الرب بها** في الجبل في وسط النار، يوم الاجتماع ودفعهما الرب إليّ » (التثنية ١٠ : ١ ـ ٥).

فالإنجيل يكمّل الكلمات العشر المنزلة في سيناء؛ ولا يذكر سائر أحكام التوراة. فالنسخ والتكميل مذكوران بالنسبة إلى شريعة سيناء المنزلة لا بالنسبة إلى سائر الأحكام.

بناءً عليه، عندما يقول رسل المسيح بأن الإنجيل نسخ الشريعة، فهم يقصدون سائر الأحكام ما عدا الكلمات العشر التي كملها المسيح، مع أركان الدين، وأعمال « البر » .

فليس من تعارض بين المسيح ورسله، وبين الإنجيل والرسائل. وما نسخوا الشريعة المنزلة بل صدقوها وكمّلوها وفصلوها.

وهذا **التكميل** يسميه يسوع **التجديد :** « عهد التجديد » (متى ١٩ : ٢٨) في « العهد الجديد » (متى ٢٦ : ٢٨؛ مرقس ١٤ : ٢٤؛ لوقا ٢٢ : ٢٠). فالعهد الجديد بالمسيح هو تكميل وتجديد للعهد القديم، بخلقه جديداً كاملاً في الإنجيل. ورسل المسيح هم مثل « الكاتب المتتلمذ لملكوت السماوات الذي يشبه سيد بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاً » (متى ١٣: ٥٢).

هذا هو موقف الإنجيل من الشريعة والعهد القديم.

بحث ثالث

الإنجيل ما بين القومية والعالمية

يظهر في الإنجيل بحسب متى **مسحة من القومية** على دعوة السيد المسيح في مواقفه. جاءَ مرة إلى تخوم صور وصيدا، فجاءَته كنعانية تسترحم شفاء ابنتها. فتظاهر بعدم الاكتراث بها. فلفت نظره تلاميذه فقال لهم : « إني لم أرسل إلاَّ للخراف الضالة من بيت إسرائيل! إلاَّ أنها أتت وسجدت له؛ قالت : يا سيدي أغثني! فأجاب وقال : لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين ويُلقى لصغار الكلاب! » (متى ١٥ : ٢٤ ـ ٢٥). والكلاب، في لغة اليهود، كناية عن « الأميين » . لكن المرأة بإيمانها العظيم كسبت عطف المسيح والمعجزة المطلوبة. فهل حصر المسيح دعوته بهذه المناسبة ببني قومه، فأرادها دعوة قومية ؟ فظروف الحادث تدل على أن كلمة المسيح نسبية عابرة، لا مطلقة.

ولما أرسل رسله في بعثة تدريبيّة على الرسالة المسيحية أوصاهم : « لا تذهبوا إلى الوثنيين! ولا تدخلوا مدينة للسامريين! بل انطلقوا بالحري إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل » (١٠ : ٥). فهل حصر المسيح دعوة رسله، في هذه المناسبة الثانية، ببني قومه ؟ ـ فظروف البعثة التدريبية تدل على أنها عابرة للمناسبة، لا مطلقة.

يخطأ من يأخذ هذين الموقفين **على الإطلاق**، فيصم دعوة المسيح بالقومية؛ ودلائل **النسبية** فيهما تنبع منهما، كما تدل عليها قرائن الإنجيل كلها.

لا شك أن بني إسرائيل هم أهل دعوة المسيح الأوَل، تنفيذاً للعهود الإلهية لهم والمواعيد الكتابية. ولكن سياسة الله في نقل ملكوته من أمة إلى أمة، وسياسة مسيحِهِ في إقامة العهد الجديد على آثار العهد القديم تدلاًّن بلا ريب على أن قومية الرسالة المسيحية لم تكن إلاَّ توطئة ومنطلقاً لعالمية الدعوة المسيحية : إنها خطة تحرير المسيحية من الموسوية واليهودية بالتدريج حتى الإعلان الأخير.

والإنجيل بحسب متى، الذي أظهر أكثر من الكل ناحية القومية في دعوة يسوع، هو الذي أبرز ناحيتها العالمية أكثر من الكل أيضاً.

فمنذ الفاتحة (متى ١ : ١ ـ ١٧) في نسب يسوع، لا يذكر من النساء إلاَّ الأجنبيات: تامار وراحاب وراعوت وبيتشابع التي كانت لأوريا الحثي.

وحده متى يذكر زيارة المجوس « للمولود ملك اليهود » تتميماً لنبوءة بلعام، فكانوا، بعد رعيان بيت لحم، أول المؤمنين والساجدين (٢ : ١ ـ ١٢).

ودعوة يسوع الأولى كانت في « جليل الأمم » (متى ٤ : ١٥)، بحسب نبوءة أشعيا (٨ : ٢٣ ـ ٩ : ١) ـ حيث يكثر الوثنيون ويقدرون أن يسمعوا الدعوة وينتفعوا بها. وينقل يوحنا أن معجزة يسوع الثانية كانت شفاء ابن « ضابط ملكي » ، قائد الحامية الرومانية في كفرناحوم : « فآمن هو وذووه جميعاً » (يوحنا ٤ : ٤٦ ـ ٥٣).

ويسوع، الذي في تدبير حكيم موقت، يمنع رسله من الدعوة بين السامريين لقلة خبرتهم في الدعوة والرسالة (متى ١٠ : ١٥)، كأن هو أول مَن تحرّش بالسامريين، مع سامرية عند بئر يعقوب، في طريقه من اليهودية إلى الجليل، وأقام في مدينتهم يومين حتى آمنوا به (يوحنا ٤ : ١ ـ ٢).

ومنذ خطبته الأولى التأسيسية على الجبل، يصف تلاميذه أنهم « نور العالم » و « ملح الأرض » (متى ٥ : ١٣ و١٥) فلا يحصر دعوته ودعوتهم في إسرائيل.

وبعد هذه الشرعة التأسيسية، رجع إلى كفرناحوم، فكانت أول معجزة له فيها شفاء ابن قائد مئة أجنبي، أثنى يسوع على إيمانه وأعطاه مثلاً لبني إسرائيل : « الحق الحق أقول لكم: إني لم أجد عند أحد في إسرائيل مثل هذا الإيمان » ! حينئذ يتنبأ عن إيمان الوثنيين بالمسيحية: « وأنا أقول لكم : إن كثيرين يأتون من المشرق والمغرب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات! أمَّا أبناء الملكوت فيلقون في الظلمة الخارجية! وهناك يكون البكاء وصريف الأسنان » ! (متى ٨ : ٥ ـ ١٣). فقد كان ضباط الرومان في كفرناحوم أسرع إلى الإيمان من أهل الإيمان. ومنذ مطلع دعوته في إسرائيل كان يسوع يتوجه إلى الأمميين المقيمين في الجليل، ويعرف خاتمة رسالته المحتومة : كفر أهل الكتاب به، وإيمان الأميين به، الذين سينتقل الملكوت إليهم.

وبعد بعثة الرسل التدريبية التي يمنعهم فيها من دخول مدن السامريين (متى ١٠ : ١٥)، **لقلة خبرتهم بعد في الدعوة والرسالة**، يكشف المسيح، في يوم مشهود، بالأمثال، عن طبيعة ملكوت الله الذي يبشر به ويؤسسه. وفي هذه الأمثال لسرّ الملكوت يكشف المسيح بجلاء **عن عالمية دعوته في إسرائيل**، بمثل زؤان الحقل : « الذي يزرع الزرع الجيد هو ابن البشر. **والحقل هو العالم.** والزرع الجيد بنو الملكوت. والزؤان بنو الشرير : والعدو الذي زرعه هو الشيطان. والحصاد منتهى الدهر. والحصادون هم الملائكة » (متى ١٣ : ٦ ـ ٤٣). فحقل الدعوة المسيحية **هو العالم كله :** فليس ملكوت الله الذي يدعو إليه المسيح محصوراً بإسرائيل، وليست دعوته قومية.

لذلك لما انتقل يسوع في دعوته إلى تخوم صور وصيدا، وتظاهر بمعاملة **الكنعانية** بلهجة اليهود المتعصبين، فإنما كان ذلك منه **خطة بارعة لإظهار** « إيمانها العظيم » وإعطائه مثلاً لبني إسرائيل الجاحدين (متى ١٥ : ٢١ ـ ٢٨)، وليس لحصر دعوته في بني قومه. وما خطة يسوع، في السنة الثانية من دعوته، **بكثرة الرحلات** شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، إلاّ للسماح لغير اليهود بسماع

دعوته، ورؤية طلعته البهية، إيلافاً لهم، وإيناساً لإيمانهم به وبدعوته. وما دخول الناس أفواجاً في دين الله، عند دعوة الرسل، سوى نتيجة محتومة لما أثارته رحلات يسوع إلى مناطقهم.

وفي تعليم الرسل والناس صلاة « أبانا » ، علمهم أن يسألوا الآب السماوي : « ليأت ملكوتك ... على الأرض، كما في السماء » ، للترسيخ في نفوس الجميع إن ملكوت الله عالمي لا قومي، ودعوة المسيح عالمية لا قومية.

وعندما يكلّم تلاميذه والجماهير عن « **عهد التجديد** » الذي يدعو إليه (متى ١٩ : ٨) يوجز لهم مصير الملكوت بهذا المبدإِ : « وكثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون يكونون أولين » (متى ١٩ : ٣٠)؛ ويفسره لهم بمثل العملة المرسلين إلى كرم الرب (متى ٢٠ : ١ - ١٦) فيظهر منه أن بني إسرائيل، أبناء الملكوت الأولين سيكونون آخرين في الدخول إليه، وآخرون غيرهم من الأمم يكونون أول الداخلين. فليس من لحظة من لحظات دعوته، يقصر المسيح دعوته على بني قومه، فعالمية دعوته تظهر في كل مواقفه وفي كل مشاهدها.

ويأتي الأسبوع الحاسم في دعوة المسيح، فيظهر علناً على مرأى ومسمع من السلطات اليهودية والرومانية أنه المسيح، ابن داود، بدخول أورشليم، يوم الشعانين، دخول الفاتحين. حينئذ يتطور الصراع الحاسم إلى نهايته المحتومة.

فيمثّل لتلاميذه مصير إسرائيل « بالتينة الملعونة » التي لا ثمر فيها (متى ٢١ : ١٨ - ٢٢).

وفي الهيكل، عنوان الدين والقومية، يسأله السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى، « رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » (متى ٢١ : ٢٣) : من أولاه السلطان للتعليم في الهيكل ؟ فيجيبهم بتورية من مثل المعمدان، تعني أن سلطانه من الله.

ثم يوجز لهم تاريخ النبوة، ومصير ملكوت الله، بمثل الكرامين القتلة، الذين يقتلون أنبياء الله فوجاً فوجاً، وهم مزمعون أن يقتلوا **وريث الملكوت، ابن رب الكرم**، أي المسيح نفسه. ويختم بهذا القول الفصل : « من أجل ذلك أقول لكم : **إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويسلّم إلى أمة أخرى تؤدي ثماره** » (متى ٢١ : ٤٣).

فسياسة دعوة المسيح في بني إسرائيل كانت توجيه الدعوة الحاسمة إليهم، لئلا يكون لهم على الله حجة بعد دعوة المسيح نفسه بين ظهرانيهم، قبل نقل دين الله وملكوته منهم إلى سائر الأمم.

فما كانت قومية الدعوة عند المسيح سوى سياسة إلهية لإعلان عالميتها : فابن البشر يزرع الزرع الجيد في « حقل العالم » كله (متى ١٣ : ٣٨)؛ وملكوت الله بالمسيح مثل حبة خردل تصير شجرة كبيرة « حتى أن طيور السماء (الأمم) تأتي وتعشّش في أغصانها » (متى ١٣ : ٤٢)؛ ومثل شبكة تجمع من جميع أصناف السمك (متى ١٣ : ٤٧). وبمناسبة بعثة الرسل التدريبية المحصورة موقتاً بإسرائيل، يعطيهم توصياته لرسالتهم في العالم كله (متى ١٠ : ١٧ ـ ٤٢). ونرى في خطة المسيح طريقة بارعة لنقل الدين والتوحيد وملكوت الله من بني إسرائيل إلى العالم كله، أشار إليه في مطلع دعوته (متى ٨ : ١٢)، ومثّل له بدعوة يونان النبي في نينوى عاصمة الوثنية، وبمثل ملكة اليمن التي تأتي من أطراف الأرض لتسمع حكمة سليمان، وها هنا أعظم من يونان وأعظم من سليمان (متى ١٢ : ٣٨ ـ ٤٢). أخيراً أعلن عن ذلك صريحاً بمثل الكرامين القتلة الذين بقتلهم المسيح، يحملون الله على نقل ملكوته من إسرائيل إلى العالم، بواسطة مسيحه.

وفي حصر نشاط المسيح الشخصي في إسرائيل، مع توجيه الدعوة المسيحية للعالم كله، **سر آخر مزدوج :** « لا يليق أن يُقتل نبي خارج أورشليم، قاتلة

الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها ›› (لوقا ١٣ : ٣٣ ـ ٣٤)، ‹‹ وأنا متى ارتفعت جذبت إلي الجميع ›› (يوحنا ١٢ : ٣٢). يعلّق المسيح نجاح دعوته في العالم على استشهاده، لأن شهادة الدم لا ترد، خصوصاً إذا كانت شهادة دم المسيح!

ويسوع في نبؤته عن خراب أورشليم وهيكلها، بسبب كفرها بالمسيح، يعلن لرسله أنه ‹‹ سيبشر بإنجيل الملكوت هذا في ‹‹ المسكونة ›› كلها، شهادة لجميع الأمم، وعندئذ تأتي نهاية أورشليم ›› (متى ٢٤ : ١٤). ففي كل المواقف يوجه المسيح دعوته للعالم كله.

وبعد الاستشهاد، والقيامة، قبل رفعه إلى السماء، يوجه المسيح الدعوة المسيحية **وجهتها الحقيقية التي كانت لها في كل أطوار الدعوة** بين بني إسرائيل : ‹‹ فدنا يسوع وكلمهم. قال : لقد أُوتيت كل سلطان من السماء وعلى الأرض، **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم!** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنذا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر ›› (متى ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠)

فحقيقة الدعوة المسيحية، حتى بين بني إسرائيل، في كل أطوارها، وبكل أساليبها، كانت **عالمية.** وتنفيذ الرسل، صحابة المسيح، لأمره، منذ رفعه ونزول روح القدس عليهم، برهان قاطع ساطع على عالمية الدعوة المسيحية، ‹‹ منذئذٍ شرع يسوع يدعو ويقول : توبوا فإن ملكوت السماوات قريب ›› (متى ٤ :١٧)

كان بنو إسرائيل أهل النبوة والكتاب والملكوت. وجاء المسيح لينقل بذاته النبوة والكتاب والملكوت، بعد التكميل في الإنجيل، إلى العالم كله. فكانت دعوته التحرير رويداً رويداً من الموسوية واليهودية حتى الإعلان الصارخ : ‹‹ إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة أخرى تؤدي ثماره ›› ، وحتى البعثة المسيحية العالمية، قبل رفعه إلى السماء (خاتمة متى، أو خاتمة مرقس). هذا هو الإنجيل ما بين القومية والعالمية.

بحث رابع

إنجيل « مسيحية » يسوع

في الأبحاث الثلاثة السابقة حددنا معالم الدعوة. وفي البحثين التاليين نتعرف إلى الرسول الأعظم.

فالإنجيل بحسب متى هو أولاً إنجيل « مسيحية » يسوع.

هذا هو عنوان إنجيله : « سجل نسب يسوع، ابن داود، ابن إبراهيم » (١ : ١) فهو يستفتح الإنجيل بوثيقة تاريخية فيها « هوية » يسوع في نسبه وحسبه. إنها البرهان القومي « لمسيحية » يسوع. بدونها لا فائدة من برهان آخر : فقد يكون يسوع الناصري إلهاً، فإذا لم يكن « ابن داود، ابن إبراهيم » فهو ليس بالمسيح الموعود.

*

أولاً : مسيحية يسوع من سيرته ودعوته

١ ـ في الجزء الأول من الإنجيل يظهر يسوع مولوداً من أم بتول، تتميماً لنبوءة أشعيا (٧ : ١٤) الشهيرة في المسيح، عمانوئيل الموعود، وهذا لم يحدث لأحد قبله أو بعده (متى ١ : ٢٢). والسماء تعطيه اسمه : « يسوع، لأنه هو

الذي يخلص شعبه من خطاياهم » (متى ١ : ٢١) : فيسوع يعني « المخلص » وهو من ألقاب المسيح، كما يقول الملائكة لرعاة بيت لحم عند لوقا : « لقد ولد اليوم لأجلكم المخلص ـ المسيح الرب ـ في مدينة داود » (٢ : ١٠). وقد ولد، وهو ناصري، **في بيت لحم، مدينة أبيه داود،** في إحصاء رسمي، تثبيتاً لنسبه الداودي الملكي. والمجوس، الأمراء العلماء بالفلك والتنجيم، من شرق فلسطين حتى ضفاف الفرات، موطن بلعام، يأتون سائلين « عن المولود ملك اليهود » (٢ : ٢) وهو صفة المسيح؛ فيهديهم الملك هيرودس بفتوى من علماء الكتاب، إنه يولد في بيت لحم، كما تنبأ ميخا النبي عن المسيح الموعود (٥ : ١). وكان مولده سبب استشهاد أطفال بيت لحم، بحسب نبوءة أرميا (متى ٢ : ١٨ = أرميا (٣ : ١٥). فهو المسيح الناصري أيضاً (٢ : ٢٣) بحياته مدة ثلاثين سنة في الناصرة (متى ٢ : ٢٣). وفي الحالين إنه المسيح الملك، عمانوئيل، بحسب نبوءة أشعيا الأول (متى ١ : ٢٣)، ويسوع « الناصري » (٢ : ٢٣) رمزاً وكناية عن صفته « عبد الله الذي بآلامه يفدي شعبه »، بحسب نبوءة أشعيا الثاني (٤٩ : ٣). فالأحداث والأوصاف وتتميم النبوات كلها تدل منذ مولد يسوع أنه المسيح الموعود.

*

٢ ـ في الجزء الثاني نرى المعمدان يلعب دور إيليا النبي في تهيئة الطريق لرسالة المسيح (٣ : ١ ـ ١٢). وفي عماد يسوع، تهيئة لمباشرة رسالته، نسمع الله يسميه « ابني الحبيب » ، ويؤيده بروح القدس الذي يستولي عليه ويدير سيرته ورسالته كلها (متى ٣ : ١٧) كما يقول : « روح الرب علي، أرسلني لأبشر بسنة نعمة للرب » (لو ٤ : ١٨ ـ ١٩) = ، (أشعيا ٤٢ : ١ ـ ٤). فاسم « ابني الحبيب » ، وتأييده بروح القدس دليلان على أن المعمّد هو المسيح.

ويختار يسوع ميداناً لدعوته « **جليل الأمم** » ، تنفيذاً لنبوءة أشعيا أيضاً في دعوة المسيح (متى ٣ : ١٣ = أشعيا ٨ : ٢٣ ـ ٩ : ١). والجليل كان خليطاً من بني إسرائيل والأميين، رمزاً لدعوة المسيح الموجهة لإسرائيل والأميين، وفي النهاية رمزاً إلى نقل الملكوت من إسرائيل الكافر، إلى الأميين المؤمنين.

وتـأتي شـرعة الملكوت التأسيسـية (ف ٥ ـ ٧) حيث يظهـر يسـوع بـأجلى مظـاهر مسيحيته تنفيذاً لنبؤة موسى عن « الرسول الأعظم » ، « النبي مثله » (التثنيـة ١ : ١٥). نـرى فيها أن يسوع هو **المسيح المشترع الأعظم،** لا بشريعة جديدة، بـل بتكميل الشـريعة الموسـوية، ونقلها من السلبية إلى الإيجابية، ومن الظاهرية إلى الأعمـال الباطنيـة، ومـن عبـادة الحـرف إلـى عبادة الروح، ومن مثالية العبد إلى مثالية أبناء الآب الذي في السماوات. ففي وظيفته التشـريعية يظهر يسوع أنه المسيح، خصوصاً في مقابلته بين الشريعتين : « سمعتم أنـه قيـل ... وأنـا أقـول لكم » . هذا التحدي لشريعة الله لا يظهر إلا من مسيح الله.

*

٣ ـ وفي الجزء الثالث نرى يسوع ينثر الأشفية المعجزة حولـه كأشـعة الشـمس المحييـة عند الضحى، تتمة لقول أشعيا النبـي : « إنـه أخذ عاهاتنـا وحمـل أوجاعنـا » (متـى ٨ : ١٧ = أشعيا ٥٣ : ٤). وشفاء الجسد عنده رمز شـفاء النفس، كمـا فـي مخلـع كفرنـاحوم (٩: ١ ـ ٨). ويخـص بدعوتـه الخـاطئين والمنبـوذين، مـن الـذين يحسـبون أنفسـهم صـديقين (٩ : ٩ ـ ١٣). ويبلـغ عنده سلطان المعجزة حداً لا قياس لـه فـي إحيـاء المـوتـى مثـل ابنـة يـائير (متـى ٩ : ١٨ ـ ٢٦). فثبت لدى الشعب أن يسوع هـو « ابن داود » المسيح الموعـود، كما هتف الأعميان: « يا ابن داود ارحمنا » (متى ٩ : ٢٧). وهذا السلطان الإلهي المعجز يسلمه أيضاً لرسله (١٠ : ١ و٨) حتى تحقق الشعب وهتف : « لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل » (٩ : ٣٣). هـذه صـورة المسيح الموعود.

حقاً ان يسوع هو **المسيح الرسول الأعظم.**

*

٤ ـ وفي الجزء الرابع نرى المعمدان يوجه تلاميذه إلى يسوع ليسمعوا منه،

بعد ما سمعوا من يوحنا معلمهم، ان يسوع هو المسيح الآتي. فكان جواب يسوع بالأعمال، لا بالأقوال؛ فالعمل أبلغ من القول : « فأجاب يسوع وقال لهم : انطلقوا واعلموا يوحنا بما تسمعون وترون » (١٢ : ٤) : فيسوع هو المسيح من أعماله. وقد فهم الشعب أيضاً ذلك : « فبهت الجموع كلهم وقالوا : أفلا يكون هذا ابن داود ؟ » أي المسيح (متى ١٢ : ٢٣).

وفي جدال مع العلماء والفريسيين في حرمة السبت يصرح لهم : « إن ههنا أعظم من الهيكل! إن ابن البشر هو رب السبت أيضاً » (١٢ : ٦ و٨). انتقل يسوع من الشهادة لمسيحيته بالأعمال، إلى الشهادة بالتصاريح والأقوال المعجزة : فلا يقول ذاك القول نبي ولا رسول، إلا المسيح الموعود.

ضج الشعب من معجزات يسوع وبدأوا يتبعونه. فاغتاظ كهّانهم وزعماؤهم ونسبوا سلطان المعجزة فيه إلى بعل زبول، رئيس الشياطين. فأجابهم بمنطق الفطرة : « إن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على نفسه » ! (١٢ : ٢٦). ثم يعطي معجزاته دليلاً على مسيحيته في تأسيس ملكوت الله : « وإن كنت بروح الله أخرج الشيطان فذلك أن ملكوت الله قد حلّ في ما بينكم » (١٢ : ٢٨) « لأنها من الثمرة تعرف الشجرة » (١٢ : ٣٣). وظهور ملكوت الله برهان على ظهور مسيح الله في يسوع الناصري.

فأرادوا تعجيزه بطلب آية من السماء كما أَنزل موسى المنّ. فأجابهم أن آية هذا الجيل هي آية يونان : « كما أن يونان أَقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك ابن البشر يقيم في جوف الأرض ثلاثة أَيام وثلاث ليال » ثم يقوم حيّاً (١٢ : ٤٠) فههنا أَعظم من الأنبياء والملوك! (١٢ : ٤١ و٤٢).

تلك التصاريح في هذا الجزء كنايات صريحة لهم أَنه هو المسيح.

ثم يشرع يبين لهم بأمثال ماهية ملكوت الله الموعود والمشهود، تتميماً لنبوءة الزبور : « أفتح فمي بالأمثال! وأكشف الأسرار، الكائنة منذ إنشاء

العالم)) (١٣ : ٣٥ = مزمور ٧٧ : ٢). وفي التعليم بأمثال لم ينطق بمثلها إنسان ولا نبي ولا رسول، تتميماً للنبوءات، دليل أيضاً على أن يسوع هو المسيح الموعود.

فبالحقيقة أن يسوع هو المعلم الأعظم.

*

٥ ـ في الجزء الخامس نرى يسوع يتهرب من الجماهير ومن ملاحقة خصومه لينفرد للصلاة ولتعليم رسله أسرار ملكوت الله. ونرى إعجاز يسوع في البيان والتبيين أن الجماهير تلحقه إلى البرية، وتمكث لديه تسمعه مدة ثلاثة أيام مأخوذة بسحر شخصيته وسحر تعليمه. ولم نسمع قط في التاريخ أن شخصاً استمع إليه جماعة، من أربعة آلاف ما خلا النساء والصبيان، وذلك مدة ثلاثة أيام، سوى يسوع المسيح. فكافأهم على جوعهم الديني والطبيعي بمعجزة تكثير الأرْغفة السبعة (متى ١٥ : ٢٩ ـ ٣٨) ـ وهذا الإعجاز بالقول كالإعجاز بالعمل لم يجتمع لنبي ولا لرسول سوى المسيح يسوع.

لقد وصلنا إلى مفترق الطرق في الدعوة المسيحية، والحد الفاصل فيها. لقد تيقن الشعب، رغم مناورات الأخصام، وتيقن التلاميذ، أن يسوع هو المسيح، وأكبر من المسيح الموعود. فاختلى في الشمال، خارج إسرائيل، في بانياس، مع رسله ليسألهم السؤال الأكبر عن سرّ شخصيته. فأجاب زعيمهم بطرس باسمهم في عفوية إلهام روح الله : ((أنت المسيح ابن الله الحي)) . فأبان لهم يسوع أن شهادة بطرس بإلهيته مع مسيحيته هي من الله : ((ليس اللحم والدم أعلنا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات)) (١٥ : ١٣ ـ ١٧) وإن كانت أَحوال يسوع وأَعماله وأَقواله حية ناطقة بذلك.

وتثبيتاً لهم في إيمانهم اصطحب زعماء الرسل : بطرس ويعقوب ويوحنا، إلى جبل عال، على انفراد، ((وتجلّى أمامهم، فأضاء وجهه كالشمس، وصارت

ثيابه بيضاء كالنور : وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يخاطبانه » (١٧ : ١ - ٣). هذا التجلي إظهار لحقيقة شخصيته التي تحجبها مظاهر بشريته. وظهور موسى سيد الشريعة، وإيليا سيد النبوءة، في حضرته، يجسمان شهادة الشريعة وشهادة النبوة لمسيحية يسوع. وشهادة حاله، وشهادة الغمامة المنيرة وهي الرمز الكتابي لحضور الله وتجليه، وشهادة صوت السماء: « أنت ابني الحبيب » (متى ١٧ : ٥) شهادة الشهادات بألوهيته وبنوته، كما سنرى.

ثم يعطيهم شرعة السيرة المسيحية على مثاله (ف ١٨).

فيسوع هو « المسيح، ابن الله الحيّ » ، المثل الأعظم.

*

٦ - في الجزء السادس نرى يسوع قد بدأ المرحلة الخطيرة من دعوته : أخذ يكشف لهم الوجهين المختلفين من نبوءة أشعيا : المسيح الموعود هو « **عمانوئيل**، رسول الرأي العظيم، المشير العجيب، الإله القدير، السلطان رئيس السلام، أبو الدهر الآتي » ؛ أجل، وهو أيضاً « **عبد الله** » الذي يفدي شعبه بتضحية ذاته، واستشهاده على الصليب. كان اليهود يميزون بين الصورتين، فجمعهما يسوع في ذاته وفي تعليمه. وكان الدعوة صدمة للرسل، قبل أن تكون عثرة دائمة للشعب الإسرائيلي وللعقل البشري (١٦ : ٢١). لذلك كرر يسوع النبوءة عن مصيره وهم يطوفون في الجليل، في السنة الأخيرة (١٧ : ٢٢). وأكدها لهم قبل تنفيذها وهم صاعدون إلى أورشليم (٢٠ : ١٧ - ١٩). وكل مرة يزيدهم تفصيلاً. فليس هو بالمسيح القومي السياسي الذي أتى ليفرض سيطرة إسرائيل على العالم، كما كانوا ينتظرون ويتوهمون، بل هو المسيح الحقيقي، فوق القومية والسياسة، مسيح الإيمان والروح، الذي يخلص شعبه بتضحية ذاته، ويفرض سيطرة التوحيد الكامل في سر أبوة الله، على العالمين، وحياة الله في قلوب المؤمنين.

وكما ناداه أهل الجليل بلقب المسيح : « ابن داود » فلبى النداء بمعجزة (متى ٩: ٢٧)، ناداه أهل اليهودية في أريحا : « يا ابن داود ارحمنا » ، فلبى النداء بمعجزة (متى ٢٠ : ٢٩ ـ ٣٢). فقد رسخ في ضمير الشعب كله أن يسوع هو المسيح.

وأراد يسوع أن يختم حياته بمظاهرة شعبية، تتميماً للنبؤة (زخريا ٩ : ٩) يظهر فيها للشعب ورؤسائه **أنه هو المسيح**؛ ويظهر فيها لتلاميذه أنه لو أراد أن يكون المسيح الملك لكان له ذلك، ولكنه أراد، لإرادة الله، أن يكون المسيح الشهيد، لأن شهادة الدم أصدق وأبلغ من شهادة السيف والسلطان. فدخل أورشليم عاصمة الدين والدولة، دخول الفاتحين، بمظاهرة شعبية قاهرة. واحتل الهيكل وطهّره من تجار الدين، وأخذ يعلم فيه ويفحم أحزاب اليهود فئة فئة، « حتى لم يعد يجسر أحد البتة أن يلقي عليه سؤالاً » (٢٢ : ٤٥) وفي ذلك الأسبوع الحاسم، سأله السنهدرين مجلس الأحبار والشيوخ عن سلطانه في احتلال الهيكل والتعليم فيه فأجابهم، بمثل الكرامين القتلة، يمثل فيه تاريخ النبؤة في إسرائيل، ومركزه فيه : فالأنبياء جميعهم « عبيد الله » في كرمه، أما هو فإنه « ابن » رب الكرم، « ووريثه الأوحد » أرسله خاتمة لهم إلى كرمه، فأخذه الكرامون الخائنون وقتلوه : « من أجل ذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويسلم إلى أمة أخرى تؤدي ثماره » (٢١ : ٤٣). فمثل الكرامين القتلة برهان للسلطة اليهودية نفسها أن يسوع هو المسيح خاتمة النبوة والكتاب والملكوت.

وختم تصاريحه الأخيرة في الهيكل، على مشهد ومسمع من الشعب وعلمائه ورؤسائه أنه هو « **ابن داود وربه** » (٢٢ : ٤١ ـ ٤٥)، أي « المسيح، ابن الله الحي » ؛ فإن « ابن داود » هو اللقب الكتابي والشعبي للمسيح.

وفي خطاب ناري، وهو الأخير العلني، أعلن بسبع لعنات أو ويلات **نهاية العهد الإسرائيلي لملكوت الله** (ف ٢٣).

وعلى جبل الزيتون كشف لتلاميذه **بداية العهد المسيحي لملكوت الله :** سيكون بموته وقيامته؛ ويظهر أنه المسيح الحقيقي بمجيئه الأول الخفي كالبرق، على أنقاض الأمة اليهودية الكافرة به، وعلى أنقاض الهيكل (ف ٢٤)؛ خصوصاً بمجيئه الثاني العلني بالمجد، على عرش الله، تحف به الملائكة، ليوم الدين (٢٥ ـ ٤٦) :

فيعلن ويظهر أنه **هو المسيح، ملك يوم الدين.**

*

٧ ـ وفي الجزء السابع والأخير يأتي القول الفصل في مسيحية يسوع، ملك إسرائيل. وذلك في محاكمة يسوع الدينية والمدنية.

في المحاكمة الدينية، يحقق رئيس الكهنة بذاته مع يسوع. فلا يصل التحقيق إلى النتيجة المرغوبة لهلاكه. يستحضرون الشهود، فتختلف شهاداتهم، فيفشل التحقيق، وتظهر براءة يسوع. حينئذ يستحلف الحبر الأعظم يسوع بالله الحيّ أن يقول لهم « هل أنت المسيح ابن الله » ! فيجيب بلغة القانون : « أنت قلت » ! ويستشهد بنبوءة دانيال له أنه هو « ابن البشر الجالس عن يمين القدرة، والآتي على سحاب السماء » . فحكموا عليه بالإعدام لهذا « التجديف » . فقبل يسوع الاستشهاد تزكية لشهادته (٢٦ : ٥٧ ـ ٦٦)، لأن شهادة الدم أصدق الشهادات. فإذا تحفظ يسوع في دعوته بإعلان مسيحيته علناً وجهراً، فقد أعلنها جازمة حاسمة لدى السنهدرين، السلطة العليا عند اليهود.

وفي المحاكمة المدنية يحقق الوالي الروماني معه بالتهمة المستورة الموجهة إليه : « هل أنت ملك اليهود » أي المسيح ؟. فيجيبه يسوع بلغة القانون : أنت قلت » ! ويتحقق بيلاطس من براءة يسوع، ويحاول إنقاذه؛ ولكن أمام ضغط السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى، وأمام هيجان الجماهير الذين استثارهم

الزعماء، اضطر أن ينفذ حكم الإعدام «بيسوع ، ملك اليهود» أي المسيح. (٢٧ : ١١ ـ ٢٦؛ و٣٧).

ففي المحاكمة الدينية يؤكد يسوع بنوته الإلهية ويستشهد في سبيلها. وحاشية مجلس اليهود يهزأون بصفته المسيح ابن الله (متى ٢٦ : ٦٧)؛ وحاشية الوالي يهزأون، بصفته المسيح ملك اليهود (متى ٢٧ : ٣٩). والوالي يعلق سبب إعدامه فوق رأسه على الصليب : « هذا هو يسوع، ملك اليهود » أي المسيح (متى ٢٧ : ٣٧).

فمات المسيح شهيداً للشهادتين؛ إنه المسيح : « ملك اليهود » ، و « ابن الله الحي » .

وفي **خاتمة الإنجيل**، يختتم متى بشهادة الشهادات لمسيحية يسوع وإلهيته وملكيته، بقيامته من الموت والقبر، وظهوره لرسله، وإرساله إلى العالم كله ليشهدوا بإنجيل الملكوت، وأن يسوع هو **المسيح**، « **الابن** » **مع الآب والروح القدس** » ، « الذي أُوتي كل سلطان في السماء وعلى الأرض » .

*

* *

ثانياً : مسيحية يسوع من ألقابه النبوية

وتلك الشهادة لمسيحية يسوع الحقة والحقيقية، بأحوال يسوع وأعماله وأقواله، تتخللها الشهادة **بالألقاب النبوية والمسيحية** التي يطلقها يسوع على نفسه، أو يطلقها الشعب عليه.

١ ـ إنه ابن داود، وهذا اللقب هو الكناية الكتابية والشعبية للمسيح.

يعلن الإنجيل ذلك في عنوانه : « سجل نسب يسوع، المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » (١ : ١) ويقبله يوسف الصديق، حاضن مريم العذراء، في عشيرة أبيه داود (١ : ٢٠).

والشعب يتساءل هو « ابن داود » (١٢ : ٢٣) ثم يجيب في عاصمة الجليل، بلسان الأعميين من كفرناحوم (٧: ٢٧) وبلسان الكنعانية خارج إسرائيل (١٥ : ٢٢)؛ وبلسان الأعميين من أريحا في اليهودية (٢٠ : ٣٠) أنه هو « ابن داود » . وفي مظاهرة شعبية صاخبة ينادي به الشعب، من الرسل والتلاميذ، إلى وفود الحجاج، إلى الأطفال : « هوشعنا لابن داود » (٢١ : ٩ و١٥). يحتج رؤساء الكهنة على هذا اللقب فيجيبهم يسوع : « إذا سكت هؤلاء نطقت الحجارة » ! والأطفال الذين يصيحون في الهيكل باسم « ابن داود » إنما هم يتممون النبوة!

ويسوع نفسه أخيراً، في الموقف الحاسم، والقول الفصل، يفحم الرؤساء والزعماء والعلماء بالإعلان الضخم عن نفسه أنه ابن داود وربه معاً! (٢٢ : ٤١ ـ ٤٥).

فبقبول لقب « ابن داود » وتبنّيه، أعلن يسوع أنه المسيح.

٢ـ فهو « المسيح » الموعود. يفتتح الإنجيل بهذا الاسم الكريم (١ : ١ و١٦ و١٨). وتظهر مسيحيته من أحواله وأعماله وأقواله وألقابه، مهما تحفظ في الإعلان أنه المسيح. ولما كشفته سيرته لرسله وصحابته سألهم عن رأيهم فيه؛ فأجاب بطرس باسم الرسل كلهم : « أنت المسيح ابن الله الحي » (١٦ : ١٥). مع ذلك ظل يسوع يتحفظ حتى يوم الفصل، في أسبوع الفصح العظيم. فأعلن أنه المسيح بأساليب متنوعة. وفي محاكمته الدينية أمام السنهدرين مجلس اليهود الأعلى استحلفه الحبر الأعظم باسم الله أن يقول هل هو « المسيح ابن الله » ؟ فأجاب بلغة القانون : « أنت قلت » . وسبب إعدامه المعلق فوق رأسه على الصليب : « هذا يسوع ملك اليهود » ـ أي بلغة الرومان : المسيح ـ هو شهادة رسمية، استشهد هو في سبيلها.

٣ـ لقب «ابن الله» قد يعني مسيحية يسوع، وقد يعني إلهيته. هنا نأخذه في المعنى الأدنى، مرادفاً لاسم المسيح، ابن داود.

كان لقب «ابن الله» يطلق شرْكاً عند الوثنيين على ملوكهم، ومجازاً عند بني إسرائيل، منذ نبؤة ناتان لداود : «أكون له إلهاً ويكون لي ابناً» (٢ صمو ٧ : ١٤؛ مز ٨٩ : ٢٧). وبما أن ابن داود الأعظم هو المسيح الموعود، فلقب «ابن الله» يصير في ضمير الشعب مرادفاً للقب المسيح، ابن داود. هكذا يبدو لأول وهلة في الإنجيل.

فلقب «ابن الله» على لسان المجرّب (متى ٤ : ٣ ـ ٧) يعني أكثر من لقب المسيح. وعلى لسان الشياطين الساكنين في المجنونين الجدريَّين (متى ٨ : ٢٩) يعني أيضاً أكثر من لقب المسيح، بسبب سلطانه عليهم.

وتراكم المعجزات من سير المسيح على ماء البحيرة، وجعل بطرس يسير مثله، وتسكيت الريح العاصفة بكلمة، جعل التلاميذ يصيحون : «أنت حقاً ابن الله» (متى ١٤ : ٢٣) ففي هذا الإعلان أكثر من إيمانهم بمسيحية يسوع.

وفي شهادة بطرس، باسم الرسل، وبوحي من الله : «أنت المسيح ابن الله الحي» ، على سؤال يسوع : «من تُرى، ابن البشر، في نظر الناس» ، جمع الألقاب الثلاثة في شخصه: المسيح وابن البشر وابن الله. وهنا لا ريب أن «ابن الله» مأخوذ في معناه المطلق (متى ١٦ : ١٣ ـ ٢٠)، كما يظهر من حادث التجلي (١٧ : ١ ـ ١٠).

فمنذ شهادة بطرس بإيمان الرسل بمسيحية يسوع وإلهيته، يصير لقب «ابن الله» دليلاً على إلهيته أكثر من مسيحيته، كما في استجواب السنهدرين، المجلس اليهودي الأعلى : «أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ فقال له يسوع : أنت قلت!» . وبتكفيره والحكم عليه بالإعدام، برهان على استعمال اسم «ابن الله» في معناه المطلق.

ففي لقب ((ابن الله)) تدرّج من إعلان ((مسيحية)) يسوع إلى إعلان إلهيته.

٤ـ لقب ((ابن البشر)) ، قد يعني لغةً أقلّ مما يعني اصطلاحاً. ورد اللقب مرادفاً للمسيح عند دانيال (٧ : ١٣ ـ ١٤) حيث يعني ((جماعة قديسي الله العلي)) ، ورئيسهم الذي يأخذ من القديم سلطاناً على العالمين (٧ : ١٨).

ويسوع فضّل لنفسه هذا اللقب على لقب المسيح وابن داود لِما لهما من صدى قومي وسياسي في ضمير الشعب.

يسوع وحده يستعمل اللقب، ويطلقه على نفسه سبعين مرة في المؤتلفة، واثنتي عشرة مرة عند يوحنا. وهو لقب كتابي محض، لذلك يتوارى في الدعوة المسيحية بين الأمم.

وهو مثل لقب ((ابن الله)) يتدرج من الإعلان عن ((مسيحية)) يسوع، إلى الإعلان عن إلهيته. فهو تارة يعني مسيحية يسوع مثل قوله : ((وجاء ابن البشر يأكل ويشرب، فقالوا: هوذا إنسان أكول، شروب للخمر، يحب العشارين والخاطئين)) (متى ١١ : ١٩)؛ كذلك ابن البشر الذي يزرع زرع الملكوت (متى ١٣ : ٣٧). وتارة يرمز إلى إلهيته كما في قوله: ((وابن البشر هو رب السبت)) (متى ١٢ : ٨)؛ أو قوله : ((إن ابن البشر له السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا)) (متى ٩ : ٦). وفي سؤال يسوع لرسله : ((من تُرى، ابن البشر، في نظر الناس ؟ ... أجاب سمعان بطرس أنت المسيح ابن الله الحي)) (متى ١٦ : ١٣ ـ ١٦)؛ بسبب إسناد يسوع هذه الشهادة إلى وحي خاص من الله، فلقب ابن البشر يعني ((المسيح وابن الله الحي)) معاً.

ومنذ هذه الشهادة الجامعة، صار لقب ((ابن البشر)) يعني ((ابن الله)) أكثر من ((المسيح)) ، كما في التجلّي (١٧ : ٩)، وكما في يوم الدين حيث يظهر ابن البشر ملك يوم الدين (متى ٢٤ : ٣٠؛ ٢٥ : ٣١ و٣٤).

أخيراً في الموقف الحاسم، أمام السنهدرين، في محاكمته، يفسر يسوع تصريحه أنه « المسيح ابن الله الحي » ، باستشهاده بنبؤة دانيال، إنه « ابن البشر، الجالس عن يمين القدرة (الله)، والآتي على سحاب السماء، كملك يوم الدين (متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤). ففي هذا الموقف الحاسم كشف يسوع سر استعماله لهذا اللقب الغامض والعظيم معاً الذي يعني بشريته وإلهيته معاً، أكثر من ترادفه « لمسيحيته » .

٥ ـ **لقب « المسيح الرب »** كان بلاغ الرسل الأول بعد العنصرة للشعب (اع ٢ : ٣٦). هذا البلاغ استخدمه يسوع نفسه في الجدل الحاسم الأخير، الذي به أفحم السلطات والأحزاب اليهودية كلها، في الأسبوع الأخير. استند إلى المزمور (١١٠ : ١) ليتحدى اليهود أنه « ابن داود وربه » معاً. هنا صفة « الرب » تأخذ معناها المطلق في النبؤة وفي تصريح يسوع.

ويسوع في رسالته استخدمه نادراً، مثل قوله : « وابن البشر هو رب السبت أيضاً » (١٢ : ٨).

لكنه أظهر في ذاته سلطان الربوبية فيه، مثل قوله : « لقد آتاني أبي كل شيء » ! حتى المساواة في العلم بين الأب والابن (متى ١١ : ٢٧).

وكلمته الأخيرة تدل على أن هذه الربوبية إلهية : « لقد أُوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض ... عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس » (خاتمة متى) فاسمه وسلطانه من اسم الله وسلطانه.

٦ـ **لقب « المخلص »** يحمله في اسمه : **يسوع**، كما يقول الملاك ليوسف : « وتسميه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (متى ١ : ٢١).

كان اللقب شائعاً عند الأميين؛ وكثيرون من الملوك حملوه. لكن بني إسرائيل كانوا يحتفظون به لله تعالى : « يهوه » هو المخلص، ولا مخلص سواه!

إن يسوع لا يأخذ **الاسم** لكن ينسب إلى ذاته **دور المخلص**. فما خلاص المرضى في أجسادهم سوى رمز لخلاص نفوسهم كما يظهر في حادث مخلع كفرناحوم : غفر له خطاياه قبل معجزة شفائه (متى ٩ : ١ ـ ٧).

وهو يعلن : « من وجد نفسه بذلها، ومن بذل نفسه من أجلي وجدها » أي خلصها (متى ١٠ : ٣٩). فالخلاص في بذل النفس من أجل يسوع.

وإذا كان الخلاص صعباً على الغني، فما كان مستحيلاً عند الناس، فهو مستطاع عند الله لأن الله على كل شيء قدير (متى ١٩ : ٢٥ ـ ٢٦). **هذا هو دور المسيح في الخلاص:** « إن ابن البشر لم يأت ليُخدمَ، بل ليخدُم، ويبذل نفسه فدية عن الجميع » (متى ٢٠: ٢٨)؛ فقد « أُرسل إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل » والعالم كله (متى ١٥ : ٢٤).

وفي الإِنباء المتواتر عن استشهاده يجعل في استشهاده الخلاص الأكبر الموعود والمشهود معاً.

وجاء البعث من الموت والرفع إلى السماء فأظهرا يسوع « الرب » و « المخلص » في أحواله أكثر من أعماله وأقواله في رسالته.

فهذه الألقاب المزدوجة : المسيح وابن داود، ابن البشر وابن الله، الرب والمخلص، **تُظهر على طريق الترادف « مسيحية » يسوع**؛ وباستعمالها شيئاً فشيئاً على الإطلاق تظهر إلهية يسوع، كما سنرى.

*

ثالثاً : مسيحية يسوع وصحة رسالته، من تتميم نبوءات الكتاب فيه

ميزة الإنجيل بحسب متى هو استشهاد الإنجيلي، بعد استشهاد يسوع، بنبؤات الكتاب عن المسيح، وتحقيقها فيه، من دون سواه.

ففي الكتاب نحو **أربعين نبوءة** عن المسيح تحققت كلها في يسوع. ونحن نورد أهمها مع الإشارة إلى تحقيقها في يسوع الناصري.

١ ـ منذ اصطفى الله إبراهيم على العالمين وعده أن « **بنسله** تتبارك جميع قبائل الأرض » (التكوين ١٢ : ١ ـ ٣). وتحقيقاً لهذا الوعد صنع معه معجزة بولادة إسحق من أبوين طاعنين في السن : « فقال الله : بل سارة امرأتك ستلد لك ابناً وتسميه اسحق، وأقيم عهدي معه عهداً أبديّاً، لنسله من بعده » (التكوين ١٧ : ١٩).

وتجدد الوعد **بالنسل المصطفى** لإسحاق (التكوين ٢٦ : ٤) وليعقوب (٢٨ : ١٣ ـ ١٤).

ومن الأسباط الاثني عشر، يختار الله سبط يهوذا، فيكون منه « **السبط المصطفى** » فقد تنبأ يعقوب قبل موته، وهو يبارك بنيه أسباط إسرائيل : « لا يزول قضيب من يهوذا، ولا مشترع من بين يديه، حتى يأتي (شيلون)، وله تخضع الشعوب » (التكوين ٤٩ : ١٠). ويتفق اليهود والمسيحيون أن (شيلون) لقب للمسيح.

ثم تظهر الملكية في سبط يهوذا، وتستقر في داود وذريته، بناء على نبوءة ناتان لداود : إن الله يعده بأن « ابن » سيكون المصطفى : « أكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً » (٢ صموئيل ٧ : ١٢ ـ ١٦). فالنسل المصطفى، والسبط المصطفى، والابن المصطفى سيكون « ابن داود » . فعرفت الأجيال أن المسيح سيكون « ابن داود » .

وبهذا النسب المصطفى افتتح الإنجيل بحسب متى : « سجل نسب يسوع، المسيح ابن داود، ابن إبراهيم » (١ : ١). فلن يكون النبي الأعظم والرسول الأعظم سوى « ابن داود ».

٢ ـ وجاء وقت تنزيل الشريعة في سيناء على موسى كليم الله. فبعد ما تمَّ تنزيل الشريعة، وعد الله موسى بالنبي الأعظم على مثاله، فقال مخاطباً بني إسرائيل : ‹‹ يقيم لك الله إلهك نبياً من وسطك، من أخوتك، مثلي، له تسمعون. وقال الله لي أنا موسى : أقيم لهم نبيّاً من وسط أخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أُوصيه به. والإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي يكون مسؤولاً ›› (التثنية ١٨ : ١٥ ـ ١٩).

هذه النبوة مثل نبوة ‹‹ النسل المصطفى ›› ذاتُ وجهين : وجه جماعي يعني جميع أنبياء الكتاب الذين أتوا على شريعة موسى؛ ووجه فردي يعني النبي الأعظم، من النسل المصطفى، ‹‹ ابن داود ›› . ثلاث صفات تحدد مصدره : إنه من ‹‹ وسط ›› إسرائيل الذي يخاطبه الله؛ من ‹‹ أخوة ›› موسى، بني إسرائيل؛ ويكون ‹‹ مثل ›› موسى.

وهذه الأوصاف لا تصحّ إلاَّ في موسى والمسيح يسوع :

كلاهما من شعب الله المختار.

كلاهما وُلدا حين كان إسرائيل مستعبداً لمصر أو لرومة.

كلاهما لجأا إلى مصر ووجدا فيها الحماية من الاضطهاد.

كلاهما تعرضا لكفر الشعب بهما، رغم المعجزات البينات.

كلاهما لعب دور المخلص : من عبودية فرعون، رمز عبودية الشيطان.

كلاهما نزل بشريعة وأقام فصحاً وقرباناً.

وبعد المسيح يسوع لم يقم نبي في إسرائيل. ونبوءة موسى في ‹‹ النبي الأعظم ›› بصفاتها الثلاث لا يمكن أن تتحقق خارج إسرائيل لأن فيهم ‹‹ النبوة والكتاب ›› . وقد تمت نبوءة المشترع موسى في المسيح المشترع الأعظم : ‹‹ لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيين : إني لم آت لأنسخ بل لأكمل ›› (متى ٥ : ١٧). فالإنجيل تطوير موسى إلى الكمال.

٣ ـ ومع داود بدأ تنزيل الزبور. فأنشد داود (مزمور ٢) ما قاله له ناتان النبي: « حينئذ يكلمهم بسخطه، وبغضبه يروعهم : إني مسحت ملكي على صهيون جبلي المقدس! لأخبرنَّ بحكم الله : قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك » ! فالمسيح سيكون ابن داود وابن الله معاً، كما في قوله : « قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك » (المزمور ١٠٩ : ١). ويتنبأ مراراً عن مكر اليهود بمسيح الرب (٢ : ١؛ ١٦؛ ٤٥؛ ١٤٥). وفي المزمور (٢١) يصف استشهاد المسيح كأنه يراه، وكأنه يسمع تعييرات المستهزئين به، كما نقلها الإنجيل (متى ٢٧ : ٣٩) ويذكر (مز ١٦) موت المسيح وقيامته المجيدة. وفي المزمور (٢١ : ١٧) يذكر الصلب : « ثقبوا يدي ورجلي » قبل أن يخترعه الرومان.

٤ ـ وقبل جلاء بابل أرسل الله الفوج الأول من الأنبياء مع أشعيا الأول وميخا. فذكر أشعيا أن المسيح الموعود سيكون « عمانوئيل » ؛ ويذكر ولادته من بتول (٧ : ١٤) ويصفه بأوصاف لا تليق بمخلوق (٩ : ٥ ـ ٦) ويميزه بتأييد روح القدس له (١١ : ١ ـ ٥). وهذا ما تحقق في يسوع المسيح (متى ١ : ٢٢ ـ ٢٣). وميخا النبي ذكر أنه يولد في بيت لحم، مدينة داود (٥ : ١) وهذا ما تم في المسيح يسوع (متى ٢ : ١ ـ ٦). وستكون رسالته خصوصاً في « جليل الأمم » (أشعيا ٨ : ٢٣ ـ ٩ : ١) كما ذكر الإنجيل (متى ٤: ١٢ ـ ١٦).

٥ـ وبمناسبة الجلاء أرسل الله فوجاً ثانياً من الأنبياء، منهم أرميا وحزقيال. فذكر أرميا أنه سيقيم « عهداً جديداً » بدمه (٣١ : ٣١ ـ ٣٤) كما فعل المسيح بقربانه (متى ٢٦: ٢٨) رمزاً لدم الصليب. وذكر أرميا أيضاً استشهاد أطفال بيت لحم والرامة رمزياً (٣١ : ١٥). وحزقيال يصف الهيكل الجديد الذي يرجع إليه مجد الرب « ومن جوفه تجري أنهار ماء حي » ، كما تمَّ في المسيح.

٦ـ وفي الجلاءِ وبعده أرسل الله فوجاً ثالثاً من الأنبياء منهم أشعيا الثاني

وزكريا ويوئيل. يوئيل يذكر فيض روح الله في أيام المسيح (٢ : ٣٢؛ ٣ : ١٨). وزكريا ذكر الخائن الذي سيبيع المسيح بثلاثين من الفضة (١١ : ١٢ ـ ١٣) كما تمّ في خيانة يهوذا للمسيح (متى ٢٧ : ٣ ـ ١١). وذكر أيضاً دخول المسيح إلى أورشليم على جحش، مركوب الأنبياء (٩ : ٩) كما تمَّ للمسيح في أحد الشعانين (متى ٢١ : ١ ـ ١٠). وأشعيا الثاني يصف المسيح أنه «عبد الله» الذي يفدي شعبه بضحية ذاته (ف ٥٣) كما فعل المسيح.

٧ـ وفي زمن الاحتلال السوري للأرض المقدسة أرسل الله فوجاً رابعاً من الأنبياء منهم يونان ودانيال. كان يونان قصته، وغرقه وقضائه في جوف الحوت ثلاثة أيام، مثالاً أعطاه يسوع نبوءةً لموته وقبره في جوف الأرض ثلاثة أيام وقيامته : «جيل فاسق شرير يطلب آية، فلن يُعطى آية إلاّ آية يونان النبي ...» (متى ١٢ : ٣٨ ـ ٤١)، فآية المسيح الكبرى هي موته ودفنه ثلاثة أيام وقيامته. ودانيال آخر الأنبياء قبل المسيح يذكره باسم «ابن البشر» الذي يراه «جالساً عن يمين القدرة (آي الله)، وآتياً على سحاب السماء» ليؤسس «ملكوت الله» . ويسوع كانت دعوته لتأسيس ملكوت الله؛ واستشهد في محاكمته أمام مجلس اليهود الأعلى على أنه «المسيح ابن الله» ، بنبوءة دانيال (متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤).

وهناك استشهادات كثيرة بالأنبياء، في الإنجيل بحسب متى، لم نأت على ذكرها. لكن اكتفينا بتلك الصورة الرائعة التي ظل الله يرسمها عهداً بعد عهد للمسيح الموعود، مدى ألفي سنة في الكتاب. **وجاءت سيرة المسيح صورة طبق الأصل لها.**

ففي النبوة مدى ألفي سنة إعجاز إلهي؛ وفي تحقيقها طبق الأصل إعجاز أوفى. فالنبوة والسيرة شاهدان لشخصية يسوع المسيح، ولصحة رسالته، وتجعلان المسيح سيد الأنبياء والمرسلين، وخاتمتهم الموعود.

ونبوءات الكتاب مدى ألفي سنة، من إبراهيم إلى موسى إلى داود إلى أشعيا إلى دانيال إلى المسيح، لم تتحقق إلاَّ في يسوع الناصري، ولا يمكن أن تتحقق في غيره : إنها سلسلة عقد فريد، **إذا انفرطت واحدة منها انفرط العقد كله.**

فالكتاب في العهد القديم، والإنجيل في العهد الجديد، كلاهما يشهدان معاً أن يسوع الناصري هو المسيح الموعود. ونرى في الإنجيل أن المسيح المشهود أعظم من المسيح الموعود. فقد جاء تحقيق النبؤات في يسوع المسيح أعظم من النبؤات نفسها.

فالإنجيل كمال الكتاب؛ والمسيح خاتَم وخاتِمة النبوة والكتاب. والكتاب والإنجيل يشهدان ليسوع أنه المسيح الذي تحققت فيه الأوصاف والألقاب في النبوة والتاريخ.

تلك هي «مسيحية» يسوع في الإنجيل بحسب متى.

*

وفي ختام هذا البحث لا بدَّ من ملاحظة **ظاهرة كبرى** في الإنجيل : إن يسوع يتمنّع في أول أمره من إعلان نفسه «المسيح» ، ويمنع غيره، حتى الشياطين الذين عرفوه، وحتى رسله الذين من سيرته ودعوته، ومن وحي الله لهم، عرفوا سرّ «مسيحيته» ، من إعلانها للناس. ولا يتخذ هو نفسه اسم «ابن داود» المرادف الشعبي لاسم «المسيح» . فما هو سر تحفظ يسوع في أول أمره !

لم يشك يسوع من نفسه أبداً أنه المسيح؛ وكل أعماله وأقواله، وسيرته ودعوته، دليل ذلك. إنما تريث في ذلك لأسباب يظهر لنا منها ثلاثة : الأول أن تكشفه أعماله أكثر من أقواله، كما يظهر من موقفه في الوفد الذي بعثه المعمدان، وهو في السجن، ليستطلع أخبار يسوع وهل هو المسيح الآتي : أجابهم بالمعجزات لا بالتصاريح : «انطلقوا واعلموا يوحنا بما تسمعون وترون :

العمي يبصرون! والعرج يمشون! والبرص يطهرون! والصم يسمعون! والموتى ينهضون! والمساكين يبشرون! ـ (وكلها معجزات نبوية تدل على المسيح) ـ وطوبى لمن لا يشك فيَّ » (١١ : ٢ ـ ٦). والثاني سوء فهم الشعب لمهمة المسيح : كان في نظرهم « ابن داود » الملك القومي الذي يفرض سيطرة إسرائيل على العالم؛ فينتج عن ذلك تحسب السلطة الرومانية لكل حركة سياسية أو دينية تقوم باسم « المسيح » فيقضون عليها بالسيف والدم! والثالث، يسوع يعلم أن المسيح المشهود أعظم بكثير من المسيح الموعود.

فاتخذ لنفسه اللقب الذي يشير ولا يستثير : « ابن البشر » الذي يؤسس « ملكوت الله » كما رآه دانيال.

لكن لما كشفته أعماله المعجزة فنادى به الشعب باسم « ابن داود » في الجليل (٩ : ٢٧) ثم في اليهودية (٢٠ : ٣٠)، قبل النداء الشعبي وأيّده بالمعجزة الناطقة. ولمّا زال أوان التحفّظ، وجاء الوقت الحاسم دخل أورشليم دخول الفاتحين على أناشيد الشعب « لابن داود » . ولمَّا حذَّره أهل السلطة من هذا النداء الشعبي، أجاب : « إذا سكت هؤلاء نطقت الحجارة » ! وفي الجدل الحاسم الذي عجّل في اغتياله أفحم الجميع بهذا التحدي : إن المسيح هو « ابن داود وربه » معاً (٢٢ : ٤٥). وكان الإعلان الرسمي في مجلس اليهود الأعلى، السنهدرين في محاكمته : فشهد أنه « المسيح ابن الله » واستشهد في سبيل شهادته.

فلم يتنكر يسوع لتسميته « المسيح » عندما يطلب السكوت من المرضى الذين يشفيهم بمعجزة (٨ : ٤)، ولا عندما يمنع الرسل من إعلان « مسيحيته » للناس بعد الشهادة بها (متى ١٦ : ٢٠)، وبعد مشاهدتها تتجلى فيه (١٧ : ٩). وإعلانه المتواتر أنه « ابن البشر » ، مؤسس « ملكوت الله » على الأرض، يكفي من مطابقة السيرة للنبوة للشهادة أنه المسيح. وفي محاكمته والحكم عليه بالإعدام، بسبب دعوته وشهادته أنه « المسيح، ابن الله » ، ما يجعل الإنجيل كله إنجيل « مسيحية » يسوع، وإنجيل إلهيته.

بحث خامس

إنجيل « إلهيته » يسوع المسيح

كان هدف الإنجيل بحسب متى إعلان « مسيحية » يسوع الناصري، ولم يكن هدفه المباشر إعلان « إلهيته » بطريقة شعبية مثل مرقس، ولا خصوصاً مثل يوحنا بطريقة كلامية صوفية. إنما ترد « إلهية » المسيح عند متى صفة لازمة « لمسيحيته » ، لأن المسيح المشهود أسمى من المسيح الموعود، بسبب سرّ شخصيته : إنه « المسيح، ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦).

يظهر يسوع المسيح ذلك بأحواله وأعماله، أكثر منه بأقواله وألقابه.

أولاً : أحوال يسوع المسيح برهان إلهيته

أحوال المسيح من المهد إلى اللحد، ومن الأرض إلى السماء، كلها تدل على أنه ابن مريم وابن الله العلي، « عمَّانوئيل » (متى ١ : ٢٣)؛ « ابن داود » و « ابن الله الحي » معاً (١٦ : ١٦). فسيرته بحسب الظاهر سيرة بشر، لكنها في باطنها وحقيقتها سيرة لأعظم من بشر، سيرة أقرب إلى السماءِ منها إلى الأرض، سيرة ترفعه فوق المخلوق إلى حالة الخالق، سيرة كلمة الله المتأنس، « عمانوئيل » .

١ـ **فمولده المعجز** من أم لم يمسسها بشر يرفعه منذ مولده فوق الأولياء

والأنبياء، والمرسلين أجمعين، لأنها معجزة لا مثيل لها في تاريخ البشرية؛ ويفسرها لقبه في النبوة : « عمانوئيل أي الله معنا » (متى ١ : ٢٢ قابل أشعيا ٧ : ١٤).

٢ ـ **في حداثته** يختلف إلى الهيكل ويجالس علماءَه ويباحثهم في الكتاب. وإذ يدهش لذلك مريم ويوسف يجيبهما : « إنه ينبغي لي أن أكون في ما لأبي » (لوقا ٢ : ٤٩). فهو يشعر منذ صباه ببنوته الخاصة لله أبيه.

٣ ـ **وفي عماده** يرى « السماوات قد انفتحت له، وروح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليه؛ وإذا صوت من السماوات يقول : هذا هو ابني الحبيب، الذي فيه كل رضاي » (٣ : ١٦ ـ ١٧). وسنرى شيئاً فشيئاً أن التعبير « ابن الله » الذي يعلنه الآب من السماء، ليس على سبيل المجاز، بل في الحقيقة والواقع.

٤ ـ **وفي دعوته الأولى** ينسب لذاته صفات إلهية. فشريعة موسى كانت في نظرهم « قديمة » مثل « القديم » أيَ غير مخلوقة. وها يسوع منذ خطبته الأولى يتحداها ويطورها ويكملها : « سمعتم أنه قيل للأولين ... أما أنا فأقول لكم » ! (٥ : ٢٢ و٢٨ و٣٢ و٣٤ و٣٩)، فكأنه من منزلة منزلها. والله وحده، في عرف جميع الناس، له السلطان لمغفرة الخطايا، وها يسوع ينسب لذاته سلطان الله في مغفرة الخطايا، ويؤيد سلطانه الإلهي بمعجزة، في حادث مخلّع كفرناحوم (٩ : ١ ـ ٨). وكان السبت تأسيساً إلهياً، من ينتهكه يقتل قتلاً؛ وها يسوع يعلن أنه هو « رب السبت أيضاً » (١٢ : ٨).

٥ ـ بعد سنة، **على مفترق الطريق**، وقد كشفت تصاريحه ومعجزاته حقيقته، يحرج تلاميذه بالسؤال الأكبر : « مَن ترى في نظر الناس، ابن البشر » ؟ فأجاب للحال بطرس، باسم الرسل : « أنت المسيح ابن الله الحي » (متى ١٦ : ١٦). ويقتصر الجواب عند مرقس ولوقا على القول : « أنت المسيح » أي المسيح بكامل شخصيته؛ فيفسره متى : « أنت المسيح، ابن الله

الحي ›› . وبما أن ‹‹ بنوته ›› كشف إلهي، لا مشهد بشري، أعلن المسيح للحال أنه ‹‹ ليس اللحم والدم أعلنا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات ›› (١٦ : ١٧). فالعلم بإلهية المسيح كشف إلهي أكثر مما هو علم بشري يقوم على الاستقراء والاستدلال.

٦ ـ وبعد ‹‹ ستة أيام ›› ، من هذا الحادث الجلل، يكشف يسوع للمقربين من رسله أنه في حقيقته وذاته ‹‹ ابن الله ›› في تجلـّيه أمامهم على سفح جبل الشيخ، وإن حجبت بشريته إلهيته : ‹‹ تجلـّى أمامهم، فأضاء وجهه كالشمس! وصارت ثيابه بيضاء كالنور! ›› كأن لاهوته يشعّ من خلال بشريته. ويؤكد معنى المشهد ‹‹ غمامة نيّرة قد ظللتهم ›› ، وهي في الكتاب رمز متواتر لحضور الله : ‹‹ وإذا صوت من الغمامة يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي فيه كل رضاي ›› (١٧ : ٢ ـ ٦). فحاله تكشف سره. وصوت الله يعلن بنوته الإلهية، ليؤكد شهادة الرسل قبل ‹‹ ستة أيام ›› . ففي الموقفين، لقب ‹‹ابن الله ›› لا يمكن أن يكون مجازاً كناية عن ‹‹ المسيح ›› ، بل هو إعلان سر شخصية المسيح.

٧ ـ **وفي دعوته ورسالته،** يسمونه ‹‹ ابن الله ›› ، كما يلقبونه ‹‹ ابن داود ›› فيقبل الاسم ويؤكده، وهو كفر إذا لم يكن الحقيقة ذاتها. أعلنه الشياطين الساكنون في المجنونين الجدريّين : ‹‹ ما لنا ولك يا ابن الله ؟ أجئت إلى ههنا لتعذبنا قبل الأوان ›› ؟ (٨ : ٢٩)؛ فهلع الشياطين من حضوره، وسلطانه عليهم، وإقرارهم بصفته، دليل سره. وذات ليلة كان هو يصلي على الجبل، وتلاميذه يجتازون البحيرة. فهبت عليها ريح عاصفة كادت تغرقهم. وإذا بهم يشاهدون يسوع ماشياً على الماء، في وسط البحيرة. ويأمر بطرس أن يمشي مثله. ثم بإشارة منه يأمر البحر بالسكوت فيسكت. حقـّاً من يرى هذا السلطان الإلهي على الطبيعة والكون يهتف مع أهل السفينة كلهم : ‹‹ أنت حقاً ابن الله ›› (١٤ : ٣٣). ويسوع يقبل النعت والشهادة وسجود الحاضرين له.

٨ ـ وكلما سارت الدعوة، نسب يسوع لذاته **صفات إلهية** تجعله في وحدة السلطان ووحدة العمل ووحدة العلم مع الله الآب نفسه : « لقد آتاني أبي كل شيء! ولا أحد يعرف الابن إلاّ الآب! ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له » (١١ : ٢٧). فسر المسيح، بصفته « ابن الله » ، « الابن » على الإطلاق، محجوب عن المخلوق كسر الله نفسه، فلا يعرف سرّ « الابن » إلاّ الآب وحده. والمسيح يكشف سر الآب، بالكشف عن سرّه هو « الابن » . فوحدة العلم والسلطان بين المسيح الابن، والله الآب، برهان إلهية المسيح، لأن الاشتراك في صفة من صفات الذات هو اشتراك في الذات نفسها، كما هو معروف في علم الكلام.

٩ ـ ويسوع **يعرف غيب السماوات والأرض،** ويعرف سرائر الناس وسرائر الكون، ويصل علمه كما سبق، إلى معرفة سر الله نفسه. ذات مرة جاء جباة الهيكل يطلبون الضريبة من يسوع، بواسطة بطرس. فلما جاءَ يسألها من معلمه، ابتدره يسوع بالاحتجاج عليها تجاه أبناء البيت؛ ثم يرسله ليصطاد أول سمكة تقع في شبكته، فيجد في فيها ما يدفع عن المعلم وتلميذه (١٧ : ٢٤ ـ ٢٧). فهو يجمع المعجزة إلى معرفة الغيب. ولا يعرف غيب السماوات والأرض إلاَّ الله وحده ومسيحه.

١٠ ـ وتأتي **الأيام الحاسمة،** فينطلق يسوع من كل تحفظاته. ففي الجدال الحاسم في الهيكل مع السلطات والأحزاب الدينية، يختم لهم جداله لهم بإعلانه بنوته وإلهيته، من نبوءة داود : إنه هو « ابن داود وربه » معاً (متى ٢٢ : ٤١ ـ ٤٥).

١١ ـ وفي خطاب خطير لتلاميذه على جبل الزيتون، بعد ذلك الإعلان المذهل، يصف لهم نهاية إسرائيل ثم نهاية العالم، وسلطانه فيهما. وفي وصف يوم الدين يجعل نفسه « ملك يوم الدين » ، يجلس على عرش الله، تحف به الملائكة.

فيعطي السماء للصالحين، ويرسل إلى جهنم الكافرين. وصفة « ملك يوم الدين » هي ميزة الرحمان الرحيم، رب العالمين (٢٥ : ٣١ ـ ٤٦).

١٢ ـ أخيراً تأتي **محاكمة يسوع على ادعائه الألوهية.** يحقق السنهدرين، مجلس اليهود الأعلى، معه. فيفشل التحقيق. ولم يبق لدى الحبر الأعظم سوى اليمين سبيلاً إلى اليقين. « فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح، ابن الله ؟ فقال له يسوع : أنت قلت! (هذا هو الجواب القانوني). وأيضاً أقول لكم : إنكم منذ الآن تبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وآتياً على سحاب السماء ... أجابوا : إنه يستوجب الموت » (٢٦ : ٦٣ ـ ٦٦). يسوع يعلم أن الموت المحتوم معلق على شهادته، فيشهد للحق الذي فيه. فيحكمون عليه بالإعدام لكفره! وهو لم يكفر بادعائه أنه المسيح ـ فقد ادعى ذلك غيره، قبله وبعده، وما كفروهم، بل تبعوهم ـ أمَّا يسوع فيحكمون عليه بالإعدام لأنه ادعى أنه « ابن الله » . فشهد واستشهد في سبيل شهادته. وجاء حكم الله فأقامه من الموت والقبر ورفعه إليه إلى عرشه في السماء، ليشهد لشهادته واستشهاده، برهاناً على حقيقة ذاته.

فمن يقول إنه « ابن الله » ويموت في سبيل شهادته، ويقوم من الموت، ويرتفع إلى السماء حيّاً، ويبقى خالداً على الأرض وفي السماء، يؤمن به الناس، إنه « ابن الله » .

*

* *

ثانياً : أعمال يسوع المسيح تظهر إلهيته

ينسب لذاته **أعمالاً وميزات إلهية**، من التجديف نسبتها لبشر! أو لمخلوق!

١ـ إنه سيد الشريعة، شريعة الله. كانت الشريعة، التوراة، في نظر

اليهود إرادة الله السامية، كل نبي مقيد بها حتى تصح نبؤته. لا بل صارت في نظرهم كلام الله الذاتي، والناموس الأزلي، النازل على موسى. وها يسوع المسيح، منذ خطبته الأولى يكمل الكلمات العشر الإلهية، وأركان الدين والبر من شهادة وصلاة وزكاة وصوم، ويردّد كل مرة : « سمعتم أنه قيل للأولين ... وأنا أقول لكم » ! لنلاحظ الأدب الجم في إعلانه : من القائل الأول ؟ الكل يعلمون أنه الله؛ فيتحاشى التطاول على كرامة أبيه، وينقل الفعل من المعلوم إلى المجهول. ولكن مع ذلك فإنه يساوي نفسه بالله في تشريع الدين للبشر : « وأنا أقول لكم » (متى ٥ : ٢٢ و٢٨ و٣٢ و٣٤ و٣٩)؛ انه مثل الله المشترع الأعظم.

٢ـ إنه سيد الإنسان : معجزات الأشفية التي ينثرها كأوراق الخريف، بكلمة منه، أو بإشارة، أو بلمس أهداب ثوبه، تظهر فيه شخصاً أسمى من الإنسان، لا بل من المخلوق. لقد جاء بني إسرائيل أنبياء عديدون عملوا معجزات شتى؛ ولكن « لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل » !

٣ـ إنه سيد الحياة والموت : يقيم ابنة يائير من الموت (متى ٩ : ١٨ ـ ٢٩)؛ ويقيم ابن الأرملة (لوقا)؛ ولعازر بعد أربعة أيام (يوحنا). وهذا السلطان لا يطلبه مثل الأنبياء من الله أبيه، بل يمارسه من تلقاء ذاته، بسلطانه الخاص. ومن غير الله له سلطان على الموت والحياة ؟!

٤ـ إنه سيد الطبيعة : يسكّن عاصفة في البحر : « نهض وزجر الريح والبحر فساد هدوء عظيم! ـ من ترى هذا حتى يطيعه الريح والبحر! » (متى ٨ : ٢٣ ـ ٢٧). يكثّر الخبز، مرة أولى فيشبع خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والصبيان، من خمسة أرغفة (١٤ : ١٣ ـ ٢١) ومرة ثانية يشبع أربعة آلاف من سبعة أرغفة (١٥ : ٢٩ ـ ٣٩). يمشي على ماء البحر كما على اليبس،

ويجعل رسوله بطرس يمشي مثله (١٤ ـ ٢٢ ـ ٣٣). ولا يسود الطبيعة بهذا الإعجاز إلاّ الله سيد الطبيعة.

٥ ـ **إنه سيد الغفران الإلهي للخطيئة :** يغفر لمخلع كفرناحوم خطاياه : « ولكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا ـ عندئذ قال للمخلع ـ قم احمل فراشك، وامض إلى بيتك » ! (٩ : ١ ـ ٩). وعلماء اليهود الحاضرون يقولون في أنفسهم: « هذا يجدّف! من يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده » ؟ فبمعجزة مزدوجة، يعرف سرائرهم، ويشفي المخلع بكلمة، يؤيد سلطانه الذاتي على غفران الخطايا. وبما أن سلطانه هو سلطان الله، فإنه يشرك فيه رسله (١٨ : ١٨) ويميّز فيه رسوله بطرس (١٦ : ١٦)! والاشتراك بصفة من صفات الذات هو اشتراك في الذات.

٦ ـ **إنه سيد الدين،** في علاقة العبد بربه : « لا أحد يعرف الابن إلاَّ الآب! ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له » (١١ : ٢٧) فهو السبيل الوحيد إلى الله. في اتباعه راحة « جميع المتعبين والمثقلين » (١١ : ٢٨ ـ ٣٠). ومن أحب أباً أو أماً، ومن أحب ابناً أو بنتاً أكثر منه فلن يستحقه، ولن يدخل الجنة (١٠ : ٣٧). « ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني » (١٠ : ٣٨). من استشهد من أجله نال الجنة (١٦ : ٢٥). ويكرر مراراً : « إن ابن البشر سوف يأتي في مجد أبيه، تحف به الملائكة، وعندئذ يجازي كل أحد بحسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧؛ ٢٤ : ٣٠ ـ ٣١؛ ٢٥ : ٣١ ـ ٣٦). فمن يكون « ملك يوم الدين » (٢٥ : ٣٤) يحاسب كل إنسان على أعماله، يكون سيد الدين.

٧ـ **إنه ملك يوم الدين.** في عقيدة البشر أجمعين، وفي كتاب الله العزيز، إن « ملك يوم الدين » هو الرحمان الرحيم وحده. ويسوع المسيح يدعي

لنفسه السلطان الإلهي للحكم يوم الدين، وهو على عرش الله، تحف به الملائكة، يعطي الخلود في الجنة لمن يشاء، والخلود في النار لمن يشاء، مع مراعاة الجزاء لكل بحسب أعماله. هذه الميزة هي أسمى مظهر من مظاهر إلهية يسوع المسيح (٢٥ : ٣١ ـ ٤٦) : إنه « ملك يوم الدين » مثل الرحمان الرحيم، رب العالمين.

فتلك الأعمال والميزات الإلهية تشهد ليسوع المسيح أنه « ابن الله » .

*
* *

ثالثاً : أقوال يسوع المسيح تدرّج لإظهار إلهيته

إن أقوال يسوع المسيح في ذاته تُظهر أنه أسمى من البشر والملائكة والمخلوقين أجمعين. فهو يتخذ لنفسه صفات ترفعه فوق المخلوق إلى الخالق.

هنا لا بدَّ من التكرار بعض الشيء لأن الأحوال والأعمال والأقوال المعجزة التي تدل على إلهية المسيح تُؤخذ كلها من مواقف ومشاهد واحدة.

١ـ كل الأنبياء كان من قبلهم « كتاب موسى إماماً » . وكان اليهود في زمن المسيح يعتبرون الشريعة **قديمة** عند الله في « كتاب مكنون » ، على « لوح محفوظ » . فالتصدّي لها تحدٍّ لله نفسه. وها يسوع منذ خطبته التأسيسية يعطينا شرعة الملكوت بقوله مراراً : « سمعتم أنه قيل للأولين ... أما أنا فأقول لكم (متى ٥ : ٢٢ و٢٨ و٣٢ و٣٤ و٣٩) إن المسيح هو المشترع الأعظم مثل الله نفسه.

٢ ـ إنه أعظم من يونان ومن الأنبياء أجمعين (١٢ : ٤١). قال لتلاميذه : « أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع! الحق أقول لكم :

إن كثيرين من الأنبياء والأولياء قد اشتهوا أن يروا ما أنتم رائون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا » (متى ١٣ : ١٦ ـ ١٧).

٣ ـ كان يسوع ابن داود، والشعب يناديه « ابن داود » فهو المسيح الملك. كان سليمان عندهم فخر الملوك؛ « وها هنا أعظم من سليمان » ومن كل الملوك (١٢ : ٤٢).

٤ ـ كان السبت تأسيس الله، وعنوان شريعتهم، وعنفوان كبريائهم. ويسوع يقول: « إن ابن البشر هو رب السبت أيضاً » (١٢ : ٧).

٥ ـ كل الناس يعرفون إنه لا يقدر أن يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده. وها يسوع يقول لمقعد كفرناحوم: « يا بني مغفورة لك خطاياك » ! ويؤيد سلطانه الإلهي بمعجزة إلهية: « لكي تعلموا أن ابن البشر له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا » (متى ٩ : ١ ـ ٨).

٦ ـ إنه يقضي لذاته من العبادة والمحبة ما يقتضيه الله نفسه : « من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلن يستحقني! ومن أحب ابناً أو بنتاً أكثر مني فلن يستحقني! ومن لا يحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني فلن يستحقني » (١٠ : ٣٧ ـ ٣٨). والاستشهاد في سبيله له الجنة: « من بذل نفسه من أجلي وجدها » (١٠ : ٣٩). والشهادة له أمام الناس وثيقة بدخول الجنة: « كل من يشهد لي قدام الناس، أشهد أنا أيضاً له قدام أبي الذي في السماوات! وكل من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات » (١٠ : ٣٢ ـ ٣٣).

٧ ـ ينسب المسيح إلى نفسه سلطان الله المطلق : « لقد آتاني أبي كل شيء » ! ودليل ذلك هذه الكلمة المعجزة في المعرفة المتبادلة المتساوية بين الله والمسيح : « لا أحد يعرف الابن إلاَّ الآب! ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن! ومن يريد الابن أن يكشف له » (متى ١١ : ٢٧).

فما بين المسيح والله وحدة في السلطان، ووحدة في العلم، ووحدة في الاسم الأعظم « الآب والابن » .

تلك الادّعاءات أحد ثلاثة : إِمَّا جنون العظمة! وإما تجديف كافر! وإِمَّا قول الحق! ولا يجرؤ أحد أن يتهم المسيح بالجنون والتجديف، ولا بالوهم أو الإيهام. إنما هو قول الحق الذي فيه يمترون.

*

* *

رابعاً : أسماء يسوع المسيح تدل دليلاً قاطعاً على إلهيته

في الألقاب الستة التي رأينا في « مسيحية » يسوع، نقتصر هنا على اسمين متواترين في الإنجيل بحسب متى : « ابن الله » ، و « ابن البشر » .

١ـ لقب « ابن الله »

إن هذا الاسم الكريم أطلقه الله من السماء على يسوع المسيح؛ ونادى به الشياطين، والناس؛ وأعلنه يسوع مراراً، تارة بالتلميح وطوراً بالتصريح، صفة لحقيقة شخصيته.

والمشكل القائم منذ القديم[١] هل يُحمل اسم « ابن الله » على المجاز، أم على الحقيقة والواقع.

لا تنظر إلى حقيقته في أديان الشرك. **لكن الكتاب يستعمله على سبيل المجاز.** فالملائكة هم « أبناء الله » (مز ٨٩ : ٨؛ أيوب ١ : ٦؛ ٢ : ١؛ ٣٨ : ٧)؛ وإسرائيل هو « ابني البكر » (خر ٤ : ٢٢؛ التثنية ٣٢ : ٦؛ هوشع

---

(١) قابل الغزالي : الرد الجميل على إلهية المسيح بصريح الإنجيل.

٢ : ١؛ أشعيا ١ : ٢)؛ والصديقون خصوصاً هم أبناء الله (مز ٧٣ : ١٥؛ الحكمة ٢ : ١٦ و١٨؛ ٥ : ٥)؛ والمسيح في رمزه وفي حقيقته (٢ صمو ٧ : ١٤؛ مر ٢ : ٧؛ ٨٩ : ٢٧ ـ ٢٨).

فهل اسم « ابن الله » في الإنجيل يُحمل على المجاز، أم على الحقيقة ؟ لقد رأينا أن الإنجيل يدعو إلى بنوة الإنسان من الله، ويسمي تلاميذه « أبناء الله » (٥ : ٩ و٤٥)؛ فلا شك أنه يستعمل الاسم على سبيل المجاز، في هذه المواطن.

أفلا يكون اسم « ابن الله » بالنسبة إلى المسيح هو أيضاً على سبيل المجاز ؟

إن **صريح الإنجيل** يسمي المسيح « ابن الله » على سبيل الحقيقة، لا على سبيل المجاز.

فيسوع يميّز في التسمية بينه وبين البشر في اسم « أبناء الله » . فهو يقول : « أبوكم الذي في السماوات » ، لكنه يقول عن نفسه : « أبي » . وفي الأرامية، كما نقل الإنجيل في اليونانية، يقول : « أبّا » أي « يا أبي » ، كما نقول في لغة العصر : « بابا » . ويظهر ذلك جليّاً في قوله : « لقد آتاني أبي كل سلطان » (١١ : ٢٧)، « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض » (٢٨ : ١٨)؛ **فهو ينسب إلى بنوته سلطاناً إلهيّاً** مطلقاً : والاشتراك في صفة من صفات الذات في الله هو اشتراك في الذات نفسها، كما هو مشهور في علم الكلام، خصوصاً عندما تبلغ الصفة المشتركة مبلغ الإطلاق، ومبلغ المساواة في صفة من صفات الذات : « لا أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن » ! (١١ : ٢٧). فوحدة في العلم، ووحدة في السلطان، ووحدة في الكشف والتنزيل، إنما هي برهان الوحدة في الذات بين « الآب » و « الابن » على الإطلاق.

ومتى، مثل مرقس ولوقا، يجمع في شهادة الرسل، صحابة المسيح، بإلهيّته بين الحدثين العظيمين في تاريخ السيرة والدعوة : شهادة الرسل بإلهيّة المسيح في قيصرية

فيلبّس، وشهادة الله في تجلّي المسيح على الجبل المجاور. فقد وصل الرسل، بعد سنة من الدعوة إلى مفترق الطرق في إيمانهم بالمسيح، بعد المعجزات والتصاريح. فاختلى بهم يسوع وسألهم السؤال الأكبر : « من ترى، في نظر الناس، ابن البشر ؟ أي هو نفسه. فأجابوا بأقوال الناس. « فقال لهم : **وفي نظركم أنتم مَن أنا ؟** أجاب سمعان بطرس، قال : أنت المسيح، ابن الله الحي! أجاب يسوع، قال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا، فإنه ليس اللحم ولا الدم أعلنا لك ذلك، بل أبي الذي في السماوات » (متى ١٦ : ١٣ ـ ١٧). فالكشف الرباني ليس لمسيحية يسوع، إنها تظهر من أعمال يسوع وإشاراته. إنما الكشف الرباني الذي يلحظه يسوع في جواب بطرس، إنما هو الكشف عن بنوة المسيح من الله الحي. فهذا التقييم من قبل المسيح دليل على أن الاسم « ابن الله الحي » حقيقي لا مجازي؛ فلو كان على سبيل المجاز لما احتاج إلى كشف رباني، ولا إلى إعلان المسيح.

وتأتي ظروف التجلّي فتكشف أن الاسم الكريم « ابن الله » يجب أن يحمل على الحقيقة، لا على المجاز : « تجلّى أمامهم، فأضاء وجهه كالشمس! وصارت ثيابه بيضاء كالنور » كأن إلهيّته تشع من خلال بشريته. « وإذا غمامة نيّرة قد ظلّلتهم » والغمامة النيرة، في لغة الكتاب، دليل على حضور الله. « وإذا صوت من الغمامة يقول : « هذا هو ابني الحبيب الذي فيه رضاي، فاسمعوا له » (متى ١٧ : ١ ـ ٥). فتجلّي المسيح، ونزول روح القدس عليه في الغمامة النيّرة، وصوت الآب من الغمامة، كلها دلائل على معنى قول الله الآب: « هذا هو ابني الحبيب » . إنها بنوة حقيقية، لا مجازية. فلو كانت مجازية لما كانت الظروف المعجزة، ولا احتاجت إلى كشف ربّاني، وإعلان على لسان الله الآب نفسه. وهكذا فهمها الرسل أنفسهم. فبطرس يصف ذلك بقوله، وهو يدعو لإلهية يسوع المسيح : « إنّا لم نتبع خرافات مصنّعة إذا أعلمناكم بقدرة ربنا يسوع المسيح ورجوعه، **بل لأنا كنا معاينين جلاله :** فإنه قد أخذ من الله الآب

الكرامة والمجد، إذ جاءَه من المجد الفخيم صوت يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي فيه رضاي! وهذا الصوت قد سمعناه نحن آتياً من السماء حين كنا معه في الجبل المقدّس » (١ بط ١ : ١٦ ـ ١٨).

والجدل الحاسم في الأسبوع الحاسم يحسم الشك بين المجاز والحقيقة. جادله وفد رسمي من السنهدرين، مجلس اليهود الأعلى، في سلطانه وتعليمه في الهيكل. فأجاب يمثل الكرامين القتلة، في تاريخ النبوة والكتاب والملكوت، ومنزلته منه. فجميع الأنبياء في نظره هم « عبيد الله » ؛ أمَّا هو فإنه « الابن » ، ابن صاحب الكرم أي الله، و « **وريثه** » في كرمه وملكوته، يتصرّف في ملكوت الله تصرف الابن في ملك أبيه، فيحكم بنقل الملكوت من بني إسرائيل إلى أمة أخرى تؤدي ثماره (متى ٢١ : ٣٣ ـ ٣٩). فهذا التمييز بين الأنبياء « عبيد الله » وبينه هو « الابن » و « الوارث » برهان على أنه يأخذ اسم « ابن الله » على حقيقته. يؤيد ذلك التصريح الثاني الذي ختم به جداله مع أحزاب اليهود، فتحدّاهم بالتصريح عن حقيقة شخصيته، بنبوءة داود : إنه « **ابن داود وربه** » **معاً** (٢٢ : ٤١ ـ ٤٥). فهذا التصريح يرفع كل إشكال في معنى المسيح « ابن الله » : إن يسوع يأخذ الاسم على حقيقته ومعناه الحق في الواقع؛ فلا سبيل إلى المعنى المجازي.

ومحاكمة يسوع أمام السنهدرين تحسم كل شك في معنى المسيح « ابن الله » . فشل التحقيق، فاستحلف الحبر الأعظم يسوع، « باسم الله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح، ابن الله » ؟ ليس السؤال موجهاً إلى « مسيحية » يسوع، فادّعاؤها ليس كفراً يستحق الإعدام : إنما الكفر كله في نظرهم بادعاء الألوهية. فأجاب يسوع بثقة الواثق من نفسه، وهو يعلم أنه يحكم على نفسه بالإعدام : « أنت قلت » ! هذه لغة القانون في متى. مرقس يقول : « أأنت المسيح ابن المبارك ؟ ـ فقال له يسوع : « أنا هو » (مر ١٤ : ٦١ ـ ٦٢) هذه لغة الحديث والتاريخ. ثم استشهد يسوع لإلهيته بنبوءة دانيال : « وأيضاً أقول لكم : منذ

الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله)، وآتياً على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤). فالجلوس عن يمين الله مساواة له تعالى على عرشه؛ والمجيء على سحاب السماء إشارة إلى رجوعه، « على سحاب السماء » مثل الله، ملك يوم الدين.

فالتصريح بالبنوّة، ثم التكفير والحكم بالإعدام، **برهان قاطع** على أن يسوع اعتبر وعبّر عن ذاته أنه بالحقيقة « ابن الله » ، وقد فهم مجلس السنهدرين ذلك على الحقيقة، لا على المجاز، لأنهم حكموا عليه بالإعدام. واستشهاد المسيح في سبيل هذه الشهادة، **برهان جازم** على معنى التعبير الحقيقي لا المجازي.

وفي خاتمة الإنجيل القول الفصل في المعنى الحقيقي. فيسوع قبل رفعه إلى السماء يعلن عن ذاته وسلطانه، عند تسليم الرسالة المسيحية العامة لرسله : « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض! فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والروح القدس؛ وها أنا ذا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر » (٢٨: ١٨ ـ ١٩). فاسم « الابن » مثل « الاب » على الإطلاق يجعلهما في وحدة الذات الإلهية، كما يظهر من سلطانه المطلق، ومن حياته الخالدة في كنيسته إلى نهاية الدهر : إنه يشترك بالاسم والصفات في ذات الله.

فهذه الخاتمة الحاسمة في الإنجيل تجعل اسم « ابن الله » للمسيح، في الإنجيل كله، بالمعنى الحقيقي، لا بالمعنى المجازي.

فالمسيح هو حقيقة « ابن الله » بصريح الإنجيل.

*

٢ـ لقب « ابن البشر »

لقد اختار السيد المسيح لقب « ابن البشر » للكناية به عن نفسه. وفي

الإنجيل كله إشارات إلى معناه : لكن لا يتضح المعنى المقصود إلاّ في جلسة المحاكمة، فبعد أن شهد بأنه « المسيح ابن الله » ، استشهد بنبوءة دانيال في « ابن البشر » ليؤيد شهادته المزدوجة. وبسبب الشهادة والاستشهاد بدانيال كفّروه وحكموا عليه بالإعدام (متى ٢٦ : ٦٣ ـ ٦٤). فيسوع بالكناية عن نفسه أنه « ابن البشر » يقصد في الإنجيل كله أنه هو « ابن البشر » المذكور في دانيال : **فلا يصح تفسير هذا اللقب إلا بهذه النبوءة.**

تأتي نبوءة دانيال في سفره، الفصل السابع : على أثر الممالك الممثلة بحيوانات أربعة هائلة « رأيت في رؤى الليل، فإذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء؛ فبلغ إلى القديم، وقُرّب إلى أمامه. وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً. فجميع الشعوب والأمم والألسنة **يعبدونه!** وسلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض ... ويعطي الملك والسلطان وعظيم الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسي العلي وسيكون ملكه ملكاً أبدياً، ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه » (٧ : ١٣ ـ ١٥ مع ٢٧).

هذه النبوة مثل غيرها لها معنيان : المعنى الأول شخصي (٧ : ١٣ ـ ١٥) والمعنى الثاني جُمَاعي (٧ : ١٨ و٢٢)؛ والمعنى الجماعي يتمثل تمثيلاً صحيحاً بالمعنى الفردي الشخصي : لا ينال « شعب قديسي العلي » تلك المنزلة إلاّ « بابن البشر » الذي يتميّز بأوصافه عن شعبه. فهو يأتي « على سحاب السماء » ، فمصدره سماوي؛ « فبلغ إلى القديم وقُرّب إلى أمامه » فمنزلته عند عرش الجلالة؛ « وسلطانه سلطان أبدي لا يزول » فسلطانه من سلطان الله نفسه.

فهو « ابن البشر » ، وأوصافه أوصاف إلهية. وفي التفسير اليهودي اللاحق أن ابن البشر محفوظ عند الله في السماء حتى ملء الزمان.

فكان هذا اللقب النبويّ للمسيح الموعود أقرب الألقاب إلى المسيح المشهود. لذلك اتخذه يسوع كناية عن نفسه أفضل من سواه.

لقد شك بعضهم في صحة نسبة يسوع هذا اللقب العظيم إلى نفسه. لكنه لو كان من الرسل، لتركيز إيمانهم بالمسيح عليه، لظل استعماله قائماً في دعوة الرسل، ولوجدناه على لسان أحد غير المسيح. لكن يسوع وحده يستعمل هذا اللقب الفخيم لاستيعابه العظيم.

وظن بعضهم أيضاً أن اسم «ابن البشر» لقب مرادف للإنسان، لكل إِنسان. فليس فيه ما يتوهم أهل الإنجيل. إنما يسوع يؤكد فيه حقيقة بشريته. لكن فات هؤلاء القوم أن كل لقب له معنى لغوي ومعنى اصطلاحي: فبحسب المعنى اللغوي قد لا يختلف «ابن البشر» عن كل بشر؛ إنما بحسب **المعنى الاصطلاحي**، وهو المقصود في النبوة والإنجيل، «فابن البشر» شخص سماوي قريب من القديم، سينزل من السماء، عند تمام الزمان، ليقيم ملكوت الله.

وهذا ما ادّعى يسوع في دعوته كلها أنه تحقق فيه؛ وفي محاكمته أعطاه **برهاناً لمسيحيته ولإلهيته.**

١ ـ ففي السنة الأولى بدأ يسوع بإشارات ذات مغزى بعيد. إن ابن البشر له سلطان الله على غفران الخطايا: «إن ابن البشر له السلطان على الأرض لكي يغفر الخطايا» مثل الله؛ وقد أيّد التصريح والسلطان بمعجزة (٩ : ٦). «إن ابن البشر هو رب السبت أيضاً» (١١ : ١٨ ـ ١٩) إن ابن البشر يقارن نفسه بالروح القدس (١٢ :١٣) : فالكفر بابن البشر مثل الكفر بالروح القدس (١٢ : ٣٩ ـ ٤٠). آية يونان في جوف الحوت هي رمز لمصير ابن البشر، ومصير ابن البشر هو آيته الكبرى لأهل زمانه ولكل زمان (١٣ : ٣٧ ـ ٤٣). أخيراً يظهر ابن البشر ملك يوم الدين: «يرسل ابن البشر ملائكته، فيجمعون من ملكوته أهل المعاثر وأهل المآثم، ويلقونهم في أتون النار» (١٣ : ٤١).

٢ ـ وعلى مفترق الطرق، ما بين السنتين من دعوة المسيح، يأتي القول الفصل في سؤال المسيح لرسله: «مَن تُرى، في نظر الناس، ابن البشر ؟ ...

وفي نظركم أنتم، مَن أنا ؟ أجاب سمعان بطرس (باسم الرسل كلهم)، قال : « أنت المسيح ابن الله الحي » (١٦ : ١٣ ـ ١٦). لقد تأكد الرسل من سيرة المسيح ودعوته أن « ابن البشر » هو المسيح، وابن الله الحي معاً. وقد أيد الوحي الرباني إيمانهم وشهادتهم (١٦: ١٧).

٣ ـ لكنّ المسيح كان له عند أشعيا صورتان : صورة « عمانوئيل » الإلهي (٧ : ١٤؛ ٩ : ٥)، وصورة « عبد الله » الذي يفدي شعبه بدمه (٥٣). ومنذ إعلان إيمان الرسل بأن ابن البشر هو « المسيح » و « ابن الله الحي » ، أخذ يفهمهم أن ابن البشر هو أيضاً « عمَّانوئيل » و « عبد الله » الذي يفدي شعبه ببذل دمه : « **ومنذئذ** شرع يسوع يبيّن لتلاميذه أن ينبغي له ... أن يُقتل وأن يقوم في اليوم الثالث » (١٦ : ٢١). فصدم بهذا التصريح صحابته واصطدم بزعيمهم بطرس الذي استنكر، مثل كل اليهود، موت المسيح (متى ١٦ : ٢٢ قابل يوحنا ١٢ : ٣٤). فقضى يسوع سنة أخرى يهيئهم لهذا **الشك الأعظم** قبل وقوعه.

فهو يعود إلى النبوة ذاتها عن مصيره المحتوم في آخر جولة لهم في الجليل (١٧ : ٢٢)؛ وللمرة الثالثة، وهم صاعدون إلى أورشليم (٢٠ :١٧ ـ ١٩).

وينتهز الفرص كلها ليفهمهم أن ابن البشر النازل من السماء هو أيضاً ابن البشر، « عبد الله » الفادي. للحال بعد روعة التجلّي يجمع بين النقيضين (١٧ : ١٢). وكلما تقدم من النهاية المحتومة كان أصرح : إن السيادة في المسيحية خدمة وتضحية، « على مثال ابن البشر الذي لم يأتِ ليُخدم، بل ليَخدم **ويبذل نفسه فدية عن الكثيرين** » (٢٠ : ٢٨). أخيراً في أورشليم يحدّد لهم الزمن : « إن ابن البشر، بعد يومين، يُسلم للصلب » (٢٦ : ٢). وفي العشاء السرّي يبدّل فصح اليهود بالقربان المسيحي، رمز دم المسيح المسفوك على الصليب لإقامة العهد الجديد : « هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عن الجميع لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٨ قابل أشعيا ٥٣ : ١٢).

ونلاحظ أن الإنجيل لا يذكر استشهاد المسيح باسم « عبد الله » كما في نبوءة أشعيا (٥٣)، بل باسم « ابن البشر » كما في نبوءة دانيال (٧ : ١٣)، ليدل على وحدة الشخصية في الصورتين : إن ابن البشر الجالس على سحاب السماء في هيئة الله وهيبته، هو نفسه الذي سيرتفع على الصليب. لقد جمع في نفسه الضدين، **فأعلن بلقب « ابن البشر » بشريته وإلهيته معاً.**

٤ ـ ومع التركيز، في السنة الثانية، على استشهاد « ابن البشر » صلباً، يأتي التركيز على مجد « ابن البشر » الإلهي، في رجوعه المجيد بعد موته. وهو يذكر رجوعين : الأول بالقوة الخفية حالاً بعد استشهاده؛ ثم بالمجد العلني الإلهي في يوم الدين.

في الرجوع الأول بالقوة الخفية يقول : لن تتم الدعوة المسيحية في مدن إسرائيل « حتى يرجع ابن البشر » (١٠ : ٢٣). وبعد التصريح الأول عن استشهاده يذكر رجوعه في الجيل الحاضر : « إن في القائمين ههنا مَن لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » (١٦ : ٢٧ و٢٨).

فهو يذكر لابن البشر رجوعين، لأنه في الأول يشترك معه رسله في مجده : « في عهد التجديد، متى جلس ابن البشر على عرش مجده تجلسون أنتم على اثني عشر كرسياً لتحكموا أسباط إسرائيل (الروحي) الاثني عشر » (١٩ : ٢٨) فحكم الرسل في كنيسة المسيح، دليل مجد المسيح في ملكوته.

وبعد النبوءة بخراب الأمة والدولة والمدينة والهيكل رمزها جميعاً، يذكر رجوع ابن البشر على أنقاضها (٢٤ : ٢٣ ـ ٣٥). ولهذا الرجوع إشارات عديدة في الفصلين (٢٤ ـ ٢٥) تصوّر ما سماه لوقا : « يوم ابن البشر » الذي فيه يتم نقل الملكوت من إسرائيل إلى « أمة أخرى تؤدّي ثماره » (٢١ : ٤٣).

وفي محاكمته، بعد إعلان مسيحيته وإلهيته، يعلن لمجلس القضاء : « منذ

الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (الله) وآتياً على سحاب السماء ›› (٢٦ : ٦٤). ففي قوله : ‹‹ ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة ›› إشارة إلى ظهوره في مجد الله، في الرجوع الأول؛ وفي قوله : ‹‹ آتياً على سحاب السماء ›› إشارة إلى رجوعه الثاني، ملك يوم الدين، بحسب لغة الكتاب في وصف الله نفسه ملك يوم الدين.

وهكذا جمع يسوع في لقب ‹‹ ابن البشر ›› الذي فضله على سواه لأنه أكثر استيعاباً كما في نبوءة دانيال، لقب ‹‹ ابن داود ›› أي المسيح، ولقب ‹‹ ابن الله ›› . ويأخذ لقب ‹‹ ابن البشر ›› معنى الألوهية، بصفة ابن البشر ‹‹ ملك يوم الدين ›› (٢٥ : ٣١ و٣٤)، برهان إلهيّته في أجلى مظاهرها. فإنه عندما يصف ‹‹ ابن البشر ›› نفسه ‹‹ ملك يوم الدين ›› يأخذ صفة الله نفسها ‹‹ الرحمان الرحيم، رب العالمين، ملك يوم الدين ›› .

*

تلك هي بعض دلائل إلهيّة المسيح في الإنجيل بحسب متى.

وقد رأينا أن يسوع يدعم صحة ‹‹ مسيحيته ›› بالاستشهاد بتطبيق نبوءات الكتاب كلها عليه. ونشير إلى أن يسوع **يدعم صحة ‹‹ إلهيته ››** بالمعجزات التي يجريها شهادة له من الله أبيه.

يفصّل الإنجيل بحسب متى نحو ثلاثين معجزة، لا مثيل لها في تاريخ النبوة والكتاب، كما شهد الشعب نفسه : ‹‹ لم يظهر مثل هذا قط في إسرائيل ›› .

وما استثار حماس الشعب هو خصوصاً **المعجزات بالجملة**، يفتتح بها، أو يختتم بها، كل جولة من جولاته في الجليل، وكل رحلة من رحلاته إلى أطراف البلاد. ويذكر الإنجيل بحسب متى هذه المعجزات بالجملة عشر مرات ونيفاً.

أجل ليست المعجزة في حدّ ذاتها برهاناً على تعليم، لأنها خارجة عنه. إنما

المعجزة **هي البرهان الوحيد على صحة إلهيّته**، بها يستشهد الرسول بالله، والله يشهد بها لرسوله. فلا نبوة بلا معجزة.

والمسيح يستشهد بالمعجزة على صحة رسالته وعلى صحة شخصيته، **جملة** : ((إن كنت بروح الله أخرج الشياطين، فذلك دليل على أن ملكوت الله قد حلّ في ما بينكم)) ، بظهور المسيح (١٢ : ١٨)؛ **وتفصيلاً**، كما في ادّعاء سلطان الغفران، وهو سلطان إلهيّ محض: ((لكي تعرفوا أن ابن البشر له السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا)) ، فشفى مخلع كفرناحوم بكلمة منه على مشهد من الجماهير (٩ : ٦ - ٧).

تلك هي **حجيّة الإنجيل** بإثبات النبوة والرسالة، ومسيحية يسوع وإلهيّته، بالمعجزات التي لم يستجمعها سواه. فقد أيّد السيد المسيح الإعجاز في القول، بالإعجاز في العمل، فجمع في إعجازه ما لم يجمعه سواه.

وأثبت بالكلمة والمعجزة والسيرة أنه حقيقة ((ابن الله)) .

فالإنجيل بحسب متى هو أيضاً إنجيل إلهية يسوع المسيح، من أحواله وأعماله وأقواله وألقابه.

بحث سادس

إنجيل الملكوت

في البحثين السابقين، رأينا صفة الرسول، السيد المسيح، في الإنجيل بحسب متى؛ وفي البحثين اللاحقين نرى صفة رسالته، بالدعوة « لملكوت السماوات » ، وبتأسيس « كنيسته » نواة لذلك الملكوت.

توطئة : ملكوت الله في الكتاب

١ ـ جذور ملكوت الله الذي يؤسسه السيد المسيح كامنة في الكتاب.

في الكتاب الله تعالى هو ملك الكون والدنيا، لكنه ملك إسرائيل بنوع خاص؛ فيه يتجلى ملكوته بتوحيده وتقديسه؛ وبنو إسرائيل هم « بنو الملكوت » الأوائل.

لقد اختار الله إبراهيم من بين الأميّين، لتتبارك **بنسله** أمم الأرض أجمعين. فصار نسله شعب الله الخاص.

وعقد الله مع شعبه بواسطة موسى **عهداً**، كانت شروطه وصايا الله في « الكلمات العشر » ، محور **الشريعة** وموجزها.

ثم جسّم الله ملكوته فيهم بمملكة داود؛ وجدّد الله الوعد مع داود بأن يكون من نسله **المسيح** الموعود.

لكن بني إسرائيل أَفسدوا في الأرض، فعاقبهم الله بالجلاء البابلي، وسقط عنهم الملك، وظل الوعد بالمسيح والملكوت قائماً ينتظر التحقيق خمسماية سنة.

تلك هي **الأصول الخمسة** لتكوين ملكوت الله : الاصطفاء الإبراهيمي الذي بنسله تتبارك أمم الأرض كلها؛ والعهد الموسوي لتهيئته؛ والشريعة التوراتية التي كانت المربّي حتى مجيء النسل الموعود، وملك العهد المأمول؛ والوعد بالمسيح، « ابن داود » في ملكوت الله الذي سيشمل العالم كله.

٢ ـ بعد الجلاء تطورت تلك الأصول **إلى الروحانية.** فتطورت تعابير الكتاب من الواقعية : « الله يملك » ، إلى المطلق : « ملكوت الله » .

وتتجلى لملكوت الله صورتان. الأولى **أزلية** فوق الزمان والمكان يظهر فيها حكم الله المطلق في خلقه (العدد ٣ : ٢١؛ ١ صمو ١٢ : ١٢؛ أشعيا ٦ : ٥؛ إرميا ٨ : ١٩؛ ١٠ : ٧ ـ ٩؛ ٤٦ : ١٨؛ ٤٨ : ١٥؛ ٥١ : ٥٧؛ حزقيال ١٥ : ١٨). والثانية **زمنية** آتية مع المسيح الموعود؛ تبدأ مع حزقيال (٢٠ : ٣٣ و٣٧)، وتصير مع أشعيا الثاني عالمية (٥١ : ٥ ؛ ٥٢ : ١٠) بصيغة تكاد تكون إنجيلية (٤٠ : ٩ ـ ١١؛ ٥٢ : ٧).

وبعد الجلاء أخذت صفة الله « الملك » ، « ملكنا » في أشعيا، تشمل أسفار الوحي الجديد كلها (جلا ١ : ١٤؛ الأيام ٢٩ : ١١؛ ٢ مكا ١٥ : ٣ ـ ٤؛ ٢٢ : ٢٩)، خصوصاً المزامير، ويمتاز بعضها أنها « مزامير الملكوت » (مز ٤٧ و٩٣ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩).

ففي هذه المصادر أخذت الدعوة لملكوت الله صفة البشرى ـ وباليونانية « الإنجيل » ـ وصفة الاستقبال بالمسيح الموعود، أو صفة العالمية باشتراك الأمم في ملكوت الله، وصفة الروحانية، إذ خيرات الملكوت هي خصوصاً التوبة والسلام والبر، وزوال الخطيئة والموت. هذا هو خلاص الله الموعود في ملكوته الآتي (أشعيا ٤٠ ـ ٥٥).

على هذه الصورة انتهى الوحي الإبراهيمي التوراتي عند **دانيال** الذي رأى « ابن البشر » آتياً على سحاب السماء، ليؤسس « ملكوت الله » في أرضه، على انقاض ممالك الدنيا، تزول واحدة واحدة، « وسلطانه سلطان أبدي لا يزول » (٧ : ١٤).

فأَشعيا الثاني، والزبور، ودانيال هي مصادر دعوة المسيح للملكوت، الذي ما أتى لينسخ الشريعة والنبيين، بل ليكملها (متى ٥ : ١٧).

٣ ـ ولمّا تمّ الزمان لظهور المسيح وملكوت الله معه، بدأت الطلائع بمولد يوحنا المعمدان. فكانت دعوته إعلاناً صارخاً : « توبوا فإِن ملكوت السماوات قريب » (متى ٣ : ٢).

وظهر يسوع، وأظهره المعمدان للناس أنه هو الموعود لتأسيس ملكوت الله. فنادى يسوع بدعوة المعمدان : « توبوا فإن ملكوت السماوات قريب » (٤ : ١٧). ثم صرح بظهور الملكوت، كما نقل مرقس : « وبعدما ألقي يوحنا في السجن، أتى يسوع إلى الجليل يدعو بإنجيل الله. قال : لقد تم الزمان واقترب ملكوت الله! فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » أي بهذه البشرى (١ : ١٤ ـ ١٥).

فالمسيح أولاً، ثم رسله في بعثتهم التدريبية، ينادون مثل المعمدان : « توبوا فإن ملكوت الله قريب » (متى ٢ : ٣؛ ٤ : ١٧؛ ١٠ : ٧). فاستنتج بعضهم أن لا جديد في دعوة المسيح، ودعوته من دعوة المعمدان. وفاتهم الفرق العظيم بين دعوة المعمدان ودعوة المسيح، في الصيغة الثانية التي نقلها مرقس (١ : ١٤ ـ ١٥). وقد لاحظ هذا الفارق العظيم رينان الجاحد[١] نفسه قال : « يوحنا

(١) Renan: Les Evangiles synoptiques I, p. 434

المعمدان لا يدعو بالإنجيل، ولا يبشر مباشرة بحضور ملكوت الله. إنما كان يدعو للإنجيل بمعمودية التوبة لتهيئة الناس للملكوت الآتي. ويسوع أيضاً يدعو الناس إلى التوبة، لكنه يبشر خصوصاً بالملكوت. والتوبة التي يدعو إليها إنما هي دخول في الملكوت أكثر منها تهيئة له. فالملكوت قريب حتى لكأنهم يلمسونه؛ وبالإيمان بالإنجيل لهم البشرى بالملكوت، فهم قد بلغوا نوعاً ما تحقيق الملكوت ». وفاتهم أيضاً أن « الملكوت القريب » **يصير بعد قليل** « **الملكوت القائم في ما بينكم** » (متى ١٢ : ٢٨؛ لوقا ١١ : ٢). فظهور المسيح في يسوع دليل على ظهور الملكوت وحضوره.

٤ ـ ودعوة المسيح في الأناجيل المؤتلفة، خصوصاً عند متى، تظهر كلها دعوة لتأسيس ملكوت الله : فمنذ البدء «كان يطوف الجليل كله يعلم في مجامعهم ويبشر بإنجيل الملكوت (متى ٤ : ٢٣). وفي بعثة رسله التدريبية في إسرائيل أوصاهم أن يدعوا «بإنجيل الملكوت » (١٠ : ٧). وحدد لهم موضوع رسالتهم في العالم أنها دعوة « لإنجيل الملكوت » (٢٣ : ١٤). وبعد القيامة، قبل رفعه إلى السماء، «كان يكلمهم في أمور ملكوت الله » (الأعمال ١ : ٣).

فإنجيل المسيح هو إنجيل ملكوت الله. ويمتاز بحسب متى في ذكر الملكوت (٥١) مرة، بينما يذكره مرقس (١٤) مرة، ولوقا (٣٩) مرة. ونجد في لغة متى التعبير الأصلي الآرامي : « ملكوت السماوات » حيث « السماوات » مرادف « الله » في لغتهم[١]. وترجم التعبير مرقس ولوقا في العالم الروماني والإغريقي : «ملكوت الله » . ولا يرد التعبير، خارج **الأناجيل المؤتلفة إلا نادراً.**

فما هو ملكوت الله بحسب الإنجيل ؟

*

* *

---

(١) نجد عند متى ثلاث مرات التعبير « ملكوت الله » (١٢ : ٢٨؛ ٢١ : ٣١ و٤٣)

أولاً : أوصاف ملكوت الله

لملكوت الله في الإنجيل أوصاف مختلفة مؤتلفة، متفاوتة متكاملة تكشف أسراره وأبعاده.

١ـ « ملكوت السماوات ـ أي الله » ـ مُلْك ومملكة

ليس ملكوت الله كما كان يتوهمه بنو إسرائيل دولة قومية فوق الدول. **إنما هو** « **سرّ** » يكشف المسيح ألغازه رويداً رويداً (متى ١٣ : ١١؛ مرقس ٤ : ١١؛ لوقا ٨ : ١٠).

والتعبير الأرامي « ملكوت » يعني **الملك** أو **المملكة** والمعنى المقصود يستبين من القرآن.

فملكوت الله هو أولاً **ملكه وحكمه** في أرضه وشعبه. فالله، بواسطة مسيحه يشبه الملك، أو الزارع، أو رب الكرم، أو الوالد الذي يقيم وليمة وعرساً لابنه. وعمله يشبه « خميرة » في عجين البشرية، أو حبة خردل تصير شجرة.

وملكوت الله هو أيضاً **مملكة** يحكم الله فيها بواسطة مسيحه : يدخلها الناس (متى ٥ : ٢٠؛ ٧ : ٢١؛ ١٨ : ٣)، ويشتركون في وليمتها (٨ : ١١) وفي عرسها (٢٢ : ١ ـ ١٤). وفي اليوم الآخر يرسل ابن البشر ملائكته ليطردوا منها أهل الشك وأهل الاثم (١٣ : ٤١).

لذلك نفضل في ترجمة الإنجيل ترجمة التعبير اليوناني بالكلمة الأرامية المستعربة « الملكوت » ، في كل المواطن، لأنها في صيغتها تعني الملك والمملكة معاً، كما يظهر من القرائن.

وملكوت الله في المعنيين (الملك والمملكة) هو تدخل مباشر من الله،

بواسطة مسيحه، يغير مجرى التاريخ، فينقل البشرية من « العهد القديم » إلى « العهد الجديد » بالإنجيل. ويطرد الشيطان من سيطرته على العالم، ليقيم ملكوت الله ومسيحه. ويطور الدين إلى كماله في العقيدة والشريعة. فكما هزم تدخل الله في العهد القديم الوثنية بالتوحيد التوراتي؛ كذلك ظهور المسيح في ملء الزمن كان صراعاً خفياً مع إبليس على حكم العالم، في العهد الجديد، حيث يصير ملكوت الله ملكوت المسيح، والملكوت المسيح نفسه، في ملك الله ومملكته.

٢ ـ ملكوت الله أتى وآتٍ معاً

في الإنجيل يظهر ملكوت الله في حالين معاً : إنه أتى مع المسيح؛ وإنه آتٍ أيضاً حتى يوم الدين.

إن ملكوت الله آتٍ في المستقبل، كل يوم، حتى اليوم الآخر. لقد علّمنا يسوع أن نسأله كل يوم في صلاتنا : « ليأتِ ملكوتك ... على الأرض كما في السماء » . وتظهر صفة الاستقبال في الأمثال : الملكوت كحبة خردل تصير شجرة؛ كزرع ينبت حتى النضوج والحصاد؛ ومع الزرع الجيد يغرس العدو زؤاناً، فينبتان معاً حتى منتهى الدهر، حيث يصير الفصل بينهما؛ فهو مثل شبكة تصطاد سمكاً من كل صنف، طيلة الزمن، حتى وقت الفرز في منتهى الدهر. وتظهر صفة الاستقبال في كلام المسيح عن رجوعه، الرجوع الأول بالقولة الخفيّة والرجوع الثاني في المجد ليوم الدين. وتظهر أخيراً في بعثة الرسل إلى العالم أجمع يبشرون بإنجيل الملكوت، ويسوع معهم « كل الأيام إلى منتهى الدهر » (خاتمة متى).

مع ذلك فملكوت الله قد أتى مع المسيح. هذا هو إعلان المسيح، في صيغة مرقس: « لقد تمّ الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » أي

بهذه البشرى (١ : ١٥). ومعجزات يسوع، خصوصاً سلطانه على الشياطين هو برهان قيام « ملكوت السماوات في ما بينكم » (متى ١٢ : ٢٨؛ لوقا ١١ : ٢). رسالة المسيح هي « علامة الزمان » لحضور الملكوت، واليهود لا يعرفون أن يميزوا « علامة الأزمنة » (متى ١٦ : ٣) : لقد بدأ تحقيق الملكوت منذ دعوة المعمدان : « ومنذ يوحنا ملكوت السماوات يُغتصب اغتصاباً، وما يناله إلا المغتصبون » (١١ : ١٢). وطوبى للرسل لأنهم يشاهدون ما طالما اشتاق الأنبياء والأولياء أن يشاهدوا (١٣ : ١٦).

فهو **عرس الله لابنه** الذي يأنف أهل العرس (اليهود) الدخول إليه، فيستدعي إليه أهل السبيل العابرين بعيداً (٢٢ : ١ ـ ١١) ـ واستعارة العرس تنبأ عنها هوشع وأرميا وحزقيال وأشعيا الثاني وصاحب نشيد الأناشيد. وهو **زمن الحصاد** الذي يحرض يسوع تلاميذه على الدعاء إلى الله ليرسل فعلة إلى حصاده، وإذا بهم هم أهل الحصاد (٩ : ٣٧ ـ ١٠ كله)، كما تنبأ عنه الكتاب (يوئيل ٤ : ١٣؛ مز ١٢٦ : ٦). وهو **زمن الخمرة الجديدة** التي لا تتحملها الزقاق العتيقة، وينبغي لها زقاق جديدة (٩ : ١٦ ـ ١٧)، كما ذكرها الأنبياء (أشعيا ٢٥ : ٦؛ يوئيل ٤ : ١٨). وهو **العهد الجديد** بدم المسيح (٢٦ : ٢٨) الذي ذكره أرميا (٣١ : ٣١).

لقد أتى ملكوت الله بشخص السيد المسيح؛ فهو **الطبيب الإلهي** « الذي طرد الأرواح بكلمة منه وأبرأ من به سوء، ليتم ما قيل بأشعيا النبي : « لقد حمل عاهاتنا وتحمل أوجاعنا » (٨ : ١٧ ـ ١٨) وهو **الراعي الصالح** (١٥ : ٢٤) الذي انتظره الأنبياء (حزقيال ٣٤ كله؛ النشيد ٢ : ١٦) وهو باني **بيت الله** في أرضه (١٦ : ١٨) كما قال أشعيا (٢٨ : ١٦).

وبرهان الإنجيل أن ملكوت الله أتى مع المسيح هو تتميم النبوات فيه، ومعجزاته التي لم يستجمعها سواه، وسلطانه على شريعة الله، وعلى الطبيعة،

وعلى الحياة والموت في الإنسان. لقد قامت التوراة والنبيّون حتى يوحنا المعمدان، « ومنذ يوحنا ملكوت الله يغتصب اغتصاباً » (١١ : ١٢). لقد انتهى عهد الأنبياء، « عبيد الله » ، وأتى عهد « الابن » رب الكرم « والوارث » الأوحد لملكوت الله، الذي أتى لينقله من عملته الأردياء إلى « أمة أخرى تؤدي ثماره » (٢١ : ٣٣ ـ ٤٣).

فملكوت الله أتى وآتٍ معاً.

٣ ـ ملكوت الله أرضي وسماوي معاً

يخطأ من يظن أن ملكوت الله، خصوصاً في صيغته الأرامية « ملكوت السماوات » هو في السماء فقط. ودعاؤنا في صلاة « أبانا » يدل على أنه أرضي وسماوي معاً، فإنا نطلب « ليأتي ملكوتك ... على الأرض كما في السماء » .

ملكوت الله يبدأ على الأرض : أمثال الملكوت كلها تعني ذلك (١٣ : ٣٢ ـ ٣٣؛ و٣٦ ـ ٤٣؛ و٤٧ ـ ٥٠). فهو « كنيسة » المسيح التي أعطى بطرس مفاتيحها : « لك أعطي مفاتيح ملكوت السماوات : كل ما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماء، وكل ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السماء » (متى ١٦ : ١٨). وعند لوقا : « سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله ؟ فأجابهم، قال : ... ها أن ملكوت الله في ما بينكم » (١٧ : ٢٠ ـ ٢١). ومعجزات يسوع، خصوصاً إخراج الشياطين من الناس « دليل على أن ملكوت السماوات قائم في ما بينكم » (متى ١٢ : ٢٨).

لكن ملكوت الله يتمُّ في السماء : فالطوبى للمحرومين في الأرض، « لأن أجركم عظيم في السماوات » (٥ : ١٢)؛ « فإني أعلن لكم أنه إذا لم يزد برّكم على برّ الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السماوات » (٥ : ٢٠). ومعنى السماء أصرح في قوله : « هكذا يكون في منتهى الدهر؛ يرسل ابن البشر

ملائكته فيجمعون من ملكوته كل أهل المعاثر وأهل الشرور ويلقونهم في أتون النار ... حينئذٍ يضيء الصديقون كالشمس في ملكوت أبيهم »(متى ١٣ : ٤٠ ـ ٤٣). لقد اقتصر اليهود ملكوت الله على هذا العالم، فجعله المسيح يشمل الدنيا والآخرة.

فملكوت السماوات أرضي وسماوي معاً.

٤ ـ ملكوت الله زمني وأبدي معاً

إن ملكوت الله **فوق الزمن**، من الأزل وإلى الأبد، لأن ملكوته وجبروته صفة ذاته؛ وبالنسبة إلى خلقه، ملكوته خلودهم عنده. هذا هو الملكوت المعدّ للصالحين يرثونه في يوم الدين : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم » (متى ٢٥ : ٣٤). وفي يوم الدين، « عندئذٍ يُضيء الصديقون كالشمس في ملكوت أبيهم » (متى ١٣ : ٤٣). والملكوت يعني **الحياة والخلود** : « فإن عثّرتك يدك أو رجلك فاقطعها واطرحها بعيداً عنك، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أأقطع أو أعرج، من أن تُلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن عثرتك عينك فاقلعها وانتبذها عنك بعيداً، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت بعين واحدة من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان » (١٨ : ٨ ـ ٩). والملكوت يعني أيضاً **الخلاص** : « بل أقول لكم : إنه لأسهل أن يدخل جمل ثقب إبرة من أن يدخل غني ملكوت الله! فلما سمع التلاميذ بُهتوا جداً وقالوا : من يستطيع إذن أن يخلص ؟ » (١٩ : ٢٤ ـ ٢٥). والملكوت يعني أيضاً **وليمة أهل الجنة** : « وأنا أقول لكم : إن كثيرين يأتون من المشرق والمغرب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات؛ اما أبناء الملكوت فيُلقون في الظلمة الخارجية، هناك البكاء وصريف الأسنان » (٨ : ١١ ـ ١٢)؛ لكنها وليمة روحية لأنهم « في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، **وإنما يكونون كملائكة الله في السماء** » (٢٢ : ٣٠). فملكوت

الله هو « الملكوت المعد منذ إنشاء العالم ... (حيث يذهب) الصديقون إلى الحياة الخالدة » (٢٥ : ٣٤ و٤٦).

وملكوت الله هو أيضاً **في الزمن**، له تكوينه وأطواره ومصيره. أمثال الملكوت تظهر ذلك : إنه ينمو مثل حبة الخردل، ويفعل كخميرة في عجين البشرية (١٣ : ٣١ ـ ٣٣)؛ إنه ينمو كالزرع الجيد، الذي يدُسّ فيه العدو الزؤان (١٣ : ٢٤ ـ ٣٠)؛ ويجمع مثل شبكة من كل أنواع السمك، الصالح مع الرديء، حتى يوم الفرز في منتهى الدهر (١٣ : ٤٧ ـ ٥٠)؛ وملكوت السماوات هو الذي أعطى مفاتيحه لبطرس : « وأنا أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات: مهما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماوات » ! (١٦ : ١٧ ـ ١٨). معجزات يسوع دليل « على أن ملكوت السماوات قائم في ما بينكم » (١٢ : ٢٨)، « فالحق أقول لكم: إن بين القائمين ههنا من لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » (١٦ : ٢٨). فملكوت الله هو الملكوت الذي أسسه المسيح على الأرض. والذين حضروا تأسيسه سيرونه آتياً مع المسيح بقوة بعد قيامته. ومصير ملكوت الله هو مصير كنيسة المسيح: « الذي يزرع الزرع الجيد هو ابن البشر. والحقل هو العالم. والزرع الجيد بنو الملكوت. والزؤان بنو الشرير؛ والعدو الذي زرعه هو الشيطان. والحصاد منتهى الدهر؛ والحصادون هم الملائكة : فكما أن الزؤان يجمع ويحرق بالنار، كذلك يكون في منتهى الدهر ... يلقونهم في أتون نار... عندئذ يضيء الصديقون كالشمس في ملكوت أبيهم » (١٣ : ٣٧ ـ ٤٣).

فملكوت السماوات زمني وأبدي معاً.

٥ ـ ملكوت الله روحي واجتماعي معاً

إن ملكوت الله روحي، أي « ليس من هذا العالم » كما يقول يوحنا (١٨ : ٣٦). ظنه اليهود دولة قومية دينية فوق الدول، فحرَّره المسيح من قيود

القومية والدولة : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (متى ٢٢ : ٢١)؛ وجعله دين الله وبرّه لكل قوم ودولة. تلك هي صلاة أهل الملكوت : « أبانا الذي في السماوات تقدس اسمك، أتى ملكوتك، تمت مشيئتك، على الأرض كما في السماء » (٦ : ١٠) فملكوت الله هو تقديس اسمه وعمل مشيئته. إنه ملكوت « المساكين روحاً! الطاهرين قلباً! الجائعين والعطاش إلى البرّ! المضطهدين من أجل البر! » (٥ : ٢ ـ ١٠). وأهل الملكوت هم « ملح الأرض » و « نور العالم » (٥ : ١٣ ـ ١٤). إنهم أهل الزكاة والصوم والصلاة لوجه الله الكريم (٦: ١ ـ ٩). إنهم أهل الزهد في الدنيا (٦ : ١٩ ـ ٢٣)، فلا يعبدون ربّين الله والمال (٦ : ٢٤ ـ ٣٢)، بل يطلبون أولاً ملكوت الله وبرّه (٦ : ٣٣)، ويحترزون أن يصنعوا برّهم قدام الناس (٦ : ١)؛ ويدخلون من « الباب الضيق » في « الطريق الحرج » الذي يقود إلى الحياة (٦ : ١٣ : ١٤).

وملكوت الله اجتماعي أيضاً. كل التعابير والتشابيه والاستعارات التي تصفه في الأمثال دليل ذلك : الزرع، الشبكة، الحصاد، العرس، الوليمة ... وأهل الملكوت يصلون كلهم، زرافات ووحدانا : « أبانا الذي في السماوات ... خبزنا أعطنا يوماً فيوماً! واغفر لنا ذنوبنا فإنا نحن نغفر للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير » (٦ : ١١). والمسيح يحرّض على الصلاة الجماعية أكثر من الفردية « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون أنا في ما بينهم » . والملكوت عرس الله لابنه الحبيب على الأرض وفي السماء (١٢ : ١ ـ ١٥). ورسالة الملكوت شخصية وجُماعية : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (٢٨ : ١٩). وأهل الملكوت هم جميعاً « كنيسة » المسيح المبنية على بطرس الصخر (١٦: ١٨).

فملكوت الله روحي واجتماعي معاً.

٦ ـ ملكوت الله فردي وجُماعي معاً

إن السيد المسيح يخاطب الفرد والجماعة معاً؛ ويدعو إلى ملكوت الله الافراد والجماعات. وبديهي أن الملك لا يقوم على فرد، وإن كان الفرد منه؛ ولا تتكون المملكة من فرد، وإن كان الفرد في المملكة.

أعمال البرّ من شهادة وصلاة وزكاة وصوم هي فردية، لكنها جماعية أيضاً. الإيمان والرجاء والمحبة التي تميّز ملكوت الله هي شخصية، لكنها جماعية أيضاً. محبة الله، والقريب مثل النفس، هي شخصية، لكنها جماعية أيضاً. فإن أهل الملكوت يؤلفون « كنيسة » المسيح التي مفاتيحها بيد بطرس : « لك أعطي مفاتيح ملكوت السماوات » (١٦ : ١٨). والحكم في ملكوت السماوات، كنيسة المسيح، الحل والربط فيه، هو بيد البطرس (١٦ : ١٨) وبيد الرسل أجمعين، منفردين ومجتمعين (١٨ : ١٨). وهكذا فهم يؤلفون « ملكوت المسيح » (١٣ : ٤١) و « كنيسة » المسيح (١٨ : ١٨).

إن ملكوت الله فردي وجماعي معاً.

٧ ـ إن ملكوت الله قومي وعالمي معاً

نقصد بهذا التعبير معْنيين : في تحقيقه وفي هدفه.

ففي تحقيقه بدأ ملكوت الله على يد المسيح قومياً وانتهى عالميّاً، بحسب تدبير الله وخطة مسيحه. لقد دعا يسوع لملكوت الله في بني إسرائيل، لكن ظروف دعوته تدل على أن هدفه كان منذ البدء عالمياً، كما رأينا. وحصر هو نشاطه في بني قومه لأنهم أهل الدعوة الأولون، حتى يأتلفهم ولا ينفّرهم. وفي هذا التخطيط للدعوة المسيحية نفهم قول يسوع في مناسبتين عابرتين أنه « لم يرُسل إلا للخراف الضالة من بني إسرائيل » كما قال أمام الكنعانية لامتحان

إيمانها (١٥ : ٢٤)؛ وكما منع رسله، في رسالة تدريبية، من العبور إلى السامريين والوثنيين، وحصر تدريبهم، لقلة خبرتهم في الدعوة والرسالة، « بالخراف الضالة من بني إسرائيل » (١٠ : ٦). لقد تحفظ يسوع في البدء، لإيلاف اليهود، وهذا ما يعطي دعوته الأولى طابعاً قومياً.

ولكن لما زال وقت البلاغ إليهم، وانتهى وقت إيلافهم لكفرهم به، أعلن **عالمية دعوته** بدون تحفظ : « من أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويسلَّم إلى أمّة تؤدّي ثماره » (٢١ : ٤٣). وأنهى حملته الأخيرة على العهد اليهودي لملكوت الله بقوله : « هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً! فإني أقول لكم : إنكم لن تروني من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب » (٢٣ : ٣٨ ـ ٣٩). وهذا الإعلان بنهاية العهد الإسرائيلي وبداية العهد المسيحي للملكوت كان، مع إعلان إلهيته في محاكمته، سبب استشهاده. وهذا دليل عالمية دعوته في قوميتها ذاتها. والوصية الأخيرة تكشف سرّ الدعوة وهدفها منذ البدء. فقد ختم رسالته قبل رفعه إلى السماء بهذه الوصية الأخيرة : « اذهبوا في العالم أجمع وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥)، « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض : فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (متى ٢٨ : ١٨ ـ ١٩). فملكوت الله في الدعوة المسيحية عالمي يشمل الخليقة كلها.

وفي هدفه، ملكوت الله المسيحي موجه لكل قوم يتجسد في قوميتهم وثقافتهم؛ وموجه أيضاً للبشرية جمعاء كالخميرة في العجين، ليجعلها مملكة الله في أرضه، يحكمها بمسيحه، مؤتلفاً مع أقوامها المختلفة، ومنسجماً مع ثقافاتها المتنوعة. فصلاة المسيحية في البشرية جمعاء : « أبانا الذي في السماوات ... ليأت ملكوتك ... على الأرض كما في السماء » .

فملكوت الله قومي وعالمي معاً.

*

* *

ثانياً : تحقيق ملكوت الله

ليس الكلام عن ملكوت الله في ذاته كصفة من صفاته. إنما الكلام في ملكوت الله تعالى في خلقه. والكتاب يربط ظهور ملكوت الله بمجيء المسيح. والإنجيل يفصل لنا تأسيس ملكوت الله بالمسيح، وظهوره ومصيره.

١ ـ تأسيس ملكوت الله

السيد المسيح هو مؤسس ملكوت الله في أرضه : « وكان يطوف الجليل كله، يعلم في مجامعهم،ويدعو وبإنجيل الملكوت » (متى ٤ : ٢٣). فإنجيل المسيح هو إنجيل الملكوت؛ ودعوته هي تأسيس الملكوت : « وملكوت السماوات يشبه برجل زرع في حقله زرعاً جيداً. وفيما العمال نائمون جاءَ عدوه وزرع وسط الحنطة زؤاناً ومضى » (١٣ : ٢٤ ـ ٢٥). « **فالذي يزرع الزرع الجيد هو ابن البشر**. والحقل هو العالم. والزرع الجيد بنو الملكوت. والزؤان بنو الشرير ... » (١٣ : ٣٧ ـ ٤٣). وملكوت الله يتجسم في « كنيسة » المسيح، وقد أعطى بطرس « مفاتيح ملكوت السماوات » في كنيسته (١٦ : ١٨). **فملكوت الله يصير « ملكوت ابن البشر** » (١٣ : ٤١)

٢ ـ ظهور ملكوت الله

ظهور الملكوت معلق على « ظهور » المسيح. « ظهر يسوع » (٣ : ١٣) أولاً في ضعف البشرية، حتى يؤسس ملكوت الله بدمه، فاقتصر التأسيس على « القطيع الصغير » ، من تلاميذ المسيح وأتباعه. لكن المسيح سيرجع مرتين؛ في المرة الأولى، حالاً بعد قيامته، بالقوة كما صرح في مجلس القضاء الأعلى : « وإني أقول لكم أيضاً : منذ الآن تبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله)

وآتياً على سحاب السماء » (٢٦ : ٦٤)؛ وكما قال للشعب وتلاميذه : « فالحق أقول لكم : إن بين القائمين ههنا من لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » (١٦ : ٢٨). وهذا الرجوع الأول بالقوة يتم بتنزيل الروح القدس على كنيسته؛ ثم في تنفيذه نبوة المسيح بخراب أورشليم والهيكل (٢٣ : ٣٨؛ ٢٤ : ٢). وفي آخر العهد المسيحي، في يوم الدين، يرجع المسيح ثانية « بمجده، وجميع الملائكة معه. حينئذ يجلس على عرش مجده، وتحشر لديه جميع الأمم » (٢٥ ـ ٣١).

وقد جمع الإنجيل بحسب متى رجوع المسيح الثاني والأول في قوله : « فإن ابن البشر سوف يرجع في مجد أبيه، مع ملائكته، وعندئذ يجازي كل واحد بحسب أعماله. فالحق أقول لكم : إن بين القائمين ههنا من لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » (متى ١٦ : ٢٧ و٢٨).

فظهور ملكوت الله يبدأ بظهور المسيح بقوة قيامته، ويتم بظهور المسيح في مجده ملك يوم الدين.

٣ ـ مصير ملكوت الله

فتأسيس الملكوت بالمسيح، وظهوره برجوع المسيح الأول الخفي بقوة، والثاني العلني بمجد، يقسم مصير الملكوت إلى ثلاثة أزمان :

زمن المسيح في « أيام بشريته » للتأسيس، في « كنيسته » .

وزمن الروح القدس في الكنيسة لانتشار الملكوت، من قيامة المسيح ورفعه إلى السماء ونزول الروح القدس على الكنيسة، حتى القيامة العامة ورجوع المسيح بالمجد.

أخيراً زمن الله الآب، بعد يوم الدين، حيث « يضيء الصديقون كالشمس في

ملكوت أبيهم » (١٣ : ٤٣) بحكم المسيح، ملك يوم الدين : « حينئذ يقول للذين عن يمينه : يا مباركي أبي، تعالوا رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم » (٢٥ : ٣٤).

فالتأسيس عمل المسيح الابن؛ والظهور عمل الروح القدس في الكنيسة والبشرية؛ والخلود عمل الله الآب، الذي له ملكوت الأرض والسماوات.

فملكوت الله يتحقق بملكوت المسيح؛ وملكوت الله يصير « المسيح نفسه[١] » في كنيسته، خميرة البشرية.

*

* *

ثالثاً : ماهية ملكوت الله والمسيح

إن أوصاف ملكوت الله، وطريقة تحقيقه، تهدينا إلى ماهية الملكوت.

ليس ملكوت الله **قومية دينية** فوق القوميات. لا عنصرية في الإنجيل، ولا عنصرية في الدين نفسه بحسب الإنجيل : « فإن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم » ! (متى ٣ : ٩). ويسوع يعلن بصراحة أنهم « سيأتون من المشرق والمغرب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات، وأبناء الملكوت يُطردون إلى الظلمة الخارجية » (٨ : ١١). فالملكوت مفتوح لكل القوميات. إن أبناء الملكوت الأوائل أي بني إسرائيل سيبقون بعيداً عنه، لا بل « كثيرون من الآخِرين (من الأمم) يكونون أولين» في ملكوت الله (١٩ : ٣٠).

---

(١) أورجين يعرّف المسيح : « αὐτοβασιλεία » أي الملكوت نفسه (تفسير متى ١٨ : ٢٣).

وليس ملكوت الله **دولة دينية** فوق الدول. يسوع يعلن ذلك لليهود أنفسهم : « أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » (متى ٢ : ٢١)؛ ويعلنه للوالي الروماني ممثل الأميّين : « إن ملكوتي ليس من هذا العالم » (يوحنا ١٨ : ٣٦).

وليس ملكوت الله **ديناً ودولة معاً**، فوق الأديان والدول. ميزة الإنجيل على الكتب المنزلة كلها أنه ميّز الدين عن الدولة بهذا المبدأ : « اعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » . فليس في ملكوت الله فكرة دولية على الإطلاق؛ **لأن القومية والدولية في ملكوت الله قيود وحدود له**، وهو فوق القوميات والدول، لكنه لكل قومية وكل ثقافة وكل دولة. فكما تجسّد المسيح في البشرية، هكذا تتجسد المسيحية في كل الجماعات البشرية.

إن ملكوت الله والمسيح **ملكوت روحي**، « ليس من هذا العالم » ، **دين سماوي لكل العالم**، أوصافه تدل عليه : إنه توبة وإيمان : « لقد تم الزمان! واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس ١ : ١٥). إنه عماد بالروح القدس والنار (متى ٣ : ١١). وهو يتطلب نفسية « المساكين » بحضرة الله ومسيحه (٥ : ٣)، وروحية الأطفال في علاقة الإنسان بأبيه السماوي (١٨ : ١ ـ ٤؛ ١٩ : ١٤). ويقوم أولاً على « البرّ » بإقامة الشهادة لله والمسيح، والزكاة والصوم والصلاة لوجه الله والمسيح (٧ : ١ ـ ١٨) « فاطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه، وهذا كله (ما تطلبه الأمم) يُزاد لكم » (٦ : ٣٣). إنه « برٌ » أفضل من بر الفريسيين وفقهاء الشريعة (٥ : ٢٠) يقوم على تتميم إرادة الله علينا مهما كانت (٧ : ٢١)، خصوصاً شريعة المحبة، محبة الله والقريب أي الإنسان على الإطلاق، التي هي روح الشريعة والنبيين (٢٢ : ٣٤ ـ ٤٠).

إن ملكوت الله **هو الدين المسيحي** القائم على شخص المسيح وعلى تعليمه : « إن ملكوت الله قائم في ما بينكم » (متى ١٢ : ٢٨ قابل لوقا ١١ : ٢). وهذا الدين المسيحي يشمل كل علاقات المخلوق بالخالق، وكل علاقات الإنسان

بأخيه الإنسان، شخصية وعائلية وقومية ودولية. فليس هو فقط **طريقة عبادة، إنما هو نظام كامل للحياة**، كما يظهر من أوصافه في : شرعة الملكوت، ورسالته، وطبيعته، وأخلاقيته، ومصيره.

شرعة الملكوت (متى ٥ ـ ٧) هي الدستور الإنجيلي في نظام الحياة. وهذا الدستور يقوم على ثلاثة : « الكلمات العشر » مع تطويرها إلى كمالها بنقلها من السلبية إلى الإيجابية، ومن المادية إلى الروحية، ومن الظاهرية إلى الباطنية، ومن النسبية إلى المطلق؛ وأركان الدين، أي « البرّ » ، من شهادة لله والمسيح وزكاة وصوم وصلاة، لوجه الله والمسيح، لا للظهور للناس، والسلوك كأبناء الله في الحياة، فلا يعبدون ربين، الله والمال؛ ولا يفضلون المال على الله، ولا الجسد على الروح، ولا الدنيا على الآخرة؛ إنما فكرة الآب السماوي تسيطر على الحياة كلها، كما تسيطر قدسية الأب على أبنائه. نلاحظ أن شرعة الملكوت هذه هي **دستور إنجيلي** يعطي الخطوط العامة لنظام الحياة، **لا مجموعة أحكام فرعية** مرهونة بزمان ومكان فتتغيّر فيها الأحكام بتغيّر الأزمان. إنما شريعة الإنجيل دستور لكل زمان وكل مكان.

ورسالة الملكوت تظهر أيضاً طبيعته. تدرّج الإنجيل في إعلانها حتى الإعلان الأخير الحاسم. إنها رسالة السلام وسيف الروح (١٠ : ٣٤). إنها رسالة المحبة : محبة الله ومحبة القريب أي الإنسان كله حبّاً بالله والمسيح (٢٢ : ٣٤ ـ ٤٠). إنها رسالة التضحية وبذل الذات، وحمل الصليب، صليب الحياة، مع المسيح (١٠ : ٣٥ ـ ٣٨). إنها رسالة بإحدى الحُسْنَيَيْن، الشهادة أو الاستشهاد : « ما أقوله لكم في الخفية قولوه أنتم في النور، وما يُسر به لكم في الاذن، نادوا به أنتم على السطوح! ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولا يستطيعون أن يقتلوا النفس » ! (١٠ : ٢٧ ـ ٢٨). إنها رسالة المجاهدة في الحياة مع الإسلام المطلق لله : « أما أنتم فشعر رؤوسكم محصى بأجمعه! فلا تخافوا » ! (١٠ : ٣٠) لذلك : « كل من يشهد لي قدام الناس، أشهد أنا أيضاً له قدام أبي الذي في

السماوات! وأمّا من ينكرني قدام الناس، فإني أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات » (١٠ : ٣٢ ـ ٣٣).

وقبل رفع المسيح إلى السماء حدّد الرسالة المسيحية في العالم بقوله : « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض : فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر » (خاتمة متى). سلطان المسيح مطلق، وسلطان الرسالة المسيحية من سلطانه، وهو نفسه مع تلاميذه في رسالتهم. وهي رسالة تعليم، ورسالة تقديس، ورسالة قيادة وإدارة، لجميع الأمم، لوحدة البشرية في المسيح.

وطبيعة الملكوت يصفها بأمثال ناطقة (الفصل ١٣ كله) ملكوت الله زرع يزرعه المسيح في حقل العالم (١٣ : ٣٨)، ينبت كحبة تصير شجرة، وينمو كخميرة تخمّر عجين البشرية كلها، ولو زرع فيها العدو زؤاناً. وقيمته مثل كنز مدفون يستحق أن يبيع الإنسان كل ما له ليشتريه، ومثل لؤلؤة يتيمة تفضل كل لآلئ الدنيا. وشيئاً فشيئاً نرى **أن الملكوت والمسيح واحد** : « من يشهد لي قدام الناس أشهد له أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات » (١٠ : ٣٢). هذا ما يرشح منذ مطلع الدعوة : « لقد تم الزمان! واقترب ملكوت الله : فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس ١ : ١٥) **فالإيمان بالإنجيل هو الدخول في ملكوت الله**، حيث « يرون ابن البشر آتياً في ملكوته » (١٦ : ٢٨).

وأخلاقية الملكوت (الفصل ١٨) تغيّر نظام الحياة البشرية كله : إنها حياة جديدة، في المسيح، بروحه القدوس، لله الآب الذي في السماوات؛ إنها اتحاد مع الله، بالمحبة التي يسكبها الروح القدس في النفوس، بواسطة صليب المسيح وصليب الحياة.

ومصير الملكوت معلق على مصير الإيمان بالمسيح في العالم. لقد مثّله المسيح

وفسّره بقوله: ملكوت الله زرع يزرعه المسيح في العالم بالإيمان بالآب السماوي وبه: « فالذي يزرع الزرع الجيد هو ابن البشر، والحقل هو العالم، والزرع الجيد بنو الملكوت، والزؤان بنو الشرير، والعدو الذي زرعه هو الشيطان، والحصاد منتهى العالم، والحصادون هم الملائكة. فكما أن الزؤان يجمع ويحرق بالنار، كذلك يكون في منتهى الدهر، إذ يرسل ابن البشر ملائكته فيجمعون من مملكته أهل الشك وأهل الاثم أجمعين ويلقونهم في أتون النار. وعندئذ يضيء الصديقون كالشمس في ملكوت أبيهم » (١٣ : ٣٧ ـ ٤٣)؛ ثم يفصل ذلك في خطابه عن رجوع المسيح، أولاً سيد التاريخ، ثم ملك يوم الدين (الفصل ٢٠ : ٢٤ و٢٥).

فنرى أن مصير الملكوت هو مصير الإنجيل ومصير الإيمان بالمسيح في العالم؛ وأن المسيح هو سيد الملكوت في تأسيسه وتاريخه ومصيره.

فالمسيح والملكوت واحد. حيث يملك المسيح فهناك ملكوت الله.

هذا ما قرأه في الإنجيل الأسقف العالم ايريناوس في القرن الثاني : « فماذا جلب المسيح من جديد بمجيئه ؟ اعلم أنه جلب لنا كل جديد، لما ظهر هو نفسه[١] » . والعلامة أوريجين يقول في القرن الثالث : إن « المسيح هو الملكوت نفسه[٢] » .

فالإنجيل بحسب متى هو « إنجيل الملكوت » في أوصافه وتحقيقه وماهيته.

---

(١) الرد على الهرطقات ك ٤ ف ٥٦ ع ١.
(٢) أوريجين : تفسير إنجيل متى ١٨ : ٢٣ قابل مجموعة الآباء اليونان ك ١٣ ص ١١٩٧ وكلمته اليونانية : « αὐτοβασιλεία » لا تترجم حرفياً.

بحث سابع

إنجيل « الكنيسة »

إن الإنجيل بحسب متى يوحّد في النهاية بين المسيح والملكوت، ثم بين ملكوت الله وكنيسة المسيح ـ وإن كان ملكوت الله والمسيح أوسع وأشمل من « الكنيسة » .

بعد الدعوة لملكوت الله، في السنة الأولى بالجليل، وانقسام الرأي العام في الدعوة والداعي، في الرسول والرسالة، أخذ يسوع، منذ مطلع السنة الثانية، يجمع تلاميذه في هيئة **جماعة منظمة**، سمَّاها « **كنيستي** » (متى ١٦ : ١٨)، ذلك « القطيع الصغير الذي رضي الله **أن يعطيهم الملكوت** » (لوقا ١٢ : ٣٢).

لا يرد اسم « الكنيسة » إلا في الإنجيل بحسب متى، وذلك مرتين : « وأنا أقول لك : أنت صخر، وعلى هذا الصخر أبني كنيستي » (متى ١٦ : ١٨)، « إن أبى أن يسمع لهم فقل للكنيسة، وإن أبى أن يسمع للكنيسة أيضاً فليكن عندك كالوثني والعشار » (متى ١٨ : ١٧).
والاسم « الكنيسة » عبراني أرامي محض، نقله متى في الإنجيل الموجه « للمؤمنين من اليهود » عن لغتهم وبيئتهم : « كنيست » اليهود، كما وردت في الترجمة السبعينية (التثنية ٢٣؛ ١ ملو ٨؛ مز ٢٢ : ٢٦). هذه القرائن تدل على أن الاسم من يسوع نفسه.

فما هي صلة كنيسة المسيح بملكوت الله ؟

وما هي « كنيسة » المسيح ؟

*
* *

أولاً : كنيسة المسيح هي شعب الله الجديد، أمة المسيح

وجه يسوع دعوته الأولى لبني إسرائيل لإنشاء ملكوت الله في أرضه. فالذين قبلوا دعوته سمّوا « تلاميذ » أي الذين « يتبعون المسيح » (متى ٨ : ١٣ ـ ٢١). وقد كانوا كثيرين (متى ٩ : ٣٧)، حتى العشارين والخاطئين (مر ٢ : ١٥). ميّز لنا لوقا منهم الاثنين والسبعين (١٠ : ١ ـ ٢). وذكر لوقا بين التابعين بعض النساء (٨ : ١ ـ ٣). فجميع أتباع يسوع في دعوته سماهم « **القطيع الصغير** الذي رضي الله أن يعطيهم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) ومن جماعة التلاميذ اختار المسيح الاثني عشر « ليكونوا معه » أي صحابةً له، « ويرسلهم للدعوة » (مرقس ٣ : ١٤)، وميّزهم عن سائر التلاميذ بسلطان من سلطانه « ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وقلدهم سلطاناً لكي يطردوا الأرواح النجسة ويشفوا كل مرض وكل سقم » (متى ١٠ : ١).

ويسوع يرى منذ مطلع دعوته أن جماعته ستجاوز إسرائيل إلى العالم كله : « وأنا أقول لكم. إن كثيرين يأتون من المشرق والمغرب، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات! أمَّا أبناء الملكوت فيلقون في الظلمة الخارجية » (متى ٨ : ١١ ـ ١٢).

فجماعة يسوع تتألف من الأمتين، من أهل الكتاب والأميّين. هذا ما يتضح بعد كفر إسرائيل بالمسيح وإعلانه لهم : « من أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم، **ويُسلم إلى أمة تؤدي ثماره** » (متى ٢١ : ٤٣).

فالقطيع الصغير يصير « أمّة » ، أمّة المسيح. **وإعجاز المسيح** في تأسيس

« أمته » أنها أمة فوق القوميات والأديان، تجمع أهل الكتاب والأميين أجمعين في « أمة جديدة ثالثة، هي شعب الله الجديد، وأمة المسيح.

وقصد يسوع في إنشاء أمة جديدة، هي شعب الله الجديد، يظهر من قوله في تحويل الملكوت من إسرائيل إلى المدعوين من الأمم : « يا أورشليم! يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن **أجمع بنيك**، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! فهوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (متى ٢٣ : ٢٧).

وقصد يسوع من إنشاء شعب الله الجديد هو **تحقيق النبوات** : في « الأيام الأخيرة » أي أيام المسيح، « يخلق الله شعباً في أورشليم » (أشعيا ٦٥ : ١٨)، « الشعب المقدس، مفتدى الرب » (أشعيا ٦٢ : ١٢)، « القليل منهم يصير ألفاً، والصغير يصير أمة عظيمة! أنا الله أعجل ذلك في ميقاته » (أشعيا ٦ : ٢٢). إلى هذا الشعب الجديد تنضم الأمم (أشعيا ٢ : ٢) (مزمور ٤٧ : ١). لتنعم بالبركة الموعودة لإبراهيم (تكوين ١٢ : ٣؛ أرميا ٤ : ٢). ومع هذا الشعب الجديد يعمل الله عهداً جديداً (أرميا ٣١ : ٣١؛ حزقيال ٣٧ : ٢٦) « ها قد حان أن أحشر جميع الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي » (أشعيا ٦٦ : ١٨)؛ منها يتكون « شعب قديسي الله العلي » ؛ شعب يُنشئه « ابن البشر » في « ملكوت الله » (دانيال ٧: ١٤ ـ ١٨).

فمن تلاميذه الحاضرين والغائبين، والقريبين والبعيدين، أنشأ السيد المسيح شعب الله الجديد، في أمة المسيح. فليس شعب الله أفراداً، إنما هو « **أمة** » **المسيح.**

*

* *

ثانياً : كنيسة المسيح فيها سلطة معصومة

منذ البدء ميّز المسيح بين « تلاميذه » جماعة « الاثني عشر » (متـى ٩ : ٣٧؛ ١٠ : ١). مرقس يقول : « كوّن منهم اثني عشر **ليكونوا معه، ويرسلهم للدعوة** ... فكوّن إذن الاثنـي عشـر » (٣ : ١٤ و١٦). هذا التركيـز علـى عـدد الاثنـي عشـر، لـيس للعـدّ، بـل للرمـز، لأنـه سيحكمون مع المسيح « أسباط إسرائيل الاثني عشر، في عهد التجديد » (متى ١٩ : ٢٨).

ومنذ فرزهم « **قلدهم سلطاناً** لكـي يطـردوا الأرواح النجسـة (الشـياطين)، ويشـفوا كـل مرض وكل سقم » (متـى ١٠ : ١). وأخـذ يـدربهم علـى الـدعوة والرسـالة فـي العـالم، فـي بعثـة تدريبيـة فـي إسـرائيل (١٠ : ٥)، ويطلعهم « علـى أسـرار ملكـوت السـماوات » (١٣ : ١٠). ويختلي بهم ويكشف لهم شخصـيته الحقيقيـة أنـه « المسيح ابـن الله الحـي » (١٦ : ١٦)، وسـر شخصيته، بتجلّي لاهوته من خلال بشريته (١٧ : ١ ـ ٥). ثم يعلمهم الاجتمـاع باسـمه للصـلاة الجماعيـة (١٨ : ١٩)، والمسـامحة الأخويـة فيمـا بيـنهم (١٨ : ٢١ ـ ٣٥)، والعطـف علـى المنحـرفين مـن أخـوتهم (١٨ : ١٥ ـ ١٩). هـؤلاء الاثنـا عشـر، مـع سـائر التلاميـذ **هـم نـواة كنيسته،** الذين سيدعون جميع الأمم لإنجيل الملكوت (٢١ : ٣١).

ونرى في سياق الإنجيل بحسب متى أنه منذ إعلان المسيح عن قيام « كنيسـتـه » صـرّح بقيامها على بطرس، كصخر لهـا وأسـاس : « وأنـا أقـول لـك : أنـت صـخر، وعلـى هـذا الصـخر سأبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تصمد أمامها! وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات : فكـل مـا تربطه على الأرض يكون مربوطاً في

السماوات! وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات » (١٦ : ١٨ ـ ١٩). فإنشاء الكنيسة، وجعل بطرس صخرة أساس لها، **متلازمان في الوجود والزمان :** ويفصّل يسوع سلطان بطرس في « كنيسته » أولاً باستعارة « مفاتيح الملكوت » التي تدل على السيادة المطلقة عليها، كما فسر الاستعارة يوحنا : « الذي يفتح فلا يغلق أحد، ويغلق فلا يفتح أحد » (الرؤيا ٣ : ٧). فالاستعارة دليل على ملء السلطان في الكنيسة وعلى الانفراد بهذا السلطان المطلق. ويسوع يفسر الاستعارة نفسها بالسلطان المطلق في الحل والربط، الذي يتقيّد به الله نفسه : « كل ما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماوات، وكل ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السماوات » . فليس في دساتير الأديان، ولا في دساتير الدول، مثل هذا السلطان المطلق الذي يتم مفعوله عند الله نفسه! فبطرس صخرة إسرائيل الجديد[1] كما كان إبراهيم صخرة إسرائيل العتيق (أشعيا ٥١ : ١ ـ ٢).

ويصف السيد المسيح سلطان خليفته على « كنيسته » ، ومفعوله، بثلاث استعارات مجتمعة : إنه « الصخر » الذي يبني المسيح عليه كنيسته؛ وبيده « مفاتيح الملكوت » ؛ وأبواب الجحيم لن تصمد أمام الكنيسة المبنية على بطرس الصخر! (متى ١٦ : ١٨ ـ ٢٠).

لكن هذا السلطان المطلق في الكنيسة **هو فردي،** في بطرس، **وجُماعي أيضاً** في سائر الرسل. عندما يذكر الإنجيل « الكنيسة » للمرة الثانية يذكر معها **سلطان الرسل الجماعي المطلق :** « الحق أقول لكم : إن كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء! وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء » ! (متى ١٨ : ١٨). وهذا السلطان الفردي والجماعي معاً نسميه بلغة عصرنا : الحكم الرئاسي.

---

(١) دانيال يرى في « ابن البشر » الصخر الذي انقطع من جبل بغير يد قطعته وصار جبلاً يملأ الأرض : وهما رمزان إلى المسيح وكنيسته (٢ : ٣٤ مع ٤٤) : فالكنيسة هي الجبل في أرض الله، والمسيح صخرته الأساسية، وبطرس صورة عنه.

فأمة المسيح جماعة منظمة «كنيسة» (١٦ : ١٦؛ ١٨ : ١٧).

وفي هذه الكنيسة سلطة من سلطان المسيح نفسه؛ يمنحها المسيح نفسه، لا جماعته. فليست سلطة تمثيلية للجماعة؛ بل سلطة بشرع إلهي، لحكم كنيسة المسيح؛ باسم المسيح، لا باسم شعب المسيح.

فإعجاز المسيح الأول في التأسيس هو **إيجاد سلطة** بشرع إلهي في كنيسته.

والإعجاز الثاني هو **منح العصمة** لهذه السلطة، أولاً في السلطان الرئاسي لبطرس في الحل والربط (١٦ : ١٠)، وثانياً في السلطان الجماعي لسائر الرسل في الحل والربط (١٨: ١٨). بهذه السلطة المعصومة المزدوجة الرئاسية حمى المسيح موسسته مدى الدهر، حتى أن «أبواب الجحيم لن تصمد أمامها» !

وهذه السلطة المعصومة، أساس كنيسة المسيح، غايتها الرسالة المسيحية العامة في العالم، كما أعلنها لهم يسوع أثناء دعوته وتدريبهم (١٠ : ١٧ ـ ٤٢) وتسليمهم «أسرار ملكوت الله» (١٣ : ١١) وتحذيرهم مما ينتظرهم في عملهم لأجله (٢٤ : ٤ ـ ٢٥ : ٣٢)؛ وكما قلدهم إياها نهائياً قبل رفعه إلى السماء :

«فدنا يسوع وكلمهم، قال: لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا» ـ فسلطانهم من سلطانه الإلهي؛ «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» ـ هذا سلطان التعليم؛ «وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» ـ هذا سلطان التقديس! «وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» ـ هذا سلطان القيادة والإدارة والقضاء. ويختم الإنجيل بهذا السلطان وهذا الوعد : «وها أنا ذا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر» (متى ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠). فرسالة الرسل ستدوم إلى منتهى الدهر، أي سيخلف الرسل خلفاء في سلطانهم ورسالتهم؛ ومع خلفائهم سيكون المسيح نفسه وسلطانه.

تلك هي كنيسة المسيح بسلطتها المعصومة الخالدة، « كنيسة الله الحي، عامود الحق وقاعدته » (١ تيم ٣ : ١٥).

*

ثالثاً : ما بين ملكوت الله وكنيسة المسيح

١ ـ ملكوت الله الموعود مع ابن البشر (دانيال ٧ : ١٤) ظهر في يسوع المسيح : « قامت الشريعة والنبيون إلى يوحنا؛ ومنذئذٍ يبشر بملكوت الله، وكل يجتهد في الولوج إليه » (لوقا ١٦ : ١٦)؛ وانحصر فيه : « سأله الفريسيون : متى يأتي ملكوت الله ؟ فأجابهم، قال: إن ملكوت الله لا يأتي بوجه منظور! ولن يقال : هو ههنا، أو هو هناك! فها أن ملكوت الله في ما بينكم » (لوقا ١٧ : ٢٠ ـ ٣١). ومعجزات المسيح برهان « على أن ملكوت الله قائم في ما بينكم » (متى ١٢ : ٢٨).

إِن ملكوت الله قائم في ما بينهم في « القطيع الصغير الذي ارتضى الله أن يعطيهم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢)؛ والمسيح يسلمهم « أسرار ملكوت الله » (متى ١٣ : ١١). وعلى بطرس (متى ١٦ : ١٦) وسائر الرسل (متى ١٨ : ١٨) يبني المسيح « كنيسته » . فكنيسة المسيح هي ملكوت الله.

٢ ـ مع ذلك فملكوت الله والمسيح أوسع من « كنيسته » .

عائلة المسيح الروحية، المبنية على قرابة روحية منه تشمل : « كل من يعمل إرادة أبي الذي في السماوات : هذا هو أخي وأختي وأمي » (متى ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠ قابل مرقس ٣: ٣١ ـ ٣٥). فهذه العائلة المسيحية **الروحية** أوسع من الكنيسة.

وملكوت السماوات هو من حق المحرومين في الأرض: «طوبى للمساكين روحاً فإن لهم ملكوت السماوات! طوبى للمضطهدين من أجل البر فإن لهم ملكوت السماوات» (متى ٥: ٣ و١٠). وهؤلاء المحرومين والمضطهدين لا يحصرهم المسيح بين تلاميذه: فملكوت الله أوسع من كنيسة المسيح.

وفي «عهد التجديد»، يجلس رسل المسيح على اثني عشر كرسيّاً ليحكموا **أسباط إسرائيل** الجديد الاثني عشر (متى ١٩ : ٢٨). هذه صورة الكنيسة. لكن في يوم الدين «متى جاء ابن البشر بمجده، وجميع الملائكة معه، ... تحشر لديه **جميع الأمم** ... فيجيبهم الملك قائلاً: الحق أقول لكم: إن كل ما فعلتموه إلى واحد من **أخوتي هؤلاء**، إلى أصغرهم، فإليّ قد صنعتموه ... الحق أقول لكم: إن كل ما لم تصنعوه إلى أحد هؤلاء الصغار فإليّ أيضاً لم تصنعوه» (متى ٢٥ : ٣٢ و٤٠ و٤٥). ففي يوم الدين، بين الأمم الغير المسيحية، يظهر ليسوع «أخوة»: فملكوت المسيح أوسع من كنيسته.

والقريب الذي يصنع الرحمة مع عدو الدين والقومية، مثل السامري مع اليهودي (لوقا ١٠ : ٢٩ ـ ٣٧) هو القريب حقاً الذي يقيم وصية المحبة في أجلى مظاهرها. وهذا القريب ليس بالضرورة من تلاميذ المسيح، وهو من أهل الملكوت.

وسلطان المسيح بعد قيامته ليس محصوراً في أتباعه؛ إنما هو يشمل البشرية كلها والكون كله: «لقد آتاني أبي كل شيء» (متى ١١ : ٢٧)، «لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨). **فملكوت المسيح على** قدر سلطانه، فهو ليس محصوراً في «كنيسته».

٣ ـ من هاتين النظرتين يتضح أن كنيسة المسيح هي **نواة ومحور** ملكوت الله والمسيح. تلك هي الصلة بين الملكوت والكنيسة.

هذا ما يظهر جليّاً في أمثال الملكوت : « يشبه ملكوت السماوات حبة أخذها رجل وزرعها في حقله ... تصير شجرة تعشعش في أغصانها طيور السماء » ! أو مثل خميرة تخمّر عجين البشرية كلها (متى ١٣ : ٣١ ـ ٣٣). فالكنيسة زرع جيد في « حقل العالم » (١٣ : ٣٨)؛ ورسالتها أن تدعو العالم إلى عرس الحمل في كنيسته : « فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك الغلمان إلى الطرق، وجمعوا كل من وجدوا، أشراراً وصالحين، حتى حفلت قاعة العرس بالمتكئين » (١٢ : ٩ ـ ١٠).

فكنيسة المسيح هي ملكوت الله والمسيح التي تنمو حتى تشمل البشرية. وكل من ليس من جسم الكنيسة، إذا « عمل إرادة أبي الذي في السماوات » ، فهو من ملكوت المسيح، ويعترف به المسيح في يوم الدين أخاً له.

*

* *

رابعاً : تكوين الكنيسة وظهورها

رأينا أن ملكوت الله يبدأ على الأرض مع المسيح، ويتم في السماء، بحكم المسيح في يوم الدين، حيث يقول « لإخوته » من كل الأمم : « يا مباركي أبي، تعالوا رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم » (٢٥ : ٣١).

فما بين مجيء المسيح لتأسيس ملكوت الله وكنيسته، ورجوعه ليوم الدين، يقوم **زمن الكنيسة** : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وها أنذا معكم كل الأيام إلى نهاية الدهر » (متى ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠).

ثلاثة أحداث كونت الكنيسة، وبها أظهرها المسيح للوجود والرسالة.

الأول تأسيسها على العهد الجديد بدم المسيح : « فإن هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عن الجميع لغفران الخطايا. وأقول لكم : إني لن أشرب بعد من ثمرة الكرمة إلى اليوم الذي فيه أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي » (متى ٢٦ : ٢٨ ـ ٢٩). فالتأسيس بدم المسيح، وظهور الملكوت والكنيسة بقيامته من بين الأموات.

الثاني رجوع المسيح بالقيامة، يفتح عهد الملكوت والكنيسة، كما أعلن لمجلس القضاء في محاكمته : « وأقول لكم أيضاً : إنكم منذ الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وآتياً على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٤). فبقيامته يظهر يسوع مسيحاً ورباً ومخلصاً وسيد ملكوت الله في كنيسته: « فالحق أقول لكم : إن بين القائمين ههنا مَن لا يذوقون الموت حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » (متى ١٦ : ٢٨).

الثالث، نهاية العهد الإسرائيلي للملكوت، وبداية العهد المسيحي له، على انقضاء إسرائيل وأورشليم والهيكل : « عندئذٍ تأتي النهاية، متى رأيتم رجاسة الخراب التي تكلم عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ... فهكذا أيضاً إذا رأيتم هذا كله، فاعلموا أنه قريب، على الأبواب. الحق أقول لكم : إن هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله قد تمّ! السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول! » (٢٤ : ١٥ و٣٣ ـ ٣٥). فتمت في الحرب السبعينية نبؤة المسيح، ونقل الملكوت من إسرائيل إلى أمة أخرى تؤدي ثماره (متى ٢١ : ٤٣).

بتلك الأحداث الثلاثة أورث المسيح كنيسته ملكوت الله. وبدأت تظهر وتنتشر حتى تشمل العالم كله.

*
* *

خامساً : كنيسة المسيح هي « العهد الجديد » بين الله والبشر

منذ الجلاء البابلي وانهيار إسرائيل الأول، وعد الله بإنشاء « عهد جديد » (أرميا ٣١ : ٣٣)، ينقشه في القلوب، لا على الألواح كما فعل موسى في العهد القديم (أرميا ٣٢ : ٣٧ ـ ٤١). وهذا العهد الجديد الموعود سيكون عهد السلام، العهد الأزلي (حزقيال ٣٦ : ٢٦) يجدد عهد سيناء (حز ١٦ : ٦٠). وعهد داود (حز ٣٤ : ٢٣) ويقوم على تنوير القلوب بروح الله (حز ٣٦: ٢٦). فيصير أهل « العهد الجديد » « شعب الله، والله أبوهم » (أرميا ٣١ : ٣٣؛ ٣٢ : ٣٨؛ حزقيال ٣٦ : ٢٨؛ ٣٧ : ٢٧). وهذا العهد الجديد يتم على يد « عبد الله » الذي جعله « عهداً للشعب ونوراً للأمم » (أشعيا ٤٢ : ٦؛ ٤٩ : ٦؛ ٥٣ كله).

والمسيح في استشهاده سفك دمه لإقامة هذا العهد الجديد الموعود. وليلة الاستشهاد رمز إلى ذلك بقربانه الذي سلمه إلى رسله : « ثم أخذ كأساً وشكر وأعطاهم، قال : اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمي، دم العهد الجديد المهراق عن الجميع لغفران الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٧). فالمسيح أقام العهد الجديد بدمه. وهو « مهراق عن الجميع » فهو عهد الله مع البشرية كلها. وهو مسلّم إلى رسله : فالكنيسة هي الأمينة على العهد الجديد بدم المسيح.

فالعهد الجديد بين الله والبشر يقوم على دم المسيح الممثَّل والمجدّد في قربانه، لا على ضحايا الحيوانات.

قربان المسيح هو العهد الجديد بين الله والبشر في كنيسة المسيح.

وكنيسة المسيح هي العهد الجديد بين الله والناس، القائم على دم المسيح.

تجديد القربان في الكنيسة هو تجديد دائم للعهد الجديد.

والاشتراك في قربان المسيح هو تنفيذ العهد الجديد، والحياة منه في كنيسة المسيح.

*

* *

سادساً : عهد الكنيسة هو « عهد التجديد » في البشرية

لمّا أسس المسيح كنيسته على بطرس (١٦ : ١٨) وعلى سائر الرسل (١٨ : ١٨) « قال لهم : الحق أقول لكم : إنكم أنتم الذين تبعتموني في **عهد التجديد**، متى جلس ابن لبشر (بقيامته) على عرش مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً لتحكموا بين أسباط إسرائيل الاثني عشر » ، إسرائيل الجديد أي الكنيسة (متى ١٩ : ٢٨). وهذا التجديد هو تكميل الشريعة والنبيين بالإنجيل (متى ٥ : ١٧). فعهد المسيح وكنيسته هو عهد التجديد والتكميل الشامل.

١ـ إنه تجديد وتكميل الكتاب بالإنجيل. فهو يردّد : « سمعتم أنه قيل للأولين ... وأنا أقول لكم » (متى ٥ كله). ويشعر الشعب أنه « تعليم جديد، بسلطان، لا مثل كتبتهم » وأحبارهم (٧ : ٢٩). وهذا التجديد مثل ثوب جديد بالنسبة إلى القديم، وكالخمر الجديدة بالنسبة إلى العتيقة (٩ : ١٦). ورسل العهد الجديد معهم كنز العلم القديم والجديد (١٣ : ٥٢).

٢ ـ إنه تجديد وتكميل الوحي والتنزيل، في توحيد الله بالكشف عن ذاته في التجسد والفداء، والقربان : عمانوئيل ينزل ويفتدي، ويعطي ذاته؛

والكشف عن أبوّة الله، وبنوّة الابن، ومحبة المؤمنين بالابن لله الآب في الروح. كان الوحي كلاماً منزلاً، فصار شخصاً منزلاً جمع بين الله الآب وأبنائه.

٣ ـ **إنه تجديد وتكميل العهد**، الذي قام مع آدم، ونوح، وإبراهيم وموسى، وداود، بالمسيح في كنيسته. هو العهد الجديد بدمه (٢٦ : ٢٧). وشروط هذا العهد ليس فقط الكلمات العشر المجدّدة المكملة (ف ٥)؛ وأركان الدين المجددة المكملة (ف ٦)؛ بل هي المحبة المتبادلة بين الله وأبنائه، والأبناء فيما بينهم. كان العهد حرفاً مكتوباً، وختانة في الجسد، فصار العهد ختانة في الروح، وروح الله مسكوباً في النفوس والعقول والقلوب. إنه عهد الروح بالنسبة إلى عهد الحرف. فالروح الإلهي ينزل على المسيح، ابن الله الحبيب (٣ : ٦ ـ ٧) لأنه هو الذي « يعمد بالروح القدس كالنار » (٢ : ١١). حتى يكون المعمّدون « ليسوا هم المتكلمين، بل روح أبيهم هو الذي ينطلق فيهم » (١٠ : ٢٠).

٤ ـ **إنه تجديد وتكميل الوعد** لآدم ونوح، خصوصاً لإبراهيم وموسى وداود : المسيح هو « عمانوئيل » الذي يسحق رأس الحية؛ هو برق السماء علامة السلام؛ هو ابن إبراهيم، وابن داود، هو الرسول الأعظم مثل موسى وأفخم : « الشريعة نزلت بموسى، وبيسوع المسيح النعمة والحقيقة » . هو الذي « بروح الله يبشر الأمم بالعدل، ويقود الحق إلى الغلبة، وباسمه تنيط الأمم رجاءها » (١٢ : ١٨)، لأنه هو الذي « يخلص شعبه من خطاياهم » ، (١ : ٢١) « لأنه يبذل نفسه فدية عن الجميع » (٢٠ ـ ٢٨)؛ ويعمد جميع الناس باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد (٢٨ : ١٩).

٥ ـ **إنه تجديد وتكميل الإنسان.** فالإنسان بالمسيح، في كنيسته، « خليقة جديدة » . تلاميذ المسيح هم « ملح الأرض » ! « ونور العالم » ! (٦ : ١٣ ـ ١٤) الذين يطلبون أولاً ملكوت الله وبرّه (٦ : ٣٣)؛ التجديد وتكميل « برّ الله »

بين الناس (١٦ : ١)، أكثر من الكتبة والفريسيين، صالحي العهد القديم كما يتوهمون. وتجديد الإنسان وتكميله يتمّ بعماده بالروح القدس (٢ : ١٢) وأخذه قربان الرب، جسده ودمه (٢٦ : ٢٦ ـ ٢٨) للتطهير والاحياء في روح الله. فالإنجيل والكنيسة هما « الخميرة » التي تخمّر عجينة البشرية كلها (١٣ : ٣٣).

٦ ـ **إنه تجديد وتكميل الكون.** إنه خميرة صالحة في البشرية! وزرع جيد في حقل العالم! وشجرة خردل تظلل الدنيا! وشبكة تصطاد الناس إلى الله! فهو كنز خفي في العالم! ولؤلؤة يتيمة في الدنيا (ف ١٣ كله). وكنيسة الرسل عملة في كرم الرب! (٢٠ : ١ ـ ١٦) يقومون بعرس الحمل مع البشرية والكون، يستقدمون المدعوين إلى العرس (٢٢ : ١ ـ ١٤) حتى يزدهي الكون، بأبناء الله، في ملكوت الله.

٧ ـ « عهد التجديد » بالمسيح ورسله هو تجديد وتكميل ملكوت الله في الكنيسة.

الإنجيل بحسب متى كله دعوة إلى ملكوت الله. بدأ فقال: « إن ملكوت الله قريب » (٤: ١٧). ثم جال وصال وقال : « إن ملكوت الله قائم فيما بينكم » (١٢ : ٢٨). ثم هدّد بني قومه الكافرين به : « إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة أخرى تؤدي ثماره » (٢١ : ٤٣). ثم أعلن أنه لا ينقضي جيل الرسل حتى يظهر ملكوت الله بقوة، « حتى يروا ابن البشر آتياً في ملكوته » ، (١٦ : ٢٨). ويحدّد زمن ظهور ملكوت الله بقيامته، وقيام الكنيسة، إسرائيل الجديد، على أنقاض إسرائيل القديم (٢٤ كله) : « الحق أقول لكم إن هذا الجيل لا ينقضي إلى أن يتم هذا كله » (٢٤ : ٣٥) « ويُبَشر بإنجيل الملكوت هذا في المسكونة كلها، شهادة للأمم » (٢٣ : ١٤).

فقد نقل المسيح الملكوت من القومية الإسرائيلية إلى المسيحية العالمية،

ومن المادية إلى الروحية، ومن الزمنية إلى الأزلية، ومن الحرف إلى الروح، ومن الظل إلى النور، في الدنيا والآخرة، في الأرض والكون، ومن الزمن حتى الأزل.

فملكوت الله الموعود يتم بكنيسة المسيح، في عهد التجديد، عهداً جديداً، بواسطة السلطة المعصومة، في أمة المسيح، شعب الله الجديد.

فالإنجيل بحسب متى هو إنجيل « الكنيسة » .

*

* *

القَولُ الفَصْل

الإنجيل بحسب متى دفاع عن المسيحية بتاريخ السيرة والدعوة

إن الإنجيل بحسب متى سيرة « يسوع المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم » (١ : ١). وهو « إنجيل الملكوت » الذي دعا به السيد المسيح لإنشاء ملكوت الله على الأرض، في « كنيسته » .

وفيه يظهر المسيح المشهود أفضل وأعظم من المسيح الموعود.

وفيه ينشئ المسيح الملكوت المشهود، أكمل من الملكوت الموعود.

وفيه نرى مصير ملكوت الله معلقاً على مصير المسيح وإنجيله.

فالمسيح، في كنيسته هو الإنجيل والملكوت.

فالإنجيل بحسب متى سيرة ودعوة، ودفاع عن الرسول والرسالة، عن المسيح والمسيحية، في بيان رائع.

وهدفه البياني والدفاعي لا يقلّل من صحة تاريخيته. فلولا حقيقة الواقع التي شهد المسيح لها، واستُشهد في سبيلها، وأيد الله شهادته واستشهاده بقيامته ورفعه إلى السماء، شهادة الشهادات ومعجزة المعجزات؛ والتي شهد رسله لها، واستُشهدوا في سبيلها؛ والتي تشهد لها أمته وتُستشهد في كل زمان ومكان، لما كان للدفاع من ركيزة تاريخية، ولا للعقيدة من حقيقة واقعية.

فما كان ليهودي, ابن التوحيد الخالص، أن ينقل إنجيل المسيح، ويشهد فيه مع رسل المسيح أن يسوع هو «المسيح ابن الله الحي» لولا شهادة المسيح واستشهاده في سبيلها، ولولا شهادة كنيسة الرسل واستشهادها، ولولا شهادة متى الرسول وأخوته الرسل واستشهادهم لأجلها.

فهذا هو الإنجيل بحسب متى الرسول. إنه شهادة الرسول الشاهد العيان؛ وشهادة الكنيسة فيه للمسيح؛ وشهادة المسيح في كنيسته، للدفاع عن المسيح والمسيحية، من تاريخ السيرة وتاريخ الدعوة.

فالإنجيل بحسب متى دفاع عن المسيحية يعرضها في البيئة الإسرائيلية.